رجال المريخ الآليون

إدجار رايس بوروز

- المؤلف: إدجار رايس بوروز
- العنوان : رجال المريخ الأليون
- ترجمة: شهرت العالم
- الطبعة الأولى 2020
- تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- مستشار النشر: سوسن بشير
- المدير العام: مصطفى الشيخ

رقم الإيداع:
٢٠١٩ / ٢٦٤٨٢
الترقيم الدولي : ISBN
978 - 977-765 - 267 - 4

جميع الحقوق محفوظة؛ لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال؛ دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb
CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787
E-mail:afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب- القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

إدجار رايس بوروز

رجال المريخ الآليون

رواية

ترجمة

شهرت العالم

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

بوروز، إدجار رايس.

إدجار رايس بوروز : رجال المريخ الآليون

ترجمة: شهرت العالم

ط1 القاهرة – دار آفاق للنشر والتوزيع – 2020

288 ص، 21 سم.

رقم الإيداع 26482 / 2019

الترقيم الدولي 978 – 977 – 765 – 267 – 4

1 – الأدباء (روايات)

2 – بوروز، إدجار رايس

الفصل (١)

أين راس ثافاس؟

تمتد المستنقعات التونولية الكبرى من فوندال[١] في أقصى الغرب، شرق تونول[٢]، عبر كوكب المريخ الآخذ في الاحتضار، لمسافة ١٨٠٠ ميل [بمقياس الميل على كوكب الأرض] مثل الزواحف العملاقة النجسة والسامة - إنه مستنقع طيني، تربط تلافيف جداوله المائية الضيقة بين ما يظهر أحيانًا من مياه مفتوحة وبحيرات صغيرة، لا يغطي أكبرها أكثر من بضعة أفدنة. وتنكسر أحيانًا رتابة هذه المستنقعات والأدغال والمياه بواسطة جُزُر صخرية، تكسوها نباتات خضراء من بقايا هياكل سلسلة جبال قديمة.

لا تعرف مناطق عديدة في برسوم[٣] عن مستنقعات تونول الكبرى

---

(١) فوندال: مملكة صغيرة لا تضم سوى مدينة رئيسة وعدد قليل من الجزر في مستنقعات تونول، التي تُعد أقرب مملكة مجاورة لها - https://barsoom.fandom.com/wiki/Phundahl - المترجمة.

(٢) تونول: مملكة مريخية نائية محاطة بالمستنقعات، ودائمًا في حالة حرب مع مملكة فوندال المجاورة - https://barsoom.fandom.com/wiki/Toonol - المترجمة.

(٣) برسوم: كوكب يسميه أهل كوكب الأرض بالمريخ - http://barsoom.wikia.com/wiki/Barsoom - المترجمة.

سوى القليل؛ فهي منطقة غير مضيافة ومأهولة بالوحوش الشرسة والزواحف المرعبة، فضلًا عن بقايا قبائل السكان الأصليين الهمجية المعزولة منذ زمن طويل. ويحرس كل طرف منها إما مملكة فوندال وإما مملكة تونول غير الودودتين اللتين لا ترحبان بالتواصل مع أي أمم أخرى، وتخوضان باستمرار حروبًا ضد بعضهما.

ظل راس ثافاس[٤]، العقل المُدبِّر في المريخ، يجاهد في مختبره على جزيرة بالقرب من تونول لما يقرب من ألف عام إلى أن انقلب ضده فوبيس كان- جيداك[٥] تونول وأبعده من الجزيرة التي كانت بمثابة بيته، ثم صدّ في وقت لاحق قوة من محاربي فوندال بقيادة جور هاجوس، القاتل المشهور في تونول، سعت إلى استعاده الجزيرة واستعادة راس ثافاس لمختبره بناء على وعد منه بتكريس مهارته وتعليمه إلى تخفيف المعاناة الإنسانية بدلًا من استخدامها في أغراض الجشع والآثام الكريهة.

اختفى راس ثافاس بعد هزيمة جيشه الصغير، ونسيه الجميع تمامًا مثله مثل الموتى وأدخله مَن عرفوه في عِداد الأموات؛ على أن هناك البعض الذين لا يمكنهم نسيانه. هناك فالا ديا أميرة دوهور[٦]، التي كان

---

(٤) راس ثافاس: عالِم مريخي، معروف بأنه العقل المُدبر في المريخ، وهو أحد أبطال القصة المعروفة بالاسم نفسه في سلسلة المريخ. يكرس اهتمامه بالعلوم دون النظر إلى العواقب الاجتماعية لاختراعاته أو اكتشافاته - https://barsoom.fandom.com/wiki/Ras_Thavas - المترجمة.

(٥) جيداك: ما يعادل الإمبراطور - http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=Jeddak - المترجمة.

(٦) دوهور: مملكة على المريخ تضم مريخيين ذوي بشرة حمراء، وتقع في نصف الكرة الشمالي للمريخ - https://barsoom.fandom.com/wiki/Duhor - المترجمة.

قد نقل مخها إلى رأس العجوز البشعة ظاظا جيدارة[٧] فوندال؛ لكي تكتسب ظاظا جسم فالا ديا الشاب الجميل. وقد تمكن فاد فارو، زوج فالا ديا، الذي عمل لفترة مساعدًا لراس ثافاس، من إعادة مخ زوجته إلى جسدها. فاد فارو هو رجل من كوكب الأرض، اسمه أوليسيس باكستون[٨] في الولايات المتحدة الأمريكية، ومن المفترض أنه توفي في حفرة أحدثتها قذيفة في فرنسا؛ وهناك جون كارتر[٩] أمير هيليوم[١٠] وأمير الحرب في المريخ، الذي كان خياله مفتونًا بالحكايات التي أخبره بها فاد فارو عن المهارات الرائعة لأعظم عالِم وجراح في العالَم.

لم ينسَ جون كارتر راس ثافاس. وعندما نشأت حالة طارئة كانت فيها مهارة هذا الجراح الأعظم هي الأمل الوحيد المتبقي، قرر جون كارتر البحث عنه والعثور عليه إذا كان لا يزال حيًّا. فقد عانت أميرته ديجاه ثوريس[١١] من إصابة مروعة في تصادم بين سفينتين سريعتين،

---

(٧) جيدارة: الملكة أو الإمبراطورة – وهو الاسم المريخي المؤنث لجيداك (الملك أو الإمبراطور) – https://barsoom.fandom.com/wiki/Jeddak – المترجمة.

(٨) أوليسيس باكستون: ويُسمى على المريخ فاد فارو – بطل قصة «العقل المُدبر في المريخ». وهو نندي أمريكي انتقل في ظروف غامضة إلى المريخ خلال الحرب العالمية الأولى – https://bar-soom.fandom.com/wiki/Ulysses_Paxton – المترجمة.

(٩) جون كارتر: من فرجينيا، وهو أول رجل من كوكب الأرض يصل إلى المريخ، وأصبح أحد أعظم أمراء الحرب في تاريخ المريخ – https://barsoom.fandom.com/wiki/John_Carter – المترجمة

(١٠) هيليوم: إحدى الممالك الكبرى في برسوم/ المريخ، وهي تضم مدينتين توأم رئيستين: هيليوم الكبرى وهيليوم الصغرى، وهما معًا بمثابة عاصمة المملكة – http://barsoom.wikia.com/wiki/Helium – المترجمة.

(١١) ديجاه ثوريس: أميرة مملكة هيليوم، وهي زوجة جون كارتر (القادم من كوكب الأرض) – http://barsoom.wikia.com/wiki/Dejah_Thoris – المترجمة

وظلت فاقدة للوعي لعده أسابيع، مع كسر والتواء في ظهرها، إلى أن تخلى أعظم الجراحين في أنحاء هيليوم كافة عن كل أمل في علاجها؛ حيث اقتصرت مهارتهم على إبقائها في قيد الحياة.

ولكن كيف يمكن العثور على راس ثافاس؟ هذا هو السؤال. وعندئذ تذكر جون كارتر أن فاد فارو كان مساعدًا للجراح العظيم. فإذا تعذر العثور على الأستاذ، ربما تكفي مهارة التلميذ. ومن المرجح أيضًا أن فاد فارو، من بين جميع الرجال في برسوم، يعرف مكان راس ثافاس. وهكذا قرر جون كارتر التوجه أولًا إلى دوهور.

اختار من أسطوله طرادًا فضائيًّا صغيرًا سريعًا من نوع جديد، تصل سرعته إلى ٤٠٠ ميل في الساعة – أكثر من ضعف سرعة الأنواع القديمة التي كان قد عرفها بداية، وطار بها من قبل عبر الهواء الرقيق لكوكب المريخ. كان يود الرحيل بمفرده، لكن كارثوريس[١٢] وتارا[١٣] وثوفيا[١٤] ناشدوه عدم القيام بذلك. وقد استسلم أخيرًا ووافق على اصطحاب أحد ضباط قواته الشخصية وهو بادوار[١٥] شاب اسمه فور داج. ونحن مدينون له بهذه الحكاية الرائعة حول مغامرة غريبة على

(١٢) كارثوريس: هو ابن جون كارتر وديجاه ثوريس، الشقيق الأكبر لتارا. وهو أمير هيليوم. واسمه مزيج من كارتر وثوريس – https://barsoom.fandom.com/wiki/Carthoris – المترجمة.

(١٣) تارا: هي ابنة جون كارتر وديجاه ثوريس، والأخت الصغرى لكارثوريس – https://bar-soom.fandom.com/wiki/Tara – المترجمة.

(١٤) ثوفيا: الأميرة ثوفيا ابنة ثوفان ديهن، جيداك مملكة بتارث. وقد تزوجت من كارثوريس، ابن جون كارتر وديجاه ثوريس – https://barsoom.fandom.com/wiki/Thuvia – المترجمة.

(١٥) بادوار: رتبة مريخية تُعادل رتبة مُلازم – http://barsoom.wikia.com/wiki/Padwar – المترجمة.

كوكب المريخ؛ نحن مدينون له ولجيسون جريدلي، مُكتشِف موجة جريدلي[١٦] التي أتاحت لي استقبال هذه القصة على جهاز الراديو الخاص باستقبال موجة جريدلي، وهو الجهاز الذي قام جيسون جريدلي بتصميمه هنا في طرزانا، ومدينون إلى يوليسيس باكستون الذي ترجمها إلى اللغة الإنجليزية وأرسلها عبر مسافة ٤٠ مليون ميل في الفضاء.

سأقص عليكم القصة بكلمات فور داج قدر الإمكان، وبقدر وضوحها. هناك بعض الكلمات والتعبيرات المريخية غير القابلة للترجمة، فضلًا عن مقاييس الزمن والمسافة، وستجدونها عادة بكلماتي الخاصة. وستجدون أيضًا تدخلات من جانبي أحيانًا ولا يزعجني تحمل مسؤوليتها؛ لأن أصولها ستكون واضحة للقارئ. وبالإضافة إلى ذلك، هناك دون شك بعض أعمال التحرير من جانب فاد فارو. والآن، لنبدأ في الحكاية الغريبة كما رواها فور داج.

* * *

(١٦) موجة جريدلي: وسيلة اتصال اكتشفها مخترع من كوكب الأرض هو جيسون جريدلي، وهي تتيح الاتصال في اتجاهين: بين كوكب الأرض والبيليوسيدار (عالَم باطن كوكب الأرض)، وقد استُخدِمت لنقل قصص بيليوسيدار إلى كوكب الأرض، كما استُخدمت لنقل قصص من المريخ إلى كوكب الأرض – https://barsoom.fandom.com/wiki/Gridley_wave – المترجمة.

الفصل (٢)

مهمة أمير الحرب

أنا فور داج، وأشغل موقع بادوار في حرس أمير الحرب. كان يجب أن أموت منذ فترة طويلة بسبب الشيخوخة وفقًا لمعايير سكان كوكب الأرض، الذين أدرك أنني أكتب لهم حكاية هذه المغامرات؛ لكنني هنا، على برسوم، لا أزال في ريعان الشباب. أخبرني جون كارتر أن استمرار حياة أي إنسان على كوكب الأرض لمائة عام تُعد مسألة تثير اهتمام الناس. أما فترة العُمر الطبيعية المتوقعة للمريخي فهي ألف عام، من لحظة كسره لقشرة البيضة[١٧] التي احتضنته لخمس سنوات ويخرج منها، دون أن يكتمل نضجه البدني، مخلوقًا وحشيًّا يجب ترويضه وتدريبه مثل صغار المراتب الدنيا التي استأنسها الإنسان. ويضم هذا التدريب الكثير من الإعداد العسكري، بحيث يبدو لي أحيانًا أنني خرجت من البيضة مُجهزًا تجهيزًا كاملًا بعتاد المحارب وأسلحته. لتكن هذه، إذَنْ، بمثابه مقدمتي. يكفي أن تعرفوا اسمي، وأنني مقاتل كرّس حياته لخدمة جون كارتر في المريخ.

(١٧) ورد في قصص سابقة في سلسلة المريخ أن نساء المريخ لا يلدن، بل يضعن البيض – المترجمة.

شعرت بفخر شديد بطبيعة الحال عندما اختارني أمير الحرب لمرافقته في بحثه عن راس ثافاس، على الرغم من أن المهمة بدت عادية لا تُقدم إلا أكثر قليلًا من فرصة لمرافقة أمير الحرب وخدمته وخدمة ديجاه ثوريس، أميرته التي لا مثيل لها. ويا لضآلة توقعاتي حول ما أواجهه!

كانت نية جون كارتر أن يطير أولًا إلى دوهور، التي تقع على بُعد حوالي ١٠٥٠٠ هاد[١٨]، أو نحو ٤٠٠٠ ميل بقياسات كوكب الأرض، شمال غرب مدينتي هيليوم التوأم؛ حيث كان يتوقع أن يجد فاد فارو ويأمل أن يعرف منه مكان راس ثافاس. فقد كان راس ثافاس هو الشخص الوحيد في العالم، باستثناء فاد فارو، الذي يمكنه بمعارفه ومهارته أن ينقذ ديجاه ثوريس من القبر الذي ترقد بالقرب منه لأسابيع، وأن تستعيد صحتها.

كانت الساعة الثامنة و٢٩ دقيقة وخمس ثوان (١٢ و١٣ دقيقة صباحًا بتوقيت كوكب الأرض) عندما ارتفعت طائرتنا الأنيقة السريعة من منصتها فوق سطح قصر أمير الحرب. وكان القمران ثوريا[١٩] وكلوروس[٢٠] يسرعان عبر السماء المُضاءة بنجوم متألقة، تلقي بظلالها المزدوجة دائمة التغيُّر على التضاريس أسفلنا بما يوحي لنا بخيالات لأشياء حية لا تُعد ولا تُحصى في حركه مستمرة لا تهدأ، أو

---

(١٨) الهاد: هو الميل في برسوم، ويعادل الهاد، أو الميل البرسومي، حوالي ٢,٣٣٩ قدمًا بمقاييس كوكب الأرض – http://barsoom.wikia.com/wiki/Linear_Measurement – المترجمة.

(١٩) ثوريا: القمر الأقرب للمريخ من قمرين يدوران حوله؛ ومعروف في كوكب الأرض باسم فوبوس – http://barsoom.wikia.com/wiki/Thuria – المترجمة.

(٢٠) كلوروس: أبعد قمري المريخ عن الكوكب الأم، ومعروف لدى سكان كوكب الأرض باسم القمر ديموس – http://barsoom.wikia.com/wiki/Cluros – المترجمة.

لعالم سائل عاصف بالدوامات والغليان يختلف تمامًا، كما أخبرني جون كارتر، عن جانب مماثل على كوكب الأرض، حيث يتحرك القمر الوحيد بوتيرة جليلة فخمة عبر السماء.

ومع ضبط بوصلة تحديد الاتجاه نحو دوهور، واستمرار مُحرك طائرتنا في عمله بصمت وعلى نحو مثالي، لم نشغل وقتنا بأي مشكلات ملاحية. وإذا لم نواجه بعض الحالات الطارئة غير المتوقعة، ستطير السفينة في مسارها الجوي إلى دوهور وتتوقف فوق المدينة. ضبطنا جهاز الألتيمتر[٢١] الحساس للحفاظ على ارتفاع ٣٠٠ آد[٢٢] (حوالي ٣٠٠٠ قدم)، مع حد أدنى من الأمان يبلغ ٥٠ آد. وبعبارة أخرى، تحافظ السفينة عادة على ارتفاع ٣٠٠ آد فوق مستوى سطح البحر؛ وتحافظ عند عبورها فوق أي بلد جبلي على مسافة خالية لا تقل عن ٥٠ آد (حوالي ٤٩٠ قدم)، وذلك من خلال جهاز حساس يضبط لوحات التحكم عندما تقترب السفينة من أي ارتفاع عن سطح الأرض يقل عن ٥٠ آد تحت عارضتها. وأعتقد أن أفضل طريقة لوصف هذه الآلية هي أن أطلب منكم أن تتخيلوا كاميرا ذاتية التركيز البؤري، يمكن ضبطها لأي مسافة تصبح بعدها في وضع تركيز بؤري دائم. وعندما تقترب من شيء على بُعد أقل من المسافة المحددة، تقوم تلقائيًّا بتصحيح البؤرة. هذا هو التغيير الذي يضبط لوحات التحكم في السفينة، ويتسبب في ارتفاعها إلى أن يتحقق ثبات التركيز مرة أخرى. ويتسم هذا الجهاز بحساسية شديدة، بحيث

(٢١) الألتيمتر: جهاز لقياس الارتفاع – المترجمة.

(٢٢) الآد: يعادل الآد حوالي ٩,٧٥ قدم بمقاييس كوكب الأرض. المترجمة.

يعمل في ضوء النجوم بمثل دقة عمله في ضوء الشمس. ولا يخفق الجهاز في عمله إلا في الظلام المطلق؛ على أن هذا القيد الوحيد أمكن التغلب عليه في الحالات النادرة عندما تكون سماء المريخ ملبدة بالغيوم تمامًا نتيجة للسُّحب، وذلك من خلال وسيط يُطلق شعاعًا ضوئيًّا صغيرًا ويجري توجيهه إلى أسفل من عارضة السفينة.

ونظرًا لشعورنا بالأمان لاعتقادنا في نجاح بوصلة تحديد الاتجاه، تخففنا من اليقظة وغفونا طوال الليل. ليس لديَّ أعذار أقدمها، ولم يلمني جون كارتر؛ إذ سرعان ما أقر أن الخطأ كان خطأه بقدر ما كان خطئي. بل تحمل كل اللوم، في واقع الأمر، قائلًا إنه يتحمل المسؤولية كاملة.

لم يكن إلا بعد شروق الشمس أن اكتشفنا وجود شيء خاطئ جذريًّا في موقعنا أو توقيتنا. كان يجب أن تكون التلال الشمالية المغطاة بالثلوج وتحيط بدوهور مرئية بوضوح أمامنا، لكننا لم نشهدها- ما رأيناه كان مجرد مساحة شاسعة من قاع البحر الميت، مُغطاة بنباتات صفراء، وتوجد على البُعد تلال منخفضة.

اتخذنا مواقعنا بسرعة، لنجد أننا على مسافة حوالي ٤٥٠٠ هاد جنوب شرق دوهور؛ أو للدقة: ١٥٠ درجة غرب خط الطول، من مدينة أكسوم، و١٥ درجة شمالًا.

ومن زاوية خط العرض، نحن على مسافة حوالي ٢٦٠٠ هاد جنوب غرب فوندال، التي تقع عند الطرف الغربي من المستنقعات التونولية الكبرى.

أخذ جون كارتر يفحص بوصلة تحديد الاتجاه. كنت أعرف مدى

مرارة شعوره بخيبة الأمل بسبب هذا التأخير. ربما لعن شخص غيره مصيره؛ لكنه لم يقل سوى ما يلي: «إنه التواء قليل في إبرة البوصلة، لكنه كافٍ ليخرجنا عن مسارنا. وربما هذا من الإنصاف أيضًا؛ فمن الأكثر ترجيحًا أن سكان فوندال يعرفون أكثر من أي شخص في دوهور مكان وجود راس ثافاس. لقد فكرت في دوهور أولًا، بطبيعة الحال؛ لأننا على يقين من حصولنا على مساعدة ودية هناك».

وأضاف: «هذا أكثر مما يمكن أن نتوقع في فوندال، مما سمعته عن أهلها».

أومأ قائلًا: «ومع ذلك، سنذهب إلى فوندال. أعرف أن دار تاروس، الجيداك، لديه علاقات ودية مع فاد فارو؛ وبالتالي قد يكون صديقًا لصديق فاد فارو. وإنما توخيًا للحذر، سنذهب إلى المدينة باعتبارنا من البانتان[٢٣]».

ابتسمتُ قائلًا: «سوف يعتقدون أننا نحلق عاليًا في الخيال؛ ... بانتانان في سفينة من بيت أمير الحرب في برسوم!».

البانتان هو جندي متجول مرتزق، يبيع خدماته وسيفه لمَن يدفع له؛ ويحصل عادة على أجر منخفض؛ لأن الجميع يعرف أن البانتان يُفضل القتال على تناول الطعام، ولذلك لا يدفعون له كثيرًا. وهو ينفق بإسراف ما يدفعونه له، ولذا فسرعان ما يُفلِس بعد فترة قصيرة.

أجاب جون كارتر: «لن يروا السفينة. سنجد مكانًا لإخفائها قبل أن نصل إلى هناك. سوف تسير يا فور داج إلى بوابات فوندال وأنت ترتدي

(٢٣) بانتان: هو جندي مريخي مرتزق، يتنقل من مكان لآخر ويقاتل لصالح مَن يرغب في شراء خدماته – http://barsoom.wikia.com/wiki/Panthan – المترجمة.

عتادًا عاديًّا». ابتسم قائلًا: «أنا أعرف جيدًا أن ضباط سفني يحبون السير».

قمنا خلال رحلتنا إلى فوندال بإزالة الشارات والزخارف من عتادنا، بحيث نصل إلى البوابات ونحن نرتدي الجلود العادية لأي بانتان مستقل. ومع ذلك، كنا نعرف أنهم قد لا يقبلون دخولنا إلى المدينة؛ ذلك أن سكان المريخ يرتابون دومًا من الغرباء، لا سيما أن الجواسيس يأتون في بعض الأحيان متخفين على هيئة بانتان. ساعدت جون كارتر على دهن بشرته الفاتحة بصبغة نحاسية ضاربة إلى الحُمرة يحملها معه دائمًا لمواجهة أي حالة طارئة تتطلب إخفاء هويته وأداء دور رجل أحمر أصلي من برسوم.

رأينا فوندال على مسافة، ولذا طرنا منخفضين، نكاد نلمس الأرض، مع الاستفادة من التلال لإخفائنا من الحراس عند سور المدينة. وعلى بُعد أميال قليلة من وجهتنا، هبط أمير الحرب بالطائرة على واد ضيق بجوار بستان صغير من أشجار سومبوس[٢٤] حيث أوقف الطائرة. أزلنا روافع لوحات التحكم ودفناها على مسافة قصيرة من السفينة، وحرقنا أربع أشجار محيطة بها بطريقة تتيح لنا بسهولة تحديد موقع المخبأ عندما نعود إلى السفينة، إذا استطعنا العودة. ثم انطلقنا سيرًا على الأقدام نحو فوندال.

---

(٢٤) شجرة سومبوس: شجرة مثمرة تنمو على المريخ. وثمارها من الحمضيات وذات قشرة حمراء كثيفة، ولبها يُسمى سوم. مذاقها يشبه مذاق الجريب فروت لكنها أكثر حلاوة. وتعتبر طعامًا شهيًّا – https://barsoom.fandom.com/wiki/Sompus – المترجمة.

الفصل (٣)

محاربون لا يُقهَرون

بعد فترة وجيزة من وصول الجندي الفيرجيني المرتزق [جون كارتر] إلى المريخ، سقط في أيدي جماعة المريخيين الخُضر في ثارك[٢٥] وأطلقوا عليه اسم دوتار سوجات؛ على أن الجميع قد نسي عمليًّا هذا الاسم مع مرور السنوات، نظرًا لاستخدامه لفترة وجيزة فقط من جانب عدد قليل من أعضاء تلك القبيلة الوحشية، ولذا قرر أمير الحرب استخدامه في هذه المغامرة، بينما احتفظت أنا باسمي لأنه لم يكن معروفًا في هذا الجزء من العالم. وهكذا، كان دوتار سوجات وفور داج بانتانين متجولين، يسيران خلال التلال المنخفضة في اتجاه غرب فوندال في هذا الصباح البرسومي الهادئ. ولم يصدر عن سيرنا أي صوت لأننا نتحرك فوق النباتات الصفراء الشبيهة بالطحالب. كانت حركتنا صامتة بمثل صمت ظلالنا الصارمة الحادة التي لازمت خطواتنا نحو الشرق. راقبتنا الطيور المرحة الصامتة المُزينة بالريش، خلال فروع أشجار السكيل[٢٦] والسورابوس[٢٧]. كانت الطيور صامته مثل

---

(٢٥) ثارك: جماعة المريخيين خُضر البشرة - http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=Thark - المترجمة.

(٢٦) شجرة سكيل: شجرة من خشب مريخي صلب يُستخدم في بناء كل شيء من السكن إلى الأثاث. وتنتج أيضًا شجرة سكيل جوزًا جيد المذاق - http://barsoom.wikia.com/wiki/Skeel - المترجمة.

(٢٧) سورابوس: نوع من الشجر معروف في برسوم بثماره النضرة المحفوظة داخل ما يشبه قشرة الجوز - http://barsoom.wikia.com/wiki/Sorapus - المترجمة.

الحشرات الجميلة التي تحوم حول أزهار البيماليا[٢٨] والجلورستا[٢٩] الرائعة، التي تنمو بكثافة في كل منخفض بالتلال، وتحافظ على الرطوبة الشحيحة لفترة أطول. فالمريخ عالَم شاسع من الصمت، حيث تصمت حتى المخلوقات ذات الأصوات كأنما هي واعية بموت المريخ الوشيك كعالَم آخذ في الاحتضار. نحن نكره الضوضاء. وأصواتنا، مثل موسيقانا، خافتة ومنخفضة؛ نحن شعب قليل الكلام. أخبرني جون كارتر عن ضجيج مدن كوكب الأرض، والآلات النحاسية وطبول موسيقاها، وعن الثرثرة المستمرة بلا معنى لملايين الأصوات التي لا تقول شيئًا. وأعتقد أن مثل ذلك العالَم قد يدفع المريخيين إلى الجنون.

ما زلنا في التلال، والمدينة ليست على مرمى البصر، عندما جذبت أصوات أعلانا وخلفنا انتباهنا. التفتنا في وقت واحد لننظر إلى الوراء، والتقت أعيننا بمشهد مذهل جعلنا بالكاد ما نصدق حواسنا: يطير نحونا حوالي عشرين طائرًا. كان مشهدًا مذهلًا في حد ذاته، حيث يسهل تحديد نوع الطيور؛ إنها طيور مالاجور[٣٠]، ذلك النوع الذي من المفترض أنه انقرض منذ زمن طويل. وزادت غرابة المشهد بوجود محارب فوق كل طائر من تلك الطيور العملاقة. يبدو من الواضح تمامًا أنهم شاهدونا، ولذا لا جدوى على الإطلاق من محاولة الاختباء منهم. أخذوا يهبطون

---

(٢٨) شجرة بيماليا: شجرة مزهرة كبيرة في حدائق المريخ – https://barsoom.fandom.com/wiki/Pimalia – المترجمة.

(٢٩) جلورستا: نبات مريخي مُزهِر ينمو بكثافة في كل منخفض بالتلال، ويحافظ على الرطوبة الشحيحة لفترة طويلة – https://barsoom.fandom.com/wiki/Gloresta – المترجمة.

(٣٠) مالاجور: طائر كبير الحجم على المريخ، يعتقد السكان أنه انقرض منذ زمن طويل – https://barsoom.fandom.com/wiki/Malagor – المترجمة.

ويطيرون منخفضين، والآن يدورون حولنا. ومع هذه الفرصة للمشاهدة عن قُرب، أثارتني غرائبية أشكال المحاربين. هناك شيء غير إنساني إلى حد ما، إلا أنهم يبدون بشرًا مثلنا تمامًا. توجد امرأة مع أحدهم، تجلس أمامه فوق عنق الطائر الضخم؛ لكنني لم أتمكن من رؤيتها أو رؤية الآخرين جيدًا؛ لأنهم يتحركون جميعًا حركة ثابتة.

هبط العشرون طائرًا مُشكلين دائرة حولنا، وترجل خمسة محاربين واقتربوا منا. رأيت الآن ما يعطيهم المظهر الغريب وغير الطبيعي. كان مظهرهم يماثل رسمًا معيوبًا دبت فيه الحياة، بريشة رسام رديء – كاريكاتير بشري متحرك. لا يوجد تماثل في تصميمهم. كان طول ذراع أحدهم الأيسر يبلغ قدمًا بالكاد، في حين كان ذراعه الأيمن طويلًا إلى حد أنه يجر يده على طول الأرض وهو يمشي. وكانت أربعة أخماس وجه أحدهم تقع فوق العينين، في حين تتساوى النسب تحت عينين واحد آخر. ولم تكن الأعين والأنوف والأفواه في محلها المعتاد، فهي إما كبيرة جدًّا وإما صغيرة جدًّا ولا تتواءم مع الملامح المجاورة. بيد أن هناك استثناء واحدًا – المحارب الذي ترجل الآن، ويتبعه خمسة محاربين يقتربون جميعًا منا. كان رجلًا وسيمًا، يتمتع ببنية جيدة، كما كانت أغطيته وأسلحته من نوعية وتصميم ممتازين – معدات صالحة لاستعمال مقاتل. وكان عتاده يحمل شارة دوار[٣١]، وهي رتبة مماثلة لرتبة الكابتن في الهيئات العسكرية على كوكب الأرض. توقف

(٣١) دوار: رتبة مريخية تعادل رتبة كابتن (نقيب) – http://barsoom.wikia.com/wiki/Dwar – المترجمة.

المحاربون الخمسة بأمر منه قبل الوصول إلينا؛ ثم خاطبنا.

سألنا: «هل أنتما من فوندال؟».

أجاب جون كارتر: «نحن من هيليوم. كان آخر عمل لدينا هناك. نحن من البانتان».

– أنتما سجيناي. على كل منكما أن يمد ذراعيه.

مست ابتسامات خافتة شفاه أمير الحرب. قال: «تعال وخذهم». كان يتحداه.

هز الآخر كتفيه وقال: «كما تريد. نحن نفوقك عددًا، عشرة إلى واحد. سوف نأخذك، لكننا قد نقتلك ونحن نأخذك. أنصحك بالاستسلام».

– ستكون حكيمًا إذا تركتنا نذهب في طريقنا، لا نريد الشجار معكم. ولكن إذا اخترت الشجار، فلن نموت وحدنا.

ابتسم الدوّار ابتسامة غامضة وأجاب: «كما تريد»؛ ثم التفت إلى المحاربين الخمسة وقال: «خذوهما!». بيد أنه لم يأتِ معهم عندما تحركوا نحونا، بل بقي وراءهم؛ وهو ما يتناقض تمامًا والأخلاق التي تحدد سلوك ضباط المريخ. كان ينبغي أن يقودهم، وأن يشتبك معنا بنفسه، وأن يقدم مثالًا للشجاعة أمام رجاله.

سحبنا سيفينا الطويلين من غمدهما وواجهنا المخلوقات الخمسة المرعبة، ونحن نقف ظهرًا بظهر وهم يحيطون بنا. نسج سيف أمير الحرب شبكة حادة من الصلب أمامه، بينما قمتُ بأفضل ما في وسعي للدفاع عن أميري والتمسك بشرف سيفي. كان أدائي جيدًا، ويعتبرني

جون كارتر نفسه، وهو أعظم مبارز، مبارزًا عظيمًا. أما خصومنا، فلم يكونوا بالكفاءة نفسها. لم يتمكنوا من اختراق حمايتنا، على الرغم من أنهم قاتلوا بتجاهل كامل للبقاء أحياء؛ فقد كانوا يلقون بأنفسهم على سيوفنا ثم يجيئون ثانية لمزيد من العقاب. وكان ذلك بمثابة الملمح المُحبِط في هذه المواجهة البشعة. فقد تكررت طعناتي؛ وعندما أطعن أحدهم، أجده يتراجع إلى أن يخرج سيفي من جسده ثم يأتي نحوي ثانية. يبدو أنهم لا يعانون من الصدمة أو من الألم، ولا يعرفون الخوف. قطع سيفي ذراع أحدهم من الكتف؛ وبينما اشتبك معي زميله، وجدته ينحني ويستعيد سيفه بيده الأخرى ويقذف ذراعه المقطوعة جانبًا. قطع جون كارتر رأس أحد خصومه، لكن الجسم استمر يدور وهو يضرب ويطعن بغضب واضح غير قابل للسيطرة إلى أن أمر الدوّار العديد من المحاربين الآخرين بالإمساك به ونزع سلاحه، وكان الرأس راقدًا طوال الوقت يثرثر ويتمرغ في التراب. وقد كان أول خصومنا الذي يصبح عاجزًا بشكل دائم عن القتال، وأوحى لنا بالطريقة الوحيدة التي يمكننا تحقيق الانتصار خلالها.

قال لي أمير الحرب: «اقطع رؤوسهم يا فور داج!»، وكان يقطع وهو يتحدث رأس محارب آخر.

أقول لك إنه كان مشهدًا بشعًا. استمر الجسم في القتال ورأسه ملقًى على الأرض يصرخ ويلعن. تقدم جون كارتر لنزع سلاحه، وعندئذٍ اندفع الجسم إلى الأمام وضربه تحت ركبتيه بكتلة جذعه مقطوع الرأس، فأفقده توازنه. ومن حسن الحظ أنني رأيت ما يحدث، ولولا

ذلك كان يمكن أن يطعن مخلوق آخر أمير الحرب. جئت في الوقت المناسب، وقطعت رأس المخلوق، وسقط على الأرض. لم يتبقَّ سوى اثنين من خصومنا، لكن الدوّار استدعاهما.

انسحبوا إلى ركوباتهم، ورأيت الضابط يصدر تعليمات، لكني لم أتمكن من سماع ما كان يقوله. تصورت أنهم سوف يستسلمون ويغادرون، حيث نهض العديد منهم وامتطوا طيور المالاجور الكبيرة، لكن الدوّار لم يركب فوق طائره وإنما ظل واقفًا هناك يراقب. حلقت المجموعة التي امتطت الطيور فوقنا مباشرة، بعيدًا عن متناول سيوفنا؛ وترجل عدد من زملائهم واقترب منا، وإن ظلوا أيضًا محافظين على مسافة منا. كانت الرؤوس الثلاثة المقطوعة ملقاة على الأرض وتلعننا. نزعوا سلاح جسمين وقيدوهما، في حين كانت قِطع الجسم الثالث تتناثر هنا وهناك، وسعى زميلان إلى إدخالها في الشباك التي ألقوها عليها بقدر ما تمكنوا من الاقتراب بما يكفي.

لمحت أضواء جانبية بنظرة سريعة؛ لأن اهتمامي كان منصبًا أكثر على تصرفات أولئك الذين يحلقون فوقنا، في محاولة لتحديد وضعية هجومهم المقبل. ولم أنتظر طويلًا لإرضاء فضولي. فكوا الشِّباك التي يلفها كل منهم حول خصره، وكنت أتصور أنها جزءٌ من ملابسهم، وألقوها علينا في محاولة لإيقاعنا في الشَّرَك. حاولنا قطع نسيج الشِّباك، مع شعور متزايد بعدم الجدوى. وعلى الرغم من أننا قطعناه في أماكن عديدة، لم نتمكن من الهروب منه. وعندما أسقطوا علينا بمهارة شبكتين أخريين، نجحوا في اصطيادنا وأصبح وضعنا يائسًا. اندفع نحونا المحاربون الذين حاصرونا على الأرض، وقيدونا. قاتلنا،

ولكن حتى قوة أمير الحرب الهائلة كانت بلا جدوى في مواجهة تلك الشِّباك المتشابكة والقوه الغاشمة التي تمتلكها الكائنات البشعة التي فاقتنا عددًا بكثير. اعتقدتُ أنهم ربما سيقتلوننا الآن، لكنهم تراجعوا بأمر من الدوّار. هبط الذين كانوا يحلقون في الهواء، وجمعوا شباكهم. قاموا بجمع عدة رؤوس وأسلحة وربطوها بظهور طيور المالاجور، كما فعلوا الشيء نفسه مع الأجسام مقطوعة الرأس. وخلال قيامهم بذلك، اقترب الضابط وتحدث معنا. بدا أنه لا يضمر أي نية سيئة تجاهنا للأضرار التي ألحقناها بمحاربيه، وكان كريمًا بما يكفي لمجاملتنا على شجاعتنا وقدرتنا على المبارزة.

«ومع ذلك»، أضاف، «كان من الحكمة أن تأخذا بنصيحتي وتستسلما منذ البداية. إنها لمعجزة أنكما لم تُقتلا أو على الأقل تُصابا بجراح شديدة. إن قدرتكما الإعجازية على المبارزة هي ما أنقذتكما».

أجاب جون كارتر: «المعجزة الوحيدة هي احتفاظ أي من رجالك برأسه. إن قدرتهم على المبارزة بغيضة».

ابتسم الدوّار، وقال: «أتفق معك تمامًا. على أن ما يفتقرون إليه في التقنية يعوضونه أكثر في قوتهم الغاشمة وعدم خوفهم، وضرورة تقطيع أوصالهم لكي تتقي ضررهم. فكما لاحظت، لا يمكن قتلهم».

سأله أمير الحرب: «والآن بعد أن أصبحنا سجناءك، ماذا تنوي أن تفعل معنا؟».

– سآخذكما إلى رؤسائي. هم سيقررون. ما أسماؤكما؟

– هذا فور داج. وأنا دوتار سوجات.

– أنتما من هيليوم، وكنتما ذاهبان إلى فوندال. لماذا؟

– كما قلت لك، نحن من البانتان، ونبحث عن عمل.

– هل لديكما أصدقاء في فوندال؟

– كلا. لم نذهب إلى هناك من قبل. إذا وجدنا مدينة أخرى في طريقنا، كنا سنعرض خدماتنا هناك. أنت تعرف وضع البانتان.

أومأ الرجل، وقال: «ربما ستشتبك في قتال».

سألته: «هل تمانع في أن تخبرني ما نمط تلك المخلوقات من محاربيك؟ لم يسبق لي أن رأيت رجالًا مثلهم».

قال: «ولم يسبق لأي شخص آخر أن رأى مثلهم. إنهم يُسمون هورماد. كلما قلت مشاهدتك لهم، سيزداد إعجابك بهم. والآن، لأن عليكما الاعتراف بأنكما سجيناي، لديَّ اقتراح أقدمه لكما. إن الرحلة إلى موربوس لن تكون مريحة على الإطلاق وأنتما مقيدان؛ وأنا لا أرغب في تعريض اثنين من المقاتلين الشجعان لعدم راحة غير ضرورية. إذا أكدتما لي أنكما لن تحاولا الهروب قبل أن نصل إلى موربوس، فسوف أزيل قيودكما».

كان من الواضح أن الدوّار زميل لطيف. قبلنا عرضه بكل سرور، وأزال قيودنا بنفسه؛ ثم طلب منا أن نركب وراء اثنين من محاربيه. وكانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها عن قرب المرأة التي تركب أمام هورماد على أحد طيور المالاجور. التقت أعيننا، ورأيت الرعب والضعف ينعكسان في عينيها. رأيت أيضًا مدى جمالها. أقلعت الطيور الكبيرة وهي ترفرف بأجنحتها العملاقة الرائعة، واتخذنا طريقنا إلى موربوس.

الفصل (٤)

سر المستنقعات

كان أحد الرؤوس التي أطحنا بها في قتالنا مع الهورماد مُعلقًا في شبكة على جانب طائر المالاجور الذي امتطيته. تعجبت لماذا يحتفظون بمثل هذه الغنيمة المروعة، وعزوت ذلك إلى بعض الأعراف أو الخرافات التي تتطلب إعادة الجسم إلى وطنه للتخلص منه نهائيًّا.

يقع مسارنا جنوب فوندال، ويسعى القائد بوضوح إلى تجنبها. رأيت أمامي المستنقعات التونولية الشاسعة، تمتد إلى مسافة بعيدة بقدر ما يمكن أن ترى العين. إنها متاهة من الممرات المائية المتعرجة، تشق طريقها عبر مستنقعات مقفرة، وترتفع الجُزر خلالها أحيانًا من الأرض الصلبة، مع تناثر مناطق مظلمة هنا وهناك من الغابات وزُرقة البحيرات الصغيرة.

وخلال مشاهدتي لهذه الصورة البانورامية التي تتكشف أمامنا، سمعت صوتًا يهتف فجأة شاكيًا: «أدرني. لا أستطيع رؤية أي شيء سوى بطن هذا الطائر». بدا الصوت صادرًا من أسفلي؛ وبإلقاء نظره خاطفة إلى أسفل، رأيت أن الرأس المُعلق في الشبكة تحتي هو الذي يتحدث. يرقد الرأس في الشبكة، ووجهه إلى أعلى نحو بطن المالاجور، وعاجز

عن الالتفات أو تحريك نفسه. كان مشهدًا مروعًا، مشهد هذا الشيء الميت يتحدث؛ ويجب أن أعترف أنه جعلني أرتجف.

قلت: «لا يمكنني أن أقلبك؛ لأني لا أستطيع الوصول إليك. وما الفارق على أي حال؟ ما الفارق إذا كانت عيناك تنظران في اتجاه أو آخر؟ أنت ميت، والموتى لا يمكنهم الرؤية».

- وهل يمكنني أن أتحدث إذا كنت ميتًا، أيها الأحمق الأبله؟ أنا لست ميتًا؛ لأنني لا أموت. إن مبدأ الحياة متأصل بداخلي- في كل نسيج مني. وسوف يظل قائمًا ما لم يتعرض للدمار تمامًا، مثل تعرضه للحرق؛ وسوف تستمر الحياة. إنه قانون الطبيعة. أدرني، أيها الغبي! يمكنك أن تهز الشبكة، أو تسحبها إلى أعلى وتقلبني.

حسنًا، إن أخلاق هذا الشيء سيئة للغاية؛ وإنما تبادر إلى ذهني أنني ربما أشعر بالانزعاج إذا ما قُطع رأسي؛ فقمت بهز الشبكة إلى أن انقلب الرأس على جانبه بحيث لم يعد ينظر إلى بطن المالاجور.

سألني: «ما اسمك؟».

- فور داج.

- سأتذكره. قد تحتاج إلى صديق في موربوس. سأتذكرك.

قلت: «شكرًا»، وتعجبتُ، فماذا يمكن أن يقدمه صديق جيد لا جسم له. وتعجبت أيضًا أن هز الشبكة لهذا الشيء كان يتجاوز حقيقة أنني من قطع رأسه. ومن باب التهذيب فقط، سألته عن اسمه.

أجاب: «أنا تور-دور-بار. أنا تور-دور-بار نفسه. ومن حسن

حظك أن أكون صديقك. أنا رائع حقًّا. وسوف تُقدِّر ذلك عندما نصل إلى موربوس وتعرف الكثير منا، نحن الهورماد».

تور-دور-بار معناها أربعة ملايين وثمانية [٤,٠٠٠,٠٠٨] في لغة كوكبك، كوكب الأرض. يبدو الاسم غريبًا، بيد أن كل شيء عن هؤلاء الهورماد كان غريبًا. ومن الواضح أن الهورماد الجالس أمامي كان يستمع إلى حديثنا؛ لأنه أدار رأسه قليلًا وقال باستخفاف: «لا تولي اهتمامًا لتور-دور-بار. إنه مغرور. لكنني أنا الرائع. وإذا كنت ترغب في صديق قوي- حسنًا، لن تحتاج إلى أن تنظر أبعد مني. لا يمكنني أن أقول أكثر من ذلك؛ أنا شديد التواضع. لكنك إذا احتجت إلى صديق حقيقي في أي وقت، ليس عليك إلا أن تأتي إلى تيايتان-أوف». (وهذا يعني ١١٠٧ في لغتك بكوكب الأرض).

سخر تور-دور-بار باشمئزاز: «'مغرور' بالفعل! أنا المُنتَج النهائي من مليون ثقافة، أو أكثر من أربعة ملايين [٤,٠٠٠,٠٠٠] ثقافة على وجه الدقة. أما تيايتان-أوف، فهو بالكاد ما يزيد على تجربة».

قال تيايتان-أوف مُهدِّدًا: «إذا خففت من قبضة شبكتي، فإنك تصبح مُنتَجًا مُنتهيًا».

بدأ تور-دور-بار يصرخ: «سايتور[٣٢]! سايتور! القتل!».

(٣٢) سايتور: دوّار الكتيبة، وهو مريخي أحمر يخدم جِد الهورماد في موربوس. وربما كان مخه هو مخ هورماد ومزروع في رأس رجل أحمر - https://barsoom.fandom.com/wiki/Sytor - المترجمة.

كان الدوّار يطير على رأس كتيبته الغريبة، وعندئذ أدار طائره المالاجور نحونا وطار إلى جانبنا. سأل: «ماذا يحدث هنا ؟».

بكى تور-دور-بار قائلًا: «تيايتان-أوف يهدد بالتخلص مني في مستنقعات تونول. خذني بعيدًا عنه يا سايتور».

سأل سايتور: «تتشاجران ثانية، هه؟ إذا سمعت منكما أي كلام آخر، سيذهب كلاكما إلى المحرقة عندما نعود إلى موربوس. وأنت يا تيايتان-أوف، تأكد من عدم حدوث أي شيء لتور-دور-بار، هل تفهم؟».

ولول تيايتان-أوف، وعاد سايتور إلى موقعه. واصلنا طريقنا بعد ذلك في صمت، وأخذت أتأمل أصل هذه المخلوقات الغريبة التي وقعتُ بين أيديها. كان أمير الحرب يركب طائرًا أمامي، وتركب الفتاة طائرًا على يساري قليلًا. تجولت عيناي كثيرًا في اتجاهها؛ وتعاطفت معها لأني كنت على يقين من أنها أيضًا سجينة. تُرى إلى أي مصير فظيع يحملونها؟ الوضع سيئ للغاية لأي رجل، ولا يمكنني سوى أن أخمن أنه أسوأ بالنسبة لامرأة.

طارت المالاجور بسرعة وسلاسة. وهي تطير، حسب تخميني، بسرعة تزيد على ٤٠٠ هاد في الزود[٣٣] (أي حوالي ٦٠ ميل في الساعة). ويبدو أنها لا تكل؛ فقد ظلت تطير ساعة بعد ساعة، دون راحة.

---

(٣٣) الزود: حوالي ١٦٦ ميل في الساعة بمقاييس كوكب الأرض. [وقد ورد في قصة «آلهة المريخ» أن يوم المريخ يزيد بمقدار ضئيل على ٢٤ ساعة و٣٧ دقيقة (بتوقيت كوكب الأرض). ويقسمه المريخيون إلى عشرة أجزاء متساوية تُسمَّى زود (أي أن دورة المريخ حول محوره تساوي ١٠ زود) - المترجمة].

وبعد تحليقها فوق فوندال، اتجهت نحو الشرق؛ واقتربت في وقت متأخر بعد الظهيرة من جزيرة كبيره ترتفع وسط المستنقعات المحيطة بها. تلتف حول حدودها الشمالية إحدى الممرات المائية المتعرجة التي لا تُعد ولا تُحصى، ثم تتسع هنا لتُشكل بحيرة صغيرة على شاطئ مدينة صغيرة مُسورة طفنا حولها مرة قبل أن ننخفض إلى المهبط أمام بوابتها الرئيسة التي تواجه البحيرة. لاحظت خلال هبوطنا مجموعات من أكواخ صغيرة متناثرة حول الجزيرة خارج أسوار المدينة، أينما امتد بصري، مما يوحي بوجود عدد كبير من السكان. ونظرًا لأنني لم أستطع أن أرى سوى جزء صغير من الجزيرة، والتي كانت شاسعة الامتداد، انتابني انطباع أن عدد سكانها هائل. على أنني عرفت لاحقًا أن أكثر تخميناتي جموحًا كان لا يمكن مساواته بالحقيقة.

بعد أن ترجلنا، جمعونا معًا نحن السجناء الثلاثة. أما الأذرع والسيقان والرؤوس والأجسام التي أنقذوها من معركتنا في وقت سابق من اليوم، فكانت موضوعة في شِباك بحيث يمكن حملها بسهولة. تأرجحت البوابات مفتوحة، ودخلنا إلى مدينة موربوس.

كان الضابط المسؤول عن البوابة يتسم بمظهر بشري طبيعي تمامًا، لكنَّ محاربيه كانوا من الهورماد البشعين القبحاء. تبادل الضابط التحيات مع سايتور، وسأله بعض الأسئلة حولنا، ثم وجّه الحمّالين بأخذ أحمالهم البشعة إلى «مختبر الإصلاح رقم ٣»، وبعد ذلك قادنا سايتور إلى طريق يمتد جنوبًا من البوابة. وعند أول تقاطع، استدار الحمّالون إلى اليسار ومعهم الجثث المشوهة؛ ومع ابتعادهم، صاح

صوت: «لا تنسَ يا فور داج أن تور-دور-بار صديقك وأن تيايتان-أوف أفضل قليلًا من تجربة».

نظرت حولي، فرأيت رأس ٠٠٨ , ٠٠٠ , ٤ المروع وهو يغمز لي من أسفل الشبكة. قلت له: «لن أنسى»؛ وكنت أعرف أنني لن أنسى هذا الرعب أبدًا، على الرغم من تساؤلي عن الطريقة التي يمكن أن يخدمني بها رأس بلا جسم مهما كانت ودية نواياه.

تختلف موربوس عن أي مدينة مريخية زرتها من قبل. كانت مبانيها كبيرة وخالية من الزخارف، ولبساطة خطوطها مهابة تضفي عليها جمالًا خاصًّا بها. كما أنها تعطي الانطباع بأنها مدينة جديدة، مبنية وفقًا لخطة مدروسة جيدًا، ينم كل خط فيها عن الكفاءة. لم أستطع إلا أن أتساءل ما الغرض من وجود مثل هذه المدينة هنا، في أعماق المستنقعات التونولية الكبرى؟ مَن يمكنه أن يعيش، باختياره، في مثل هذه البيئة النائية والكئيبة؟ كيف توجد مثل هذه المدينة دون أسواق أو تجارة؟

توقفت تأملاتي بوصولنا أمام مدخل صغير في سور أبيض. دق سايتور على الباب بمقبض سيفه، وعندئذ فُتِحت لوحة صغيرة وظهر وجه.

«أنا سايتور، دوّار الأوتان[٣٤] العاشر، الدار[٣٥] الأول لحرس

(٣٤) الأوتان: سرية من الجنود تضم مائة جندي - http://barsoom.wikia.com/wiki/Special:Search?query=utan - المترجمة.

(٣٥) دار: وحدة عسكرية تضم ١٠ أوتان، بما يصل مجموع أفراد الدار إلى ١٠٠٠ جندي - https://barsoom.fandom.com/wiki/Martian_Military - المترجمة.

الجِد[٣٦] الثالث. وقد أحضرت سجناء، وأنتظر قرار مجلس الجِدود السبعة».

سأله رجل البوابة الصغيرة: «كم عددهم؟».

«ثلاثة – رجلان وامرأة».

تأرجح الباب مفتوحًا، وأومأ لنا سايتور بالدخول. لم يرافقنا. وجدنا أنفسنا في ما يبدو واضحًا أنه غرفة الحرس، حيث ضمت حوالي عشرين محاربًا من الهورماد بالإضافة إلى الضابط الذي أدخلنا، وكان – مثل الضباط الآخرين الذين رأيناهم – رجلًا عاديًّا، أحمر البشرة مثلنا. سأل عن أسمائنا، وأدخلها في دفتر مع معلومات أخرى مثل مهنة كل منا والمدينة التي جاء منها. وعرفت خلال هذا الاستجواب اسم الفتاة. كان اسمها جاناي؛ وقالت إنها جاءت من أمهور– وهي مدينة تبعد حوالي ٧٠٠ ميل شمال موربوس؛ وهي مدينة صغيرة يحكمها أمير يدعى جال هاد ولديه سمعة سيئة وصلت حتى إلى هيليوم البعيدة. هذا كل ما كنت أعرفه عن أمهور.

وبعد أن انتهى من استجوابنا، وجه الضابط أحد الهورماد ليأخذنا. قادنا أسفل ممر إلى فناء كبير، يضم عددًا من المريخيين الحُمر. قال الهورماد: «سوف تبقون هنا إلى أن يرسلوا في طلبكم. لا تحاولوا الهرب»، ثم تركنا.

«الهرب!»، قال جون كارتر بابتسامة ساخرة. «لقد هربت من أماكن

(٣٦) جِد: الجِد هو لقب قائد مدينة أو جماعة http://barsoom.wikia.com/wiki/Jed – المترجمة.

كثيرة؛ وربما يمكنني الهرب من هذه المدينة، لكن الفرار من مستنقعات تونول مسألة أخرى. ومع ذلك، سنرى».

اقترب منا الآخرون، الذين اتضح أنهم سجناء أيضًا. كانوا خمسة. قاموا بتحيتنا: «كاور!»[٣٧]. تبادلنا الأسماء، وسألونا العديد من الأسئلة حول العالم الخارجي، كما لو أنهم سجناء منذ سنوات. لكنهم ليسوا كذلك؛ وإنما يبدو أن موربوس معزولة تمامًا بحيث يشعرون أنهم خارج العالم منذ فترة طويلة. كان اثنان منهم من فوندال، وواحد من تونول، وواحد من بتارث، وواحد من دوهور.

سأل جون كارتر: «لأي غرض يبقون السجناء؟».

أوضح باندار، أحد القادمين من فوندال: «إنهم يستخدمون البعض كضباط لتدريب وقيادة محاربيهم. ويستخدمون أجساد الآخرين لوضع أمخاخ الهورماد الأذكياء بما يكفي للخدمة في مناصب عالية. وتذهب جثث آخرين إلى مختبرات الاستزراع، حيث تُستخدم أنسجتها في الأعمال الملعونة التي يقوم بها راس ثافاس».

صاح أمير الحرب: «راس ثافاس! هل هو هنا في موربوس؟».

أجاب جان هاد، من تونول: «إنه سجين في مدينته الخاصة، خادم المخلوقات البشعة التي يقوم بتصميمها».

قال جون كارتر: «لا أفهم ما تقول».

---

(٣٧) كاور: كلمة التحية بلغة أهل المريخ – http://barsoom.wikia.com/wiki/Martian_Language – المترجمة

أوضح جان هاد: «بعد أن نجح فوبيس كان، جيداك تونول، من طرده من مختبراته العظيمة، جاء راس ثافاس إلى هذه الجزيرة لاستكمال وإتقان اكتشاف كان يعمل عليه لسنوات، وهو بناء بشر من الأنسجة البشرية. وقد أتقن مزرعة تنمو فيها الأنسجة بشكل مستمر. وملأ الناتج من الجزيئات الصغيرة للأنسجة الحية غرفة كاملة في مختبره، لكنه كان بلا شكل. وتمثلت مشكلته في توجيه هذا الناتج النامي. قام باختبارات مع زواحف مختلفة لاستنساخ أجزاء معينة من أجسامهم مثل أصابع الأقدام، والذيول، والأطراف عند قطعها؛ وفي النهاية اكتشف المبدأ. وقد طبق ذلك على التحكم في نمو الأنسجة البشرية في مزرعة شديدة التخصص. وكان الهورماد هم نتيجة هذه الاكتشافات والتجارب. إن ٧٥٪ من المباني في موربوس مكرسة لاستزراع ونمو هذه المخلوقات البشعة التي ينتجها راس ثافاس بأعداد هائلة.

«ويتسم جميعهم، عمليًّا، بذكاء منخفض للغاية؛ لكنَّ عددًا قليلًا منهم تطورت لديه أمخاخ عادية، وتجمع بعضهم للاستيلاء على الجزيرة وإنشاء مملكه خاصة بهم. وقد أجبروا راس ثافاس، بعد تهديده بالموت، على الاستمرار في إنتاج هذه المخلوقات بأعداد كبيرة، ووضعوا خطة مذهلة لا تقل عن بناء جيش من ملايين الهورماد واستخدامهم لقهر العالَم. سوف يبدأون بفوندال وتونول، ثم ينتشرون تدريجيًّا على سطح الكوكب بأكمله».

«شيء مذهل»، قال جون كارتر، «لكني أعتقد أنهم وضعوا خطتهم دون فهم كامل لجميع المشكلات التي ينطوي عليها مثل هذا العمل.

فمن غير المتصور، على سبيل المثال، أن تتمكن برسوم من تغذية مثل هذا الجيش في الميدان؛ كما أن هذه الجزيرة الصغيرة لا يمكنها بالتأكيد تغذية نواة مثل هذا الجيش».

أجاب جان هاد: «أنت هنا مخطئ. يجري إنتاج غذاء الهورماد بوسائل مماثلة تقريبًا لتلك التي تُنتِجهم- استزراع مختلف قليلًا؛ هذا هو كل شيء. تنمو الأنسجة الحيوانية بسرعة كبيرة جدًّا في تلك المزرعة، ويمكن نقلها مع جيش في صهاريج بحيث توفر باستمرار ما يكفي من طعام. كما توفر أيضًا ما يكفي من الماء، نظرًا لمحتواها المائي الكبير».

سألته: «ولكن، هل يمكن لأنصاف البشر هؤلاء أن ينتصروا على القوات الذكية جيدة التدريب والمُجهزة للحرب الحديثة؟».

قال باندار: «أعتقد ذلك. سينجحون بأعدادهم الساحقة، وعدم خوفهم على الإطلاق، وحقيقة أنه من الضروري قطع رؤوسهم قبل أن يصبحوا عاجزين عن القتال».

سأل جون كارتر: «ما حجم جيشهم الكبير؟».

- يوجد عدة ملايين من الهورماد على الجزيرة. وتنتشر أكواخهم على كامل منطقة موربوس. وهناك تقدير أن الجزيرة يمكنها استيعاب مائة مليون منهم. ويزعم راس ثافاس أن بإمكانه إرسال ٢,٠٠٠,٠٠٠ [مليونين] منهم سنويًّا إلى المعركة؛ وإذا فقدهم، لا تزال لديه قوته الأصلية غير المستنفدة بقدر رجل واحد. إن هذا المصنع ينتجهم بكميات هائلة. وهناك نسبة مئوية معينة مشوهة بشكل صارخ، إلى حد

أنها عديمة الفائدة تمامًا. وعندئذ يجري تقطيعها إلى مئات الآلاف من القطع الصغيرة وتُلقى ثانية في أحواض الاستزراع، حيث تنمو بسرعة لا تُصدق وتتطور في غضون تسعة أيام إلى هورماد كامل الحجم، ويتطور عدد مذهل منها إلى شيء يمكنه السير واستخدام السلاح ببراعة.

قال جون كارتر: «يبدو الوضع خطيرًا، وإن كان يبقى هناك شيء واحد».

سأله جان هاد: «وما هو؟».

– النقل. كيف سينقلون مثل هذا الجيش الهائل؟

– كانت هذه مشكلتهم، لكنهم يعتقدون أن راس ثافاس قد حلها الآن. فقد أجرى تجارب لفترة طويلة على أنسجة المالاجور في وسيط استزراع خاص. وإذا أمكنه إنتاج هذه الطيور بكميات كافية، ستُحل مشكله النقل. أما بالنسبة لسفن القتال التي سيحتاجون إليها، فهم يعتمدون على السفن التي يتوقعون الاستيلاء عليها، عندما يأخذون فوندال وتونول، كنواة لأسطول كبير ينمو مع اتساع فتوحاتهم وامتدادها إلى مدن أكثر وأكبر.

انقطع الحديث بوصول اثنين من الهورماد يحملان وعاء يحتوي على نسيج حيواني لوجبتنا المسائية – وكان عبارة عن كمية من الفوضى تبدو غير شهية على الإطلاق.

قام السجين من دوهور، الذي بدا متطوعًا للعمل كطباخ، بإشعال نار في الفرن الذي يُشكل جزءًا من الحائط البالغ طوله عشرين قدمًا،

ويغلق الجانب الوحيد من الفناء غير المُحاط بأجزاء من البناية؛ وها هو عشاؤنا الآن على الشواية فوق النار الساخنة.

لم أتمكن من التفكير في مادة وجبتنا دون شعور بالاشمئزاز، على الرغم من أنني كنت جائعًا جدًّا؛ وكان ذهني يموج بالشكوك التي تولدت من كل ما سمعته منذ دخولي هذا المُجمع، ولذا تحولت نحو جان هاد وسألته: «هل هذا، بأي حال من الأحوال، نسيج بشري؟».

ارتجف وقال: «ليس من المفترض؛ لكن هذا هو السؤال الذي لا نسأله حتى لأنفسنا؛ لأننا يجب أن نأكل لنعيش، وهذا هو كل ما يجلبونه لنا».

* * *

الفصل (٥)

صدور حكم الجِدود

جلست جاناي، فتاة أمهور، بعيدًا. بدا لي وضعها يثير الشفقة إلى أقصى حد – امرأة وحيدة مسجونة مع سبعة رجال غرباء في مدينة أعداء بشعين. إننا نحن رجال برسوم الحُمر عِرق شهم بطبيعتنا؛ لكن الرجال هم رجال، ولا أعرف شيئًا عن الخمسة الذين وجدناهم هنا. ستظل آمنة ما دمنا أنا وجون كارتر سجناء معها؛ هذا ما أعرفه. وتصورت أن معرفتها بذلك، قد تخفف عنها عبء تخوفاتها.

عندما اقتربت منها بنية الحديث معها، دخل الضابط الذي سبق أن استجوبنا في غرفة الحرس ومعه ضابطان آخران وعدد من الهورماد. جمعونا معًا، ونظر نحونا الضابطان المرافقان لضابط الحرس؛ ثم قال أحدهم: «ليست حصيلة سيئة».

هز الآخر كتفيه وقال: «سيأخذ الجِدود أفضلهم، ويتذمر راس ثافاس بشأن المواد التي يحصل عليها. فهو يفعل ذلك دائمًا».

تساءل ضابط الحرس: «إنهم لا يريدون الفتاة، أليس كذلك؟».

أجاب أحد الآخرين: «الأوامر التي تلقيناها تقضي بإحضار السجناء».

قال ضابط الحرس: «أريد الاحتفاظ بالفتاة».

ضحك الآخر قائلًا: «ومَن لا يريد ذلك؟ قد تحصل عليها إذا كان لديها وجه أولسيو[٣٨]؛ لكن الفتيات حسناوات المظهر يذهبن إلى الحِدود، وهذه أكثر من مجرد حسنة المظهر».

كانت جاناي تقف بجانبي، ويمكنني أن أشعر تقريبًا بارتجافها. تحركت بدافع مفاجئ، وضغطتُ على يدها؛ تشبثت بي للحظة، ملتمسة الحماية غريزيًّا؛ ثم أبعدت يدها وتورد وجهها.

قلت: «أتمنى أن أتمكن من مساعدتكِ».

– أنت شخص طيب. وأنا أفهم ذلك، وإنما لا يستطيع أحد المساعدة. وضعك أفضل لأنك رجل. وأسوأ ما سيفعلونه بك هو قتلك.

حاصرنا الهورماد البشعون، وساروا بنا مرة أخرى خلال غرفة الحراسة ثم إلى الشارع. سأل جون كارتر ضابطًا إلى أين يأخذوننا.

فقال: «إلى مجلس الحِدود السبعة، حيث يقررون كيفية التصرف معكم. بعضكم سيذهب إلى أحواض الاستزراع. والمحظوظون منكم، سيحتفظون بهم لتدريبهم والعمل كضباط للقوات مثلي. وهو أمر ليس رائعًا، لكنه أفضل من الموت».

سأله أمير الحرب: «وما هو مجلس الحِدود السبعة؟».

---

(٣٨) أولسيو: مخلوق مريخي مروع يماثل إلى حد كبير الجرذ على كوكب الأرض. يشبه الفأر الصغير الذي نما إلى حجم كلب الصيد الضخم – https://barsoom.fandom.com/wiki/Ulsio – المترجمة.

– إنهم حُكّام موربوس. هم سبعة من الهورماد، تطورت أمخاخهم بشكل طبيعي وانتزعوا السيطرة من راس ثافاس. يتوق كل منهم إلى أن يحكم؛ ونظرًا لأن أيًّا منهم لن يتخلى عمَّا يعتبره حقوقه، فقد أعلنوا أنهم جميعًا جِدود ويحكمون بشكل مشترك.

وصلنا بعد مسافة قصيرة من السجن إلى مبنى كبير، يقف أمام مدخله حارس من المحاربين الهورماد بقيادة ضابطين. جرت محادثة قصيرة هنا، ثم اقتادونا إلى المبنى وسرنا عبر ممر طويل إلى غرفة كبيرة أمام مدخل، حيث احتجزتنا مجموعة أخرى من الحرس لبضع دقائق. وعندما فُتِح الباب، رأينا عددًا من الهورماد والضباط يقفون، كما رأينا في أقصى نهاية الغرفة منصة مرتفعة يجلس على مقاعدها المنحوتة سبعة رجال حُمر البشرة. وكان من الواضح أنهم الجِدود السبعة، لكن مظهرهم لم يكن مثل الهورماد الذين رأيناهم سابقًا. بل على العكس، كان مظهرهم طبيعيًّا ويتمتع معظمهم بحسن المظهر.

اقتادونا أمام المنصة، حيث أخذ الجِدود يتفحصوننا ويسألون نفس الأسئلة التي سألها لنا ضابط الحرس عندما أُدخلنا إلى السجن. ناقشونا نقاشًا مطولًا، كما يتناقش الرجال عند شراء عددٍ من الثوات[٣٩] أو

(٣٩) الثوات: حيوان مريخي يبلغ ارتفاعه عشرة أقدام، ولديه أربع أرجل على كل جانب، وذيله عريض مُسطح وحجمه عند الطرف أكبر منه عند المنبت، ويمتد مباشرة خلفه عندما يجري؛ وفمه مفتوح يقسم رأسه من أنفه إلى عنقه الطويل الضخم. وهو خال تمامًا من الشَّعر، ولون بشرته هو الرمادي الذي تشوبه الزُّرقة. أما بطنه فلونه أبيض، ويتدرج لون سيقانه بظلال من لون الكتفين فالوركين وصولًا إلى اللون الأصفر الزاهي عند أقدامه. والأقدام نفسها شديدة الامتلاء وبلا أظافر، مما يسهم أيضًا في تحركه دون ضوضاء؛ وهو الأمر الذي يُشكل، إضافة إلى تعدد سيقانه، سمة مميزة لحيوانات المريخ http://barsoom.wikia.com/wiki/Thoat – المترجمة.

الكالوت[٤٠]. بدا العديد منهم أكثر اهتمامًا بجاناي، وفي النهاية طالب بها ثلاثة منهم. وعندئذ بدأت مشادة، وانتهت إلى إجراء تصويت لتحديد من سيحصل عليها. ونظرًا لعدم حصول أي منهم أبدًا على أغلبية، فقد تقرر حبسها لبضعة أيام ثم تسليمها إلى راس ثافاس إذا لم يتوصل المطالبون بها إلى اتفاق فيما بينهم. وبعد اتخاذ هذا القرار، توجه أحد الجِدود إلى مخاطبتنا نحن الرجال السجناء.

سألنا: «كم منكم سيخدمنا كضباط في قواتنا إذا سمحنا لكم بالعيش؟».

ونظرًا لأن البديل الوحيد كان الموت، فقد أعلنّا جميعًا عن استعدادنا للعمل كضباط. أومأ الجِدود، ثم قال أحدهم: «سوف نحدد الآن مَن منكم أفضل استعدادًا للعمل كضابط مع مقاتلينا»؛ ثم قال لضابط يقف بالقرب منا: «عليك إحضار سبعة من أفضل محاربينا».

اقتادونا بعد ذلك إلى أحد جوانب الغرفة، حيث انتظرنا. قال جون كارتر مبتسمًا: «يبدو أننا سنقاتل».

أجبته: «أنا على يقين أنه لا يوجد شيء يناسبك أفضل من ذلك».

قال: «ولا أنت»، ثم التفت إلى الضابط الذي كان قد تحدث معه خلال الطريق من السجن وقال: «اعتقدت أنك أخبرتني أن الجِدود السبعة من الهورماد».

---

(٤٠) الكالوت: الكلب المريخي، وهو بحجم المُهر ولديه عشر أرجل، ويضم فكاه ثلاثة صفوف من الأنياب الطويلة الحادة – http://barsoom.wikia.com/wiki/Calot – المترجمة.

- نعم، إنهم من الهورماد.

- لكنهم لا يبدون مثل أي هورماد رأيته.

قال الضابط: «لقد عالجهم راس ثافاس. ربما لا تعرف أن راس ثافاس هو أعظم عالِم وجراح في برسوم».

- لقد سمعت عنه كثيرًا.

- ما سمعته صحيح. يمكنه إخراج مخك ووضعه في جمجمة رجل آخر. لقد قام بهذه العملية مئات المرات. وعندما سمع الجِدود السبعة عن ذلك، اختاروا سبعة من أفضل الضباط مظهرًا وأجبروا راس ثافاس على نقل أمخاخهم إلى جماجم هؤلاء الضباط؛ فقد كان هؤلاء الجِدود مخلوقات بشعة وأرادوا التمتع بمظهر وسيم.

سألته: «وماذا حدث للضباط السبعة؟».

- أخذوهم إلى أحواض الاستزراع، أو بالأحرى وُضِعت أمخاخهم في الأجسام الأصلية للجِدود السبعة. ها هم هنا المحاربون السبعة قادمون. ستعرفون خلال بضع دقائق مَن منكم سيذهب إلى الأحواض.

أخذونا الآن إلى وسط الغرفة، واصطف أمامنا سبعة من الهورماد ذوي الأجساد الضخمة. كانوا أقل تشوهًا من الهورماد الذين شاهدناهم حتى الآن، إلا أنهم لا يزالون أكثر المخلوقات إثارة للاشمئزاز من حيث مظهرهم. زودونا بالسيوف، وتولى ضابط إعطاءنا التعليمات. على كل منا أن يشتبك مع الهورماد الذي يواجهه؛ ومن يتمكن منا من النجاة دون الإصابة بجرح خطير، يُسمح له بالعيش والعمل كضابط في جيش موربوس.

بأمر من ضابط، تقدم الصفان المتواجهان؛ وفي لحظه رن في الغرفة صوت اصطدام السيوف. نعتقد نحن رجال هيليوم أننا أفضل المبارزين في برسوم، ولا يوجد من بيننا جميعًا مبارز عظيم مثل جون كارتر؛ ولذلك، لم تكن لديَّ أي مخاوف بالنسبة لنتائج المباراة بقدر ما يتعلق الأمر به وبي. كان المخلوق الذي يهاجمني يعتمد على وزنه وقوته الغاشمة للتغلب عليَّ، وهي التكتيكات التي يعتمدون عليها جميعًا بشكل عام لأنهم لا يتمتعون بأي قدر كبير من الذكاء. من الواضح أنه يأمل في اختراق دفاعي بضربة هائلة واحدة من سلاحه الثقيل، لكني متمرس منذ زمن طويل في القتال لأقع ضحية لمثل هذه الوسيلة الصريحة في الهجوم. وعندما تفاديت ضربته وخطوت جانبًا، هُرع نحوي برعونة؛ وكان يمكنني طعنه بسهولة، لكني تعلمت من لقائي الأول مع هذه الوحوش أن ما قد يُشكل جرحًا مميتًا لأي رجل لا يسبب للهورماد أي إزعاج على الإطلاق. يجب أن أقطع أحد سيقانه أو ذراعيه، أو أقطع رأسه لأخرجه من القتال. وهذا منحه، بطبيعة الحال، ميزة هائلة عليَّ؛ لكنه لم يكن لا يُقهر، أو هذا ما تصورته على الأقل في بداية اشتباكنا، على أنني سرعان ما بدأت في التشكك. كان الزميل المبارز أفضل بكثير من أي هورماد آخر ممن واجهناهم وقت القبض علينا. وقد عرفت في وقت لاحق أنهم اختاروا هذه المخلوقات التي تواجهنا الآن لذكائهم المتفوق، الذي كان أعلى قليلًا من المتوسط بين الهومارد، كما أن هذه المجموعة قد درست المبارزة على يد ضباط مريخيين حُمر.

لو كان رجلًا عاديًّا لكنت قتلته بسهولة؛ لكن تجنُّب اندفاعه المجنون وسيفه، وقطع رأسه، قد ظهر الآن أنه مهمة أكبر بكثير مما توقعت. وبغض النظر عن أي شيء، كان خصمًا بغيضًا للغاية، حيث كان وجهه شديد البشاعة. كانت لديه عين واحدة تقع في أعلى جبهته، ويصل حجمها إلى ضعف حجم عين زميله. وتقع أنفه حيث كان يجب أن توجد إحدى أذنيه، بينما تشغل أذنه الموضع الطبيعي لأنفه. وكان فمه عبارة عن شق كبير وملتوٍ وممتلئ بأنياب ضخمة. وقد تكفي ملامحه وحدها لإزعاج خصمه.

كنت ألمح أحيانًا المبارزات الأخرى التي تدور حولي. رأيت أحد الفونداليين يسقط. ورأيت، في الوقت نفسه تقريبًا، رأس خصم جون كارتر تتدحرج على الأرض وهي تلعن وتصرخ، بينما يندفع جسدها بجنون مُعَرِّضًا الجميع في الغرفة للخطر. وقد أخذ عدد من الهورماد والضباط الآخرين يطاردون الجسد بالأنشوطات والشِّباك في جهد للإمساك به وتقييده. وفي هذه الأثناء اندفع هذا الشيء نحو خصمي وأفقده توازنه، مما أعطاني الفرصة التي كنت أنتظرها. وجهت له ضربة هائلة نحو رقبته، أرسلت رأسه متدحرجًا على الأرض. أصبح هناك جسمان مقطوعا الرأس، يتحركان باندفاع يمينًا ويسارًا وبيد كل منهما سيفه الثقيل. أقول لك، انشغل الهورماد والضباط الآخرون بضع دقائق قبل أن يتمكنوا أخيرًا من الإمساك بتلك الأشياء الرهيبة والتغلب عليها؛ ومع انتهاء القتال، كان اثنان آخران من الهورماد يتقلبان على الأرض، وفقد كل منهما إحدى ساقيه. لقد هزمهما باندار وجان هاد. أما الرجل

من بتارث والرجل من دوهور، فقد قُتِلا. لم يبقَ منا نحن السبعة سوى أربعة. أخذ الرأسان على الأرض يوجهان لنا اللعنات، بينما يجمع الهورماد الآخرون حطام المعركة ويحملونه بعيدًا في شِباك.

اقتادونا الآن ثانية أمام منصة مجلس الحِدود السبعة؛ واستجوبونا مرة أخرى، وإن كان هذه المرة بعناية أكثر. وبعد انتهاء الاستجواب، بدأوا يتهامسون لفترة من الوقت، ثم خاطبنا أحدهم.

قال: «ستخدمون كضباط، وعليكم طاعة رؤسائكم وجميع الأوامر التي قد تتلقونها من مجلس الحِدود السبعة. لا يمكنكم الهروب من موربوس. إذا خدمتم بإخلاص، سنسمح لكم بالعيش. وإذا أذنبتم بارتكاب العصيان أو الخيانة، سوف نرسلكم إلى أحواض الاسترزاع، حيث تكون نهايتكم». ثم التفت نحوي ونحو جون كارتر، وقال: «أنتما يا رجال هيليوم، سوف تخدمان حاليًا مع حراس المختبر. ومن واجب حارس المختبر أن يتأكد من عدم هروب راس ثافاس وألا يلحق به أي ضرر. وقد اخترناكما لهذه المهمة لسببين: كلاكما مبارز ممتاز؛ وكونكما من هيليوم البعيدة، فليس لديكما أي شعور بالتحيز تجاهه، أو تجاه تونول أو فوندال. وبالتالي يمكنكما التصرف بالكامل لمصلحتنا ضد أولئك الأعداء. يرغب راس ثافاس في الهرب أو استعادة السيطرة على موربوس. وفوندال تريد إنقاذه، وتونول تود تدميره. وكل منهما سوف تسعد بإبعاده عنا، حتى لا يتمكن من إنتاج المزيد من الهورماد. أما بالنسبة للرجل من فوندال والرجل من تونول، فسيتم الاستعانة بهما لتدريب محاربينا عند خروجهم من أحواض الاسترزاع. لقد

تكلم مجلس الحِدود السبعة؛ وعليكم الطاعة». أومأ إلى الضابط الذي أحضرنا وقال: «خذهم بعيدًا».

نظرتُ نحو جاناي، التقت نظراتنا وابتسمت لي. كانت ابتسامة صغيرة شجاعة جدًّا. ابتسامة صغيرة مثيرة للشفقة، صادرة عن قلب يائس. ثم اقتادونا بعيدًا.

* * *

الفصل (٦)

راس ثافاس، العقل المدبر في المريخ

اقتادونا عبر الممر نحو المدخل الرئيس للمبنى، وكان ذهني منشغلًا باستعراض الأحداث الرهيبة التي مررنا بها اليوم؛ كأنما استغرقت هذه الساعات القليلة عُمرًا بأكمله. لقد خضت مغامرات لم أكن لأتخيلها في أكثر أحلامي جموحًا. أصبحت ضابطًا في ذلك الجيش البشع لمدينة لم أكن أتصور منذ ساعات قليلة أنها موجودة. والتقيت بفتاة غريبة من أمهور البعيدة؛ ولأول مرة في حياتي أقع في الحب، ثم أفقدها خلال ساعة. الحب شيء غريب. لماذا شعرت به على هذا النحو وكيف؟ لا يمكنني التفسير على الإطلاق. لا أعرف سوى أنني أحب جاناي، وأنني سوف أحبها دائمًا. لكنني لن أرها ثانية، ولن أعرف إن كنت قد فزت بحبها في المقابل. لن أتمكن أبدًا من إخبارها بأنني أحبها. حياتي كلها، منذ الآن فصاعدًا، ستتلون بالحزن من تفكيري في حبيبتي، ومن تذكُّري لها؛ إلا أنني لن أتخلَّى عن حبي لها. نعم، الحب شيء غريب.

عند تقاطع الممر الرئيس مع آخر، اقتادونا أنا وجون كارتر إلى اليمين، بينما استمر باندار وجان هاد في اتجاه المدخل الرئيس. ودّعنا بعضنا البعض وذهبنا. ومن اللافت للنظر كيف تتشكل الصداقات بسرعة في خضم خطر مشترك. كان الرجلان من مدينتين غريبتين من أعداء هيليوم؛ وإنما نظرًا لتحملنا الخطر معًا، فقد شعرت برابطة ودية تجاههما، ولم أشكُّ في أنهما يميلان بالمثل نحو جون كارتر ونحوي. وتساءلت ما إذا كنا سنلتقي ثانية.

قادونا أسفل هذا الممر الجديد ثم عبر فناء كبير إلى مبنى آخر، كُتبت فوق مدخله كتابة هيروغليفية غريبة بالنسبة لي. لا توجد أُمتان في برسوم لديهما نفس اللغة المكتوبة، على الرغم من وجود لغة علمية مشتركة يفهمها علماء جميع الأمم. بيد أن هناك لغة تخاطب واحدة في برسوم، تتحدثها وتفهمها الشعوب جميعًا، بما فيها الرجال الخُضر الوحشيون في قاع البحر الميت. لكن جون كارتر يتمتع بثقافة عالية ويقرأ العديد من اللغات، وقد أخبرني أن المكتوب بالهيروغليفية يعني مبنى المختبر.

أخذونا إلى قاعة عامة متوسطه الحجم، حيث طلب منا ضابط أن ننتظر إلى أن يجلب راس ثافاس، الذي يجب أن نقابله لأنه الرجل الذي سنساعد في حراسته ومراقبته. كما أخبرنا أيضًا أن نتعامل مع راس ثافاس باحترام ما دام لا يبذل أي جهد للهرب. وأنه يتمتع بالحرية في مختبره، وبمعنى ما: له كل السيطرة. وإذا دعانا إلى مساعدته في عمله، علينا أن نفعل ذلك. كان من الواضح أن مجلس الحِدود السبعة ينظرون

إليه بقلق على الرغم من أنه سجينهم، وأنهم يشعرون بضرورة تيسير الحياة له قدر الإمكان. كنت متلهفًا لرؤية راس ثافاس، الذي سمعت عنه الكثير. كان يُسمى العقل المدبر في المريخ؛ وعلى الرغم من أن مواهبه الرائعة كانت تتحول غالبًا إلى مخططات شائنة، فقد كان يحظ بالإعجاب بسبب علمه الغزير ومهارته الكبيرة. من المعروف أن عُمره يزيد على ألف عام؛ وبسبب هذه الحقيقة وحدها كنت متلهفًا لرؤيته، فنادرًا ما تكون فترة العُمر في برسوم طويلة هكذا. من المفترض أن الحد الأقصى لفترة العُمر هو ألف عام، لكنَّ قليلين هم مَن يصلون إلى ألف عام بسبب طبيعتنا المُحبة للحروب، فضلًا عن انتشار عمليات الاغتيال. فكرت أن مظهره سيبدو كمومياء صغيرة ذابلة لرجل؛ وتساءلت عن مدى قدرته لمواصلة العمل الهائل الذي يقوم به.

لم ننتظر كثيرًا. عاد الضابط وفي صحبته شاب وسيم للغاية، نظر إلينا بغطرسة واستعلاء كما لو كنا من حثالة البشر وهو إله.

قال ساخرًا: «جاسوسان إضافيان لمراقبتي».

قال الضابط الذي أحضرنا من المبنى الآخر: «بل هما مقاتلان إضافيان لحمايتك يا راس ثافاس».

هذا إذَنْ هو راس ثافاس! لم أصدق عيني. هذا رجل شاب دون شك؛ ففي حين لا تظهر علينا نحن المريخيون سوى آثار قليلة من سنوات التقدم في العُمر حتى تقريبًا نهاية الفترة المخصصة لحياتنا، وعندها يصبح التدهور سريعًا، فإن هناك بعض علامات الشباب بادية عليه بوضوح.

واصل راس ثافاس تفحصنا. رأيت حاجبيه ينعقدان وهو يفكر وينظر نحو جون كارتر، كما لو كان يحاول أن يتذكر وجهًا رآه من قبل. على أنني أعرف أن الرجلين لم يلتقيا أبدًا. تُرى ماذا يدور في ذهن راس ثافاس؟

وفجأة قال: «وكيف لي أن أعرف أنهما لم يتسللا إلى موربوس لاغتيالي؟ وكيف لي أن أعرف أنهما ليسا من تونول أو فوندال؟».

أجاب الضابط: «إنهما من هيليوم».

رأيت صفاء جبين راس ثافاس، كأنما توصل فجأة إلى حل مشكلة. أضاف الضابط: «إنهما بانتانان وجدناهما في طريقهما إلى فوندال يبحثان عن عمل».

أومأ راس ثافاس، وقال: «سأستخدمهما لمساعدتي في المختبر».

بدا الضابط متفاجئًا، وقال: «أليس من الأفضل أن يخدما في الحراسة لفترة من الوقت؟ فهذا سيمنحك وقتًا لمراقبتهما وتحديد ما إذا كان آمنًا أن يبقيا بمفردهما معك في المختبر».

حسم راس ثافاس الأمر: «أنا أعرف ما أقوم به. ولست بحاجة إلى مساعدة مخ من الدرجة الخامسة ليقرر ما هو أفضل بالنسبة لي. لكني ربما أمنحك شرفًا».

تورد وجه الضابط وقال: «تقضي الأوامر ببساطة أن أتولى تسليمك هؤلاء الرجال. وليس من شأني كيف تستخدمهم. ما أردت سوى حمايتك».

«قُم إذَنْ بتنفيذ الأوامر، واهتم بعملك. يمكنني الاعتناء بنفسي». كانت لهجته كريهة مثل كلماته. كان لديَّ هاجس أنه ليس بالشخص اللطيف في العمل.

هز الضابط كتفيه، وأصدر أمرًا إلى المحاربين الهورماد الذين رافقونا، وسار بهم إلى خارج القاعة العامة. أومأ لنا راس ثافاس قائلًا: «تعالا معي». قادنا إلى غرفة صغيرة، جدرانها مبطنة بالكامل برفوف تكتظ بالكتب والمخطوطات. تناثرت أوراق وكتب فوق مكتب، حيث جلس راس ثافاس، وأشار لنا في الوقت نفسه أن نجلس على مقعد طويل قريب.

سألنا: «أي أسماء تطلقونها على أنفسكما؟».

أجاب جون كارتر: «أنا دوتار سوجات، وهو فور داج».

سأل راس ثافاس: «هل تعرف فور داج جيدًا وتثق فيه؟». كان سؤالًا غريبًا؛ لأن راس ثافاس لا يعرف أيًّا منا.

أجاب أمير الحرب: «أعرف فور داج منذ سنوات، وأثق بولائه وذكائه في أي مسألة، وبمهارته وشجاعته كمحارب».

قال راس ثافاس: «حسنًا. يمكنني إذَنْ أن أثق فيكما على حد سواء».

سأله جون كارتر مستفسرًا: «ولكن، كيف تعرف أن بإمكانك الوثوق بي؟».

ابتسم راس ثافاس وقال: «إن نزاهة جون كارتر، أمير هيليوم وأمير

الحرب في برسوم، هي مسألة معروفة في جميع أنحاء العالم».

نظرنا إليه متفاجئين. سأله أمير الحرب: «ما الذي يجعلك تعتقد أنني جون كارتر؟ لم يسبق لك أن رأيته».

– اندهشت في القاعة العامة من أنك لم تظهر كمريخي أحمر بالفعل. تفحصتك أكثر عن قرب، واكتشفت أن الصبغة التي وضعتها على بشرتك تضم بعض البقع الصغيرة. لا يوجد سوى اثنين من سكان جاسوم[٤١] على المريخ؛ أحدهما هو فاد فارو، واسمه على كوكب الأرض كان باكستون. أنا أعرفه جيدًا؛ لأنه خدم كمساعد لي في مختبراتي في تونول. وقد كان، في واقع الأمر، مَن قمت بتدريبه إلى أن اكتسب مهارة جعلته قادرًا على نقل مخي العجوز إلى هذا الجسم الشاب. ولذا عرفت أنك لست فاد فارو. والجاسومي الآخر هو جون كارتر، إنه استنتاج بسيط.

قال أمير الحرب: «لقد أقمت شكوكك على أسس صحيحة، ومنطقك سليم. أنا جون كارتر. وكنت سأخبرك؛ لأنني كنت في طريقي إلى فوندال بحثًا عنك عندما قبض علينا الهورماد».

سأل الجراح العظيم: «ولأي سبب يبحث أمير الحرب في برسوم عن راس ثافاس؟».

– لقد أُصيبت أميرتي، ديجاه ثوريس، إصابة شديدة في حادث تصادم بين طائرتين، وترقد غائبة عن الوعي منذ أيام عديدة. وعجز

(٤١) جاسوم: هو كوكب الأرض بلغة سكان كوكب المريخ – https://barsoom.fandom.com/wiki/Jasoom – المترجمة.

أعظم جراحي هيليوم عن مساعدتها، ولذا كنت أسعى إلى راس ثافاس ألتمس مساعدته لكي تستعيد صحتها.

– والآن وجدتني سجينًا على جزيرة نائية في المستنقعات التونولية الكبرى– وجدتني سجينًا معك.

– لكنني وجدتك.

سأل العقل المدبر في المريخ: «وما فائدتي لك أو لأميرتك؟».

سأله جون كارتر: «هل تأتي معي وتساعدها إن أمكنك؟».

– بالتأكيد. لقد وعدت فاد فارو ودار تاروس، جيداك فوندال، بتكريس مهارتي ومعرفتي لتخفيف المعاناة ومن أجل صالح البشرية.

قال جون كارتر: «إذَنْ سنجد وسيلة».

هز راس ثافاس رأسه وقال: «يسهل قول ذلك، وإنما يستحيل تحقيقه. فلا يمكن الهرب من موربوس».

أجاب أمير الحرب: «مع ذلك علينا أن نجد وسيلة. أتوقع أن صعوبات الهرب من الجزيرة قد يمكن تذليلها. على أن السفر عبر المستنقعات التونولية الكبرى هو ما يثير أكبر قدر من القلق».

هز راس ثافاس رأسه، وقال: «لا يمكننا أبدًا الخروج من الجزيرة. فمن ناحيةٍ توجد دوريات كثيرة، ومن ناحيةٍ أخرى هناك الكثير من الجواسيس والمخبرين. كما أن العديد من الضباط الذين يبدون من المريخيين الحُمر، هم في الواقع من الهورماد الذين أجبروني على نقل أمخاخهم إلى أجساد رجال عاديين. أنا لا أعرف حتى مَن هم، حيث

لا أقوم بإجراء العمليات إلا في حضور مجلس الحِدود السبعة؛ وتظل وجوه الرجال الحُمر ملثمة. يتمتع بعض هؤلاء الحِدود السبعة بعقول ماكرة. أرادوا ممن يثقون بهم التجسس عليَّ، ولن تنجح خطتهم إذا رأيت وجوه المريخيين الحُمر الذين أمنحهم عقول الهورماد. وأنا الآن لا أعرف من بين الضباط الذين يحيطون بي، مَن منهم من الهورماد ومَن منهم من الرجال العاديين - باستثناء اثنين. أنا متأكد من جون كارتر لأني كنت لأعرف إذا أجريت نقل مخ إلى رجل أبيض البشرة من جاسوم. ولديَّ كلمة شرف من جون كارتر عنك يا فور داج. وباستثنائنا نحن الثلاثة، لا يوجد مَن يمكننا الوثوق به؛ لذا كونا حذرين مع مَن تصادقونهم وما تقولانه أمام الآخرين. إنكما سوف ...».

وهنا قاطعته جلبة شديدة اندلعت فجأة من جزء آخر من المبنى. بدت مزيجًا مروعًا من الصرخات والخوار والتأوهات والأنين، كأن حشدًا من الوحوش البرية قد أصبح هائجًا فجأة.

«تعالا»، قال راس ثافاس، «إلى نسل الوحوش. قد تكون هناك حاجة إلينا».

* * *

الفصل (٧)

أحواض الحياة

قادنا راس ثافا إلى غرفة كبيرة، حيث رأينا مشهدًا ربما لا يوجد مثله في أي مكان آخر في الكون كله. يوجد في وسط الغرفة حوض ضخم يبلغ ارتفاعه حوالي أربعة أقدام، وتظهر منه كائنات مسخ شديدة البشاعة تتجاوز قدرات الخيال البشري على التصور؛ ويحيط بالحوض عدد كبير من محاربي الهورماد مع ضباطهم، يندفعون نحو تلك المخلوقات الرهيبة، ويمسكون بهم ويقيدونهم، أو يقومون بتدميرهم إذا كانت تشوهاتهم كبيرة بحيث تحول دون عملهم بنجاح كمقاتلين. كان يجب تدمير ٥٠٪ منهم على الأقل – كانوا كرسوم كاريكاتورية مخيفة لحياة، لم تكن لوحش أو لرجل. كان أحدهم عبارة عن كتلة كبيرة من اللحم الحي، ولديه عين في مكان ما ويد واحدة. وهناك آخر نمت ذراعاه محل ساقيه وساقاه محل ذراعيه، بحيث يسير منقلبًا ورأسه بين ساقيه. كما كانت ملامح العديد منهم في غير محلها؛ فقد تتناثر الأنوف والأذان والأعين والأفواه بشكل عشوائي في أي مكان فوق الجذع أو الأطراف.

دمروا كل هؤلاء؛ ولم يحتفظوا إلا بمَن لديه ذراعان وساقان، وتوجد ملامح وجهه في مكان ما على رأسه. قد يكون الأنف تحت الأذن والفم فوق العينين، لكن المظهر لا يشكل أهمية إذا كان بإمكانهم أداء العمل المطلوب.

نظر نحوهم راس ثافاس بفخر واضح، وسأل أمير الحرب: «ما رأيك فيهم؟».

أجاب جون كارتر: «بشعون جدًّا».

انزعج راس ثافاس وقال: «لم أبذل أي محاولة حتى الآن لتحقيق الجمال؛ ويجب أن أعترف أنني لم أتمكن بعد من تحقيق التماثل، لكنَّ كليهما سيحدث. لقد بنيت بشرًا. وسوف أنجح في يوم ما من بناء رجل مثالي؛ سوف يسكن في برسوم عِرق جديد من الرجال الخارقين- يتسمون بالجمال والذكاء، ولا يموتون.

«وفي غضون ذلك، ستنتشر هذه المخلوقات في جميع أنحاء العالم وتغزوه. سوف يدمرون رجالك الخارقين. لقد بنيت مضيفًا لفرانكشتاين، لن يكتفي بتدميرك، وإنما سيدمر أيضًا حضارة العالم. ألم يتبادر إلى ذهنك أبدًا هذا الاحتمال؟

«نعم، فكرت في ذلك؛ لكني لم أكن أنوي على الإطلاق بناء هذه المخلوقات بأعداد كبيرة. إنها فكره الحِدود السبعة. لم أكن أقصد سوى بناء ما يكفي لتشكيل جيش صغير لغزو تونول، واستعادة جزيرتي ومختبري القديم».

ارتفعت الضجة في الغرفة الآن إلى مستوى يستحيل معه الاستمرار في الحديث. تدحرجت رؤوس تصرخ على الأرض. وقام المحاربون الهورماد بإبعاد المخلوقات حديثة البناء، التي اعتبروها مناسبة للعيش، واحتشد المحاربون الجدد في الغرفة للحلول محلهم. يظهر باستمرار هورماد جدد من حوض الاستزراع، الذي تكاثرت فيه حياة تتلوى مثل وعاء الساحرة الضخم. وكان هذا المشهد نفسه يتكرر في ٤٠ غرفة مماثلة في جميع أنحاء مدينة موربوس، بينما يتدفق تيار من الهورماد الجدد من المدينة لترويضهم وتدريبهم من جانب ضباط هورماد أكثر ذكاء.

شعرت بالسرور والراحة عندما اقترح راس ثافاس أن ننظر في مرحلة أخرى من عمله، وسمح لنا بمغادرة غرفة الأهوال هذه. أخذنا إلى غرفة أخرى، حيث يقوم بأعمال إعادة البناء. هنا كانت رؤوس تنمو على أجسام جديدة، وأجسام بلا رؤوس تتخذ رؤوسًا جديدة. وكان الهورماد الذين فقدوا أذرعهم أو سيقانهم يكتسبون أذرعًا وسيقانًا جديدة. وفي بعض الأحيان تسير هذه الأنشطة على نحو خاطئ، عندما تنمو ساق واحدة من عنق رأس مقطوع. وهناك حاله مماثلة من بين تلك الحالات التي رأيناها في هذه الغرفة. كان الرأس غاضبًا جدًّا من ذلك، وأصبح شديد البذاءة، وأخذ يلعن راس ثافاس.

قال الرأس: «ما فائدتي وأنا مجرد رأس واحد وساق واحدة؟ يسمونك العقل المدبر في المريخ! هذا هراء! ليس لديك حتى عقل

سوراك[٤٢]. عندما ينتجون نسلًا من نوعهم، يعطونهم جسمًا وستَّ أرجل، ناهيك عن الرأس. والآن ماذا ستفعل حيال ذلك؟ هذا ما أريد أن أعرفه».

«حسنًا»، قال راس ثافاس بعد تفكير، «يمكنني دائمًا تقطيعك ثانية وإعادة القطع إلى حوض الاستزراع».

صرخ الرأس: «كلا! كلا! دعني أعيش. اقطع هذه الساق ودعني أحاول بناء جسم».

«حسنًا»، قال راس ثافاس، «غدًا».

سألته، بعد أن ابتعدنا: «لماذا يرغب شيء كهذا في العيش؟».

أجاب راس ثافاس: «إنها سمة الحياة، مهما كان شكلها متدنيًا. حتى هذه المسوخ المسكينة اللا جنسية، ومتعتها الوحيدة في الحياة هي أكل الأنسجة الحيوانية النيئة، ترغب في العيش. إنهم لا يحلمون حتى بوجود الحب أو الصداقة، وليس لديهم موارد روحية أو عقلية يمكن الاعتماد عليها لإرضائهم أو تحقيق متعتهم؛ ومع ذلك يرغبون في العيش».

قلت: «إنهم يتحدثون عن الصداقة. وقد قال لي رأس تور-دور-بار ألا أنسى أنه كان صديقي».

أجاب راس ثافاس: «إنهم يعرفون الكلمة، لكنني متأكد أنهم لا

(٤٢) سوراك: هو مخلوق صغير الحجم جدًّا من ست أرجل، وتحتفظ به نساء المريخ كحيوان أليف http://barsoom.wikia.com/wiki/Sorak - المترجمة.

يستطيعون استشعار دلالاتها الدقيقة. إن الطاعة هي أحد الأشياء الأولى التي يتعلمونها، وربما كان يعني أنه سيطيعك ويخدمك. قد لا يتذكرك الآن حتى؛ فبعضهم ليس لديه عمليًّا أي ذكريات، وكل ردود أفعالهم ميكانيكية بحتة. وهم يستجيبون لمحفزات تتكرر كثيرًا - الأمر بأن يسير، وأن يقاتل، وأن يأتي، وأن يذهب، وأن يقف. كما أنهم يفعلون ما يرون معظم زملائهم يفعلونه. هيا! سنجد رأس تور-دور-بار ونرى ما إذا كان يتذكرك. وسوف تكون تجربة مثيرة للاهتمام».

انتقلنا إلى غرفه أخرى، حيث تجري أعمال إعادة البناء. وتحدث راس ثافاس إلى ضابط مسؤول هناك. قادنا الرجل إلى أقصى نهاية الغرفة، حيث يوجد حوض كبير تنمو فيه للجذوع أذرع أو سيقان أو رؤوس جديدة، وتنمو فيه للعديد من الرؤوس أجسام جديدة.

وما أن وصلنا إلى الحوض، صرخ رأس: «كاور، فور داج!»؛ إنه رأس ٤,٠٠٠,٠٠٨ بنفسه.

أجبته: «كاور، تور-دور-بار! أنا مسرور لرؤيتك مره أخرى».

قال: «لا تنسَ أن لديك صديقًا واحدًا في موربوس. سأكتسب قريبًا جسمًا جديدًا، وعندئذ سأكون مستعدًّا إذا احتجتني».

قالت راس ثافاس: «يتمتع هذا الهورماد بذكاء غير عادي. سوف أراقبه».

وقال تور-دور-بار: «يجب أن تمنح مخي جسمًا حسن المظهر. أود أن أبدو وسيمًا مثل فور داج أو صديقه».

«سنرى»، قال راس ثافاس ثم انحنى وهمس إلى الرأس قائلًا: «لا تقل أكثر عن ذلك الآن. ثق بي فقط».

سأله جون كارتر: «ما الوقت الذي يستغرقه نمو جسم جديد لتور-دور-بار ؟».

- تسعة أيام؛ ولكن قد يكون جسمًا لا يمكنه استخدامه، ولذا سيتعين بناؤه من جديد. لقد أنجزت الكثير، لكني ما زلت غير قادر على السيطرة على تطور هذه الأجسام أو أي جزء منها. ينمو الجسم في العادة من الرأس. قد يكون جسمًا مشوهًا وبالتالي عديم الفائدة، أو قد يكون مجرد جزء من الجسم أو حتى رأس آخر. سوف أتمكن في يوم ما من السيطرة على هذا النمو. سأتمكن في يوم ما من بناء بشر مكتملين.

قال أمير الحرب بابتسامة: «لكنك تُغضب الإله العظيم».

قال راس ثافاس: «إن أصل الحياة لغز غامض. وبقدر ما توجد أدلة كثيرة تشير إلى أن الحياة ظهرت نتيجة لمصادفة، توجد أدلة كثيرة أيضًا تطرح أنها ظهرت بتخطيط من كائن أعلى. وأنا على دراية بأن علماء كوكبك الأرضي يعتقدون أن كل أشكال الحياة على ذلك الكوكب قد تطورت من شكل منخفض جدًّا من الحياة الحيوانية يُسمى الأميبا -وهي كتلة مجهرية من البروتوبلازم ذات نواة، وليس لها حتى شكل بدائي من الوعي أو الحياة العاقلة. كان يمكن للخالق كلي القدرة أن يخلق أيضًا أعلى شكل من أشكال الحياة منذ البداية -أي المخلوق المثالي- في حين لا توجد على أي من الكوكبين حياة مثالية أو تقترب حتى من الكمال».

وأضاف: «لدينا الآن على المريخ نظرية مختلفة تمامًا عن الخلق والتطور. نحن نعتقد أن المواد الكيميائية على الكوكب اندمجت بعد أن بردت وشكلت البذرة التي كانت أساس الحياة النباتية، ثم نمت منها بعد سنوات لا تُعد ولا تُحصى شجرة الحياة وازدهرت، ربما في وسط وادي دور[٤٣] منذ ثلاثة وعشرين مليون سنة، كما يعتقد البعض، وربما في مكان آخر. وقد شهد تطور ثمرة هذه الشجرة تغيرات تدريجية استمرت لعدد لا يُحصى من العصور، مرورًا بدرجات من الحياة النباتية البحتة إلى مزيج من الحياة النباتية والحيوانية. ولم تكن ثمرة الشجرة تمتلك في المراحل الأولى سوى قوة العمل العضلي المستقل، بينما ظل الجذع مرتبطًا بالنبات الأصلي. وفي ما بعد، تطور مخ في الثمرة، وبدأ في التفكير وهو مُعلق في الجذوع الطويلة، ثم أخذت الأمخاخ تتحرك كأفراد. ومع تطور الإدراك، أتت المقارنة؛ التوصل إلى أحكام ومقارنتها، وبالتالي وُلد العقل وسلطة العقل على برسوم».

أكمل قائلًا: «مرت العصور. وظهرت أشكال كثيرة من الحياة وذهبت فوق شجرة الحياة، لكنها ظلت مرتبطة بجذوع النبات الأصلي وبأطوال متفاوتة. وظلت الثمرة على الشجرة، لفترة طويلة، تتكون من رجال نبات[٤٤] صغار، مثل أولئك الذين يمكن إيجادهم الآن يتناسلون

(٤٣) وادي دور: يقع عند نهاية نهر إيس المحيط ببحر كوراس المفقود- https://barsoom.fan-dom.com/wiki/Valley_Dor - المترجمة.

(٤٤) رجال النبات: هم عِرق شبيه بمصاصي الدماء، يقتاتون على النباتات ودماء الحيوانات، يسكنون في وادي دور، ولونهم أزرق، ويسيرون على قدمين - http://barsoom.wikia.com/wiki/Plant_Men - المترجمة.

بحجم ضخم في وادي دور، لكنهم لا يزالون مرتبطين بأطراف وفروع الشجرة من السيقان التي نمت من قمم رؤوسهم».

وأضاف: «أما البراعم التي ازدهر منها رجال النبات، فهي تشبه ثمرة الجوز الكبيرة التي يبلغ قُطرها حوالي قدم، وتقسمها جدران تقسيم مزدوجة إلى أربعة أقسام. نما رجال النبات في أحد الأقسام، ونمت في قسم آخر دودة ذات ستّ أرجل، ونما في القسم الثالث سلف القرد الأبيض، ونما في القسم الرابع الإنسان البرسومي البدائي. وعندما انفجر برعم، ظل رجل النبات يتدلى من نهاية جذعه؛ لكن الأقسام الثلاثة الأخرى سقطت على الأرض، حيث الجهود التي بذلها شاغلوها المسجونون من أجل الهرب جعلتهم يتنقلون في جميع الاتجاهات».

قال مواصلًا: «وهكذا تناثرت هذه المخلوقات الحبيسة، مع مرور الوقت، بقدر كبير على سطح الكوكب. وعاشت لعصور حياتها الطويلة داخل قشرتها الصلبة، تخطو وتقفز هنا وهناك، وتقع في الأنهار والبحيرات والبحار التي كانت موجودة على سطح برسوم، ولا يزال انتشارها يتزايد على وجه العالَم الجديد. وقد مات منها بلايين لا تُحصى قبل أن يحطم أول إنسان أسوار سجنه ويخرج إلى ضوء النهار. وبدافع من الفضول، حطم الإنسان قشورًا أخرى؛ وبدأت برسوم تصبح مأهولة بالسكان. ماتت شجرة الحياة، لكن رجل النبات تعلّم قبل موتها أن ينفصل عنها. وأتاحت له ازدواجيته الجنسية إعادة إنتاج نفسه على طريقة النباتات الحقيقية».

قال جون كارتر: «لقد رأيتهم في وادي دور، حيث ينمو رجل

نبات صغير أسفل كل ذراع، يتدلى كالثمرة من الجذوع المرفقة بقمم رؤوسهم».

واصل راس ثافاس: «وعلى هذا النحو، نشأت مصادفة أشكال الحياة الحالية؛ وبدراستهم جميعًا، من أدنى الأشكال إلى أعلاها، تعلمت كيفية إعادة بناء الحياة».

قلت: «ربما تأسف لذلك».

وافق قائلًا: «ربما».

* * *

الفصل (٨)

القاتل الأحمر

مرت الأيام، وظل راس ثافاس يبقينا معه باستمرار تقريبًا؛ ولكن دائمًا كان هناك آخرون حولنا، بحيث كانت فرصنا للتخطيط قليلة، كما لم نكن نعرف الصديق من الجاسوس. ملأتني أفكاري عن جاناي بالحزن، وكنت أحاول دومًا التعرف على أي وسيلة لمعرفة مصيرها. حذرني راس ثافاس، وطلب مني عدم إظهار الكثير من الاهتمام بالفتاة، فقد يسفر ذلك عن إثارة شكوك قد تؤدي إلى تدميري. لكنه أكد لي أنه سيساعدني بأي شكل ممكن بحيث لا يستمر قلقي. وقد وجد وسيلة بالفعل في أحد الأيام.

كان من المقرر إرسال عدد من الهورماد الذين يتمتعون بذكاء غير عادي إلى مجلس الحِدود السبعة، لفحص لياقتهم البدنية للخدمة ضمن الحرس الشخصي لدى كل حِد. واختارني راس ثافاس مع ضباط آخرين لمرافقتهم. كانت هذه هي المرة الأولى التي أخرج فيها من مبنى المختبر، حيث لا يُسمح لأيٍّ منا بتركه إلا لأداء بعض المهام الرسمية مثل هذه.

عندما دخلت المبنى الكبير، وكان في الواقع قصر الحِدود السبعة، انشغل ذهني كله بالتفكير في جاناي وأملي أن ألمحها. نظرت في الممرات، وحملقت خلال المداخل المفتوحة، بل فكرت في ترك المجموعة والاختباء في إحدى الغرف التي نمر بها، ثم أحاول البحث عنها في القصر؛ لكن تفكيري الحكيم أنقذني، وسرت مع الآخرين إلى غرفة كبيرة يجلس فيها مجلس الحِدود السبعة.

كان فحص الهورماد دقيقًا جدًّا. وخلال استماعي للحديث بعناية وملاحظة كل سؤال وجواب، وتأثير الإجابات على الحِدود، بدأت بذور خطة تتشكل في ذهني. إذا نجحت في تخصيص تور-دور-بار كحارس شخصي لأحد الحِدود، يمكنني أن أعرف مصير جاناي. أما كيف تحقَّق الأمر بشكل مختلف، وما الخطة الغريبة التي وُضعت في النهاية، فسوف أخبرك بذلك في الوقت المناسب.

أثناء وجودنا في قاعة المجلس، دخل عدد من المحاربين مع سجين. كان رجلًا أحمر متبجحًا وعلى بشرته العديد من الندوب. كان محاربًا صعب المراس، تبدو على وجهه سخرية وعجرفة عمدية، وموجهة لآسريه والحِدود السبعة. كما كان رجلًا قويًّا؛ فعلى الرغم من الجهود التي بذلها المحاربون معه، فقد شق طريقه تقريبًا إلى المنصة قبل أن يتمكنوا من كبح جماحه.

سأل أحد الحِدود: «مَن هذا الرجل؟».

جأر الأسير بصوت عالٍ: «أنا جانتون جور، قاتل من أمهور. أعيدوا لي سيفي، أيها الجرذان الأنتان، ودعوني أُريكم ماذا يمكن أن

يفعل مقاتل حقيقي مع كائناتكم الممسوخة المشوهة ومعكم أيضًا. لقد أمسكوني بالشِّباك، وهي ليست طريقة رجل مهذب إزاء محارب».

قال أحد الجِدود آمرًا: «صمتًا!»، وقد شحب وجهه غضبًا لشعوره بالإهانة لتسميته بالجرذ النتن.

«صمتًا؟»، صرخ جانتون جور، «باسم سلفي الأول! لم يعش أي إنسان يمكنه أن يجعل جانتون جور يصمت. تعال وحاول، رجل إلى رجل، أيها الدودة الباكية».

صاح الجِد: «أبعدوه! خذوه إلى راس ثافاس، وقولوا لراس ثافاس أن يستخرج مخه ويحرقه. ويمكنه أن يفعل بالجسم ما يحلو له».

قاتل جانتون جور كشيطان، يلكم الهورماد يمينًا ويسارًا؛ وتمكنوا أخيرًا من هزيمته بإيقاعه في شِباكهم؛ ثم جروه، وهو يسب ويلعن، نحو المختبر.

وبعد ذلك بفترة وجيزة، اختار الجِدود الهورماد الذين قرروا الاحتفاظ بهم. اقتدنا الآخرين خارج الغرفة، حيث سلمناهم إلى الضباط لتكليفهم بالواجبات التي تُعتبر مناسبة لهم. عُدت إلى مبنى المختبر دون أن أتمكن من رؤية جاناي أو معرفة أي شيء عنها. شعرت بإحباط ويأس رهيب.

وجدت راس ثافاس في غرفة مكتبه الصغيرة الخاصة. وكان معه جون كارتر وهورماد جيد المظهر إلى حد ما، وكان يقف وظهره نحوي وعندما دخلت الغرفة. التفتَ بمجرد أن سمع صوتي، وحيّاني بالاسم.

وكان تور-دور-بار بجسمه الجديد. كان إحدى ذراعيه أطول قليلًا من الآخر، ولا يتناسب جذعه مع ساقيه القصيرتين، ولديه ستُّ أصابع في أحد قدميه، وإبهام إضافي في يده اليسرى؛ لكنه، في المجمل، عيّنة جيدة جدًّا كهورماد.

صاح: «حسنًا، ها أنا، حسن المظهر كشخص جديد»، وابتسامة واسعة تقسم طلعته البشعة، «ما رأيك؟».

قلت له: «أنا سعيد باتخاذك صديقًا. أعتقد أن جسمك الجديد قوي جدًّا، ويتمتع بعضلات رائعة». وهذا صحيح بالفعل.

قال تور-دور-بار: «على أنني أود جسمًا ووجهًا مثل جسمك ووجهك. كنت أتحدث الآن مع راس ثافاس حول هذا الأمر، ووعدني بتحقيق ذلك إن أمكنه».

تذكرت على الفور جانتون جور قاتل أمهور، والقرار الذي أصدره الجِد ضده. قلت: «أعتقد أن جسمًا جيدًا في انتظارك في المختبر»؛ ثم أخبرتهم بقصة جانتون جور. «والأمر الآن متروك لراس ثافاس؛ إذ قال الجِد إن راس ثافاس يمكنه أن يفعل ما يشاء بالجسم».

قال العقل المدبر في المريخ: «لنلقِ نظرة على الرجل»، وقاد الطريق إلى غرفة الاستقبال حيث يحتجزون الضحايا الجدد انتظارًا لأوامره.

وجدنا جانتون جور مقيدًا بإحكام وتحت حراسة مشددة. وعندما شاهدنا، بدأ يجأر ويوبخنا، ويوجه إهاناته عشوائيًّا إلى ثلاثتنا. بدت ميوله شريرة. تطلع نحوه راس ثافاس للحظه في صمت؛ ثم صرف

المحاربين والضباط الذين جلبوه.

وقال: «سنهتم به. يمكنكم إبلاغ مجلس الحِدود السبعة بأنني سأحرق مخه، وسوف أجد استخدامًا جيدًا لجسمه».

وعندئذ انفجر جانتون جور يهذي، إلى حد أنني تصورت أن مسًّا من الجنون أصابه، وربما حدث. أخذ يجز على أسنانه وخرج الزبد من فمه، وشتم راس ثافاس بكل ما يمكن أن يحمله لسانه.

التفت راس ثافاس إلى تور-دور-بار وسأله: «هل يمكنك أن تحمله؟».

أجاب الهورماد بأن حمل الرجل الأحمر بسهولة، كما لو كان بلا وزن، وألقاه فوق إحدى أكتافه العريضة. فقد كان جسم تور-دور-بار الجديد بمثابة جبل من القوة.

قاد راس ثافاس طريق العودة إلى غرفة مكتبه الخاصة، ثم مر خلال مدخل صغير إلى غرفه لم أرها من قبل. ضمت الغرفة طاولتين تبعدان عن بعضهما بحوالي عشرين بوصة، ويوجد فوق كل منهما لوح مصقول جيدًا من حجر الإرسايت[٤٥] الصلب. ويوجد رف عند أحد طرفي الطاوتين، وعليه وعاءان فارغان من الزجاج، بالإضافة إلى وعائين مماثلين بهما سائل شفاف عديم اللون يشبه الماء. ويوجد موتور صغير أسفل كل طاولة. وهناك العديد من الأدوات الجراحية، مُرتبة بدقة، فضلًا عن أوعية مختلفة تحتوي على سوائل ملونة، وأجهزة

(٤٥) حجر الإرسايت: نوع من الحجر، جميل وملون، شائع في المريخ، ويُستخدم في المباني والأثاث - https://barsoom.fandom.com/wiki/Ersite - المترجمة.

كالتي يمكن أن يجدها المرء في مختبر أو مستشفى ولا أعرف شيئًا عن استخداماتها؛ فأنا، أولًا وأخيرًا، مقاتل ولا شيء آخر.

أصدر راس ثافاس توجيهاته إلى تور-دور-بار ليضع جانتون جور على إحدى الطاولتين؛ ثم قال له: «والآن، ضع نفسك على الطاولة الثانية».

صاح تور-دور-بار: «هل ستقوم بذلك فعلًا؟ هل ستعطيني جسمًا ووجهًا جديدين وجميلين؟».

قال راس ثافاس بابتسامة صغيرة: «لن أسميه جميلًا بشكل خاص».

صاح تور-دور-بار: «أووه، هذا رائع. سأكون عبدك إلى الأبد إذا فعلت ذلك من أجلي».

على الرغم من أن جانتون جور كان مُقيدًا بإحكام، تطلب الأمر أن نمسكه أنا وجون كارتر إلى أن ينتهي راس ثافاس من فتح شقين في جسده؛ أحدهما في وريد كبير والثاني في شريان. أوصل بكل شق منهما نهاية أنبوب، يتصل أحدهما بوعاء زجاجي فارغ ويتصل الآخر بوعاء مماثل يحتوي على سائل عديم اللون. وبعد ما انتهى من هذه المرحلة، ضغط على زر يتحكم في الموتور الصغير أسفل الطاولة. وعندئذ بدأ ضخ دم جانتون جور إلى الوعاء الفارغ، بينما كانت محتويات الوعاء الآخر تدخل إلى الأوردة والشرايين التي تصبح فارغة. وبطبيعة الحال، فقد جانتون جور وعيه على الفور تقريبًا بعد أن بدأ الموتور يعمل؛ وعندئذ تنفست الصعداء. وعندما حل السائل عديم اللون محل الدم بأكمله، أزال راس ثافاس الأنبوبين وأغلق الفتحتين بالجسم بأجزاء من

ماده لاصقة؛ ثم التفت إلى تور-دور-بار.

وسأله: «هل أنت على يقين تمامًا أنك تريد أن تكون رجلًا أحمر؟».

أجاب الهورماد: «لا يمكنني الانتظار».

كرر راس ثافاس على تور-دور-بار العملية التي قام بها للتو على جانتون جور؛ ثم رش الجسمين بما قال لنا إنه محلول مطهر قوي؛ ثم رشه على نفسه، وفرك يديه جيدًا. قام الآن باختيار سكين حاد من بين الأدوات، وأزال فروه الرأس من الجسمين، متتبعًا خط الشَّعر تمامًا حول كل رأس. وبعد أن انتهى، استخدم منشارًا دائريًّا صغيرًا، متصلًا بنهاية عمود دوار مرن، لنشر جمجمة كل منهما متتبعًا الخط الذي كشفته إزالة فروة الرأس.

كانت العملية التي تلت ذلك طويلة وتتسم بمهارة رائعة. وانتهى بعد أربع ساعات من نقل مخ تور-دور-بار إلى جمجمة مَن كان جانتون جور؛ ثم قام بوصل مُتقن للأعصاب والعُقد العصبية المقطوعة، واستبدال الجمجمة وفروة الرأس. وأخيرًا ربط الرأس بإحكام بمادة لاصقة، لم تكن مُطهِرة وشافية فقط وإنما تُعد أيضًا بمثابة تخدير موضعي.

وهو الآن يُعيد تسخين الدم الذي سحبه من جسم جانتون جور، مُضيفًا بضع قطرات من محلول كيميائي شفاف. ومع سحب السائل من الأوردة والشرايين، كان يضخ الدم مرة أخرى ليحل محله. وبعدها مباشرة، أعطاه حقنة تحت الجلد.

وقال: «سوف يستيقظ تور-دور-بار خلال ساعة ليجد حياة جديدة في جسم جديد».

وبينما كنت أشاهد هذه العملية الرائعة، تبادرت إلى ذهني خطة مجنونة يمكنني خلالها أن أصل إلى جانب جاناي، أو على الأقل اكتشف مصيرها. التفتُّ إلى راس ثافاس وسألته: «هل يمكن استعادة مخ جانتون جور إلى رأسه إذا أردت؟».

- بالتأكيد.

- أو يمكنك وضعه في جمجمة تور-دور-بار المهجورة؟

- نعم.

- ما الوقت المطلوب، بعد إزالة المخ، لاستبداله بمخ آخر؟

- السائل الذي قمت بضخه في عروق وشرايين الجسم، سوف يحفظه إلى أجل غير مسمى. والدم الذي قمت بسحبه، محفوظ أيضًا بنفس الطريقة. ولكن، ماذا تستهدف بأسئلتك؟

قلت: «أريدك أن تنقل مخي إلى الجسم الذي كان لتور-دور-بار».

قال لي جون كارتر: «هل أنت مجنون؟».

- كلا، حسنًا، ربمًا قليلًا، إذا كان الحب هو الجنون. يمكن إرسالي كهورماد إلى مجلس الحِدود السبعة، وربما يختارونني لخدمتهم. أعرف أنهم سوف يختارونني؛ لأني أعرف الإجابات على أسئلتهم. وما إن أصبح هناك، حتى يمكنني أن أجد فرصة لاكتشاف وضع جاناي. وربما يمكنني حتى إنقاذها. وسواء نجحت أو فشلت، يستطيع راس

ثافاس أن يُعيد مخي إلى جسمي. هل يمكنك أن تفعل ذلك يا راس ثافاس؟».

نظر راس ثافاس بتساؤل إلى جون كارتر. وقال أمير الحرب: «ليس لديَّ الحق في طرح أي اعتراضات. ذلك أن فور داج من حقه أن يتصرف في مخه وجسمه كما يشاء».

قال راس ثافاس: «حسنًا، ساعدني في رفع تور-دور-بار الجديد من الطاولة، ثم استلق عليها بنفسك».

❊ ❊ ❊

الفصل (٩)

رجل يتحول إلى هورماد

عندما استعدتُ الوعي، كان أول مشهد وقعت عليه عيناي هو جسمي الراقد فوق لوح الإيرسايت على مسافة بضع بوصات مني. كانت تجربة مروعة أن تنظر نحو جثتك؛ لكني عندما جلست ونظرت إلى جسمي الجديد، كان الوضع أسوأ. لم أتوقع كم سيكون الأمر مروعًا أن أصبح هورمادًا، له وجه قبيح وجسد مشوه. كرهت لمس نفسي بيدي الجديدة. ماذا لو حدث شيء ما لراس ثافاس! تدافع عَرَق بارد عندما واتتني هذه الفكرة. وقف جون كارتر والجراح العظيم ينظران نحوي.

سألني راس ثافاس: «ما الأمر؟ تبدو مريضًا».

أخبرته بالمخاوف التي هاجمتني فجأةً. هز كتفيه قائلًا: «سيكون أمرًا مؤسفًا بالنسبة لك. هناك رجل آخر في العالم، وربما هو الرجل الوحيد الآخر في الكون بأكمله، الذي يمكنه إعادة مخك إلى جسمك إذا حدث لي أي شيء؛ لكنك لن تستطيع أبدًا إحضاره إلى موربوس ما دام الهورماد يحكمونها».

سألته: «مَن هو؟».

– إنه فاد فارو، وهو أمير دوهور الآن. كان اسمه أوليسيس باكستون من كوكب الأرض، وكان مساعدي في مختبري في تونول. وهو مَن نقل مخي إلى هذا الجسم الجديد. ولكن، لا تقلق؛ لقد عشت أكثر من ألف عام، والهورماد يحتاجونني. ولا يوجد سبب يمنعني من العيش ألف سنة أخرى. وقبل ذلك سأكون قد درّبت مساعدًا آخر، حتى يتمكن من نقل مخي إلى جسم جديد. كما ترى، يمكنني أن أعيش إلى الأبد.

قلت له: «آمل ذلك». وعندئذ اكتشفت جثة قاتل أمهور مستلقية على الأرض، فسألت: «ما الأمر مع تور–دور–بار؟ أليس من المفترض أن يستعيد وعيه قبلي؟».

قال راس ثافاس: «تدبرت الأمر حتى لا يحدث ذلك. فقد قررنا، أنا وجون كارتر، أنه من الأفضل ألا يعرف غيرنا أنني نقلت مخك إلى جسم هورماد».

– أنتما على حق. دعوهم يعتقدون أنني هورماد بالكامل.

– عليك أن تحمل تور–دور–بار إلى غرفة مكتبي، ليسترد وعيه فيها، ثم تختفي عن الأنظار قبل أن يستيقظ. يمكنك الذهاب إلى المختبر، والمساعدة في ظهور الهورماد الجدد. قل للضابط إنني مَن أرسلك إلى هناك.

– ولكن، ألن يتعرف عليَّ تور–دور–بار عندما يراني لاحقًا؟

– لا أعتقد. فهو لم يرَ وجهه بما يكفي ليألفه. وعدد المرايا في

موربوس قليل. كما أنه اكتسب جسمه الجديد مؤخرًا، وهناك احتمال ضئيل أن يتعرف عليه. وإذا تعرّف عليه، سنضطر إلى إبلاغه.

لم تكن الأيام القليلة التالية سارة على الإطلاق. كنت هورمادًا، وبالتالي كنت مضطرًّا للاندماج مع الهورماد وأكل الأنسجة الحيوانية النيئة. زودني راس ثافاس بسلاح، وكانت مهمتي تدمير المسوخ البشرية الرهيبة التي تهرب من أحواضه البغيضة وهي مشوهة إلى درجة تجعلها عديمة الفائدة حتى كهورماد. قابلت في أحد الأيام تيايتان-أوف، الذي طرت معه إلى موربوس على ظهر مالاجور. وقد عرفني، أو على الأقل تصور ذلك.

قال لتحيتي: «كاور، تور-دور-بار! لديك جسم جديد الآن. ماذا حدث لصديقي فور داج؟».

قلت: «لا أعرف. ربما ذهب إلى الأحواض. لقد تحدث عنك كثيرًا قبل أن أفقد متابعته. وكان شديد الحرص أن نصبح أنا وأنت أصدقاء».

قال تيايتان-أوف: «ولِمَ لا؟».

قلت: «أعتقد أنها فكره ممتازة، ذلك أنني أريد اكتساب أصدقاء. ماذا تفعل الآن؟».

- أنا عضو في الحرس الشخصي للجِد الثالث، وأعيش في القصر.

قلت: «هذا جيد، وأفترض أنك ترى كل ما يدور هناك».

- أرى الكثير؛ ما يجعلني أريد أن أكون جِدًّا. أود أن أحصل على جسم جديد مثل أجسامهم.

غامرت قائلًا: «تُرى ماذا حدث للفتاة التي أحضروها إلى القصر في نفس الوقت مع فور داج».

سألني: «أي فتاة؟».

– تلك التي تُدعى جاناي.

– أوه، جاناي. إنها لا تزال هناك. يريدها اثنان من الحِدود، ولن يسمح الحِدود الآخرون لأي منهما أن يأخذها. على الأقل ليس حتى الآن. سيقومون بالتصويت عليها قريبًا، وأعتقد أن كلًّا منهم يريدها. إنها أجمل امرأة قُبض عليها منذ فترة طويلة.

سألته: «هي إذَنْ آمنة حاليًا؟».

سألي: «ماذا تقصد بكلمة آمنة؟ ستكون محظوظة جدًّا إذا أخذها أحد الحِدود. ستحصل عندئذ على الأفضل من كل شيء، ولن تضطر إلى الذهاب إلى أحواض راس ثافاس. ولكن، لماذا تهتم بها؟ ربما تريدها لنفسك»، ثم انفجر في الضحك. كان ليُفاجأ بالفعل إذا عرف أن ما قاله صحيح.

سألته: «هل أنت سعيد كونك عضوًا في الحرس الشخصي لأحد الحِدود؟».

– سعيد جدًّا. يعاملونني جيدًا، ولديَّ طعام كثير ومكان لطيف للنوم. كما أن العمل ليس شاقًّا. علاوة على ذلك، أتمتع بقدر كبير من الحرية. يمكنني الذهاب إلى أي مكان أريد على جزيرة موربوس، ما عدا مساكن الحِدود الخاصة. وأنت لا يمكنك ترك هذا المختبر؛ ثم

لمس ميدالية تتدلى من سلسله حول رقبته، وقال: «هذه هي ما يعطيني الكثير من الحرية. فهي توضح أنني في خدمة الجِد الثالث. ولا أحد يجرؤ على التدخل معي. أنا شخص مهم جدًّا يا تور-دور-بار. وأشعر بالأسف تجاهكم، أنتم الذين هم مجرد جزء من نسيج حيواني يمكنه أن يتجول ويتحدث».

قلت: «من الجميل أن يكون لي صديق مُهم مثلك، لا سيما صديق سوف يساعدني إذا أمكنه».

سألني: «أساعدك بأي طريقة؟».

- يطلب الجِدود باستمرار محاربين جددًا للحلول محل المحاربين الذين قُتِلوا. ويمكنني أن أخدم كمحارب جيد وحارس شخصي لأي من الجِدود، ومن الجميل أن نعمل أنا وأنت معًا؛ لذلك، إذا اختارني الجِدود لاختباري، يمكنك أن تقول عني كلمة جيدة عندما يسألون مَن يعرفني.

أخذ يفكر في الأمر لمدة دقيقه بطريقته الغبية، وفي النهاية قال: «ولِمَ لا؟ أنت تبدو قويًّا جدًّا. ويحدث أحيانًا شجار بين أفراد الحرس، وعندئذ من الجيد أن يكون لي صديق قوي. نعم، سأساعدك إن استطعت. يسألوننا أحيانًا إذا كنا نعرف محاربًا قويًّا يتمتع بالذكاء، ثم يرسلون لإحضاره واختباره. أنت لست شديد الذكاء بالطبع، لكنك قد تنجح بسبب قوتك. ولكن أخبرني، ما مدى قوتك؟».

لم أكن أعرف نفسي، في واقع الأمر. كنت أعرف أنني قوي؛ لأنني أحمل الأجسام بسهولة؛ ولذا قلت له: «أنا حقًّا لا أعرف».

سألني: «هل يمكنك أن تحملني؟ أنا ثقيل جدًّا».

قلت: «أستطيع أن أحاول». حملته بسهولة شديدة. كان يبدو أنه لا يزن أي شيء؛ لذا قررت أن أرى مدى إمكاني لحمله فوق رأسي. ونجحت إلى حد يفوق توقعاتي وتوقعاته. قذفته إلى سقف الغرفة تقريبًا، وأمسكت به عند هبوطه. وعندما أعدته ليقف على قدميه، كان يتطلع نحوي في دهشة.

وقال: «أنت أقوى شخص في موربوس. لم يوجد أبدًا من في مثل قوتك. سوف أخبر الجِد الثالث عنك».

ذهب، وتركني مع الأمل. كنت أتوقع، في أحسن الاحتمالات، أن يدرجني راس ثافاس يومًا ما ضمن تكليفات الهورماد ليختبرني الجِدود؛ ولكن نظرًا لأن رُتب الحراس الشخصيين كانت تُملأ في كثير من الأحيان بطريقة القُرعة في القرى التي تقع خارج المدينة، لم أكن أعرف كم من الوقت يجب أن أنتظر مثل هذه الفرصة.

وكان راس ثافاس قد خصصني كخادم شخصي لجون كارتر، لذلك لم ننفصل؛ ولما كان عمل جون كارتر يتطلب أن يرافق راس ثافاس دائمًا، كنا ثلاثتنا معًا في كثير من الأحيان. وكانا يعاملانني في وجود الآخرين مثلما يعاملان أي شخص آخر - خادم غبي وجاهل - وعندما نكون بمفردنا، يتعاملان معي على قدم المساواة. وقد تعجب كلاهما بقوتي الهائلة، التي لم تكن سوى إحدى مصادفات نمو جسم تور-دور-بار الجديد. وكنت على يقين أن راس ثافاس قد يود تقطيعي وإعادتي إلى الأحواض، على أمل إنتاج سلالة جديد من الهورماد فائقة القوة.

جون كارتر هو واحد من أكثر الأشخاص الذين عرفتهم إنسانية. وهو، بكل معنى الكلمة، رجل عظيم، وسياسي، وجندي، وربما أعظم مبارز عاش على الإطلاق، ومتجهم ورهيب في القتال؛ ومع كل ذلك، هو إنسان متواضع وودود ولا يفقد أبدًا حسه الفكاهي. عندما نكون وحدنا، يمزح معي حول ما اكتسبته من «جمال» مؤخرًا، ويضحك بطريقته الهادئة إلى أن يهتز جانباه؛ فقد كان مظهري، في الواقع، يثير الضحك والرعب. فلم يكن جسمي متناسبًا: جذعي كبير على ساقين قصيرتين، وذراعي اليُمنى يصل إلى أسفل ركبتي، وذراعي اليُسرى يصل إلى أسفل خصري قليلًا.

قال بعد أن تطلع نحوي لفترة طويلة: «وجهك هو حقًّا أعظم ما تملك. أود أن أعود بك إلى هيليوم كما أنت، وأقدمك إلى أول حفل استقبال يقيمه الجيداك. تعرف، بالطبع، أنك كنت تُعتبر واحدًا من أكثر الرجال وسامة في هيليوم. وعندئذٍ سوف أقول: 'ها هو النبيل فور داج، بادوار في حرس أمير الحرب'، وكيف ستتجمع النساء من حولك!».

كان وجهي يلفت الانتباه بالفعل. لا يوجد ملمح واحد حيث يجب أن يكون، بالإضافة إلى عدم تناسب جميع الملامح؛ فبعضها كبير جدًّا وبعضها صغير جدًّا. كانت عيني اليُمنى على جبهتي، تحت خط الشَّعر، وكانت ضعف حجم عيني اليُسرى التي تقع أمام أذني اليُسرى بحوالي نصف بوصة. ويبدأ فمي أسفل ذقني، ويصعد بزاوية ٤٥ درجة تقريبًا إلى نقطة أسفل قليلًا عيني اليُمنى الضخمة. أما أنفي، فكان بالكاد أكبر من برعم، ويشغل المكان الذي كان يجب أن تشغله عيني اليُسرى

الصغيرة. وكانت إحدى أُذنيَّ مغلقة وصغيرة، والأُذن الأخرى عبارة عن كتلة متدلية تصل إلى كتفي تقريبًا. وهو ما جعلني أميل إلى الاعتقاد أن التماثل لدى البشر العاديين لا يمكن أن يكون مصادفة بالكامل، كما يعتقد راس ثافاس.

أراد تور-دور-بار، مع جسده الجديد، اسمًا وليس عددًا؛ ولذا أطلق عليه جون كارتر وراس ثافاس اسم تون جان: وهو اسم ناتج عن تبديل موضع مقطعي الاسم الأول من جانتون جور. وعندما أخبرتهما بمحادثتي مع تيايتان-أوف، وافقا معي على ضرورة احتفاظي باسم تور-دور-بار. وقال راس ثافاس إنه سيخبر تون جان بأنه وضع مخًّا جديدًا في جسده القديم. وقد أخبره فعلًا في أول فرصة.

وبعد ذلك بوقت قصير، قابلت تون جان في أحد ممرات المختبرات. تطلع نحوي فاحصًا للحظة، ثم أوقفني وسألني: «ما اسمك؟».

أجبته: «تور-دور-بار».

ارتجف بوضوح، وقال متسائلًا: «هل أنت بشع حقًّا كما تبدو؟»؛ ثم أضاف، دون انتظار لردي: «ابقَ بعيدًا عن ناظري، إذا كنت لا تريد الذهاب إلى المحرقة أو الأحواض».

ضحك كثيرًا جون كارتر وراس ثافاس عندما أخبرتهم بما حدث. من الجيد أن نضحك أحيانًا، فلا توجد أي تسلية في هذا المكان. كنت قلقًا على جاناي، وكذا على احتمال استعادة جسدي السابق. فقد كان راس ثافاس مكتئبًا بسبب فشل خطته لاستعادة مختبره السابق في

تونول، والانتقام من فوبيس كان الجيداك. وأعرف أن جون كارتر كان حزينًا دائمًا على مصير أميرته.

وبينما كنا نتحدث في غرفة مكتب راس ثافاس الخاصة، أُعلِن عن حضور ضابط من القصر. وقد دخل الغرفة دون انتظار لدعوته. وقال: «لقد جئت لإحضار هورماد يُسمى تور-دور-بار. عليك إرساله دون إبطاء».

قال الضابط: «هذا أمر من مجلس الحِدود السبعة». كان متجهمًا ومتعجرفًا؛ لا شك أنه أحد الأسرى الحُمر من الذين وُضعت في جماجمهم أمخاخ هورماد.

هز راس ثافاس كتفيه، وأشار نحوي قائلًا: «هذا هو تور-دور-بار».

❊ ❊ ❊

الفصل (١٠)

العثور على جاناي

اصطف سبعة هورماد آخرون معي أمام المنصة التي جلس فوقها الجِدود السبعة. ربما كنت أكثرهم قبحًا. سألونا العديد من الأسئلة. كان، بشكل ما، اختبارًا للذكاء؛ لأنهم يريدون هورمادًا فوق المتوسط من حيث الذكاء، للخدمة في هذه الهيئة المختارة من الحراس الوحشيين. أدركت أيضًا أنهم أصبحوا يهتمون بالمظهر قليلًا؛ إذ نظر أحد الجِدود نحوي طويلًا، ثم أشار لي أن أبتعد.

قال: «نحن لا نريد مثل هذا المخلوق البشع بين الحراس».

نظرت حولي نحو الهورماد الآخرين في الغرفة، ولم أشهد فارقًا كبيرًا للاختيار بيني وبينهم. كانوا جميعًا وحوشًا بشعة. ماذا يجعلني أكثر بشاعة؟ وبالطبع لم يكن بمقدوري أن أفعل أي شيء؛ فاتخذت خطوة للوراء، بخيبة أمل كبيرة.

كان خمسة من السبعة الباقين أفضل قليلًا من نصف أذكياء، وأبعدوهم. وربما كان الاثنان الآخران أغبياء بدرجة عالية في أحسن

الأحوال، لكنهم قبلوهما. تحدث الجِد الثالث إلى ضابط، وسأله: «أين الهورماد الذي طلبت حضوره، واسمه تور-دور-بار؟».

قلت: «أنا تور-دور-بار».

قال الجِد الثالث: «تعال هنا». خطوت ثانية نحو المنصة.

واصل الجِد الثالث كلامه: «يقول أحد حراسي إنك أقوى شخص في موربوس. هل هذا صحيح؟».

أجبت: «لا أعرف. لكنني قوي جدًّا».

- يقول إنك تستطيع إلقاء رجل إلى السقف وتتلقاه مرة أخرى. دعني أراك تفعل ذلك.

اخترت أحد الهورماد المرفوضين، وألقيته إلى أعلى ما أستطيع. عرفت حينها أنني لم أعرف قوتي. كانت الغرفة شاهقة، وارتطم المخلوق بالسقف مجلجلًا ثم سقطت مرة أخرى بين ذراعي وهو فاقد الوعي. نظر نحوي الجِدود السبعة والآخرون في الغرفة باندهاش.

قال الجِد الثالث: «قد لا يكون جميلًا، لكني سآخذه لحراستي».

اعترض الجِد الذي كان قد أشار لي بالابتعاد، وقال: «يجب أن يكون الحراس أذكياء. وهذا المخلوق يبدو بلا مخ على الإطلاق».

قال جِد آخر: «سنرى»، ثم بدأوا في توجيه الأسئلة. كانت بالطبع أسئلة بسيطة، يمكن لأكثر الرجال الحُمر جهلًا الإجابة عليها بسهولة؛ ذلك أن موجهي الأسئلة لا يملكون في النهاية سوى أمخاخ وخبرة الهورماد.

قال الجِد الثالث: «إنه ذكي جدًّا، ويجيب على كل أسئلتنا بسهولة. وأنا مُصرٌّ عليه».

قال الجِد الأول: «سوف نجري قُرعة عليه».

قال الجِد الثالث غاضبًا: «لن نفعل شيئًا من هذا القبيل. إنه لي؛ أنا مَن أرسلت لإحضاره، ولم يكن أي منكم قد سمع عنه من قبل».

فقال الجِد الرابع: «فلنقم بإجراء تصويت».

لم يقل الجِد الخامس، الذي كان قد رفضني، أي شيء؛ وإنما جلس هناك متذمرًا. لقد جعلته يبدو كالأحمق بإثباتي أن العديد من الجِدود يرغبون في أخذي.

قال الجِد السابع: «هيا، فلنقم بالتصويت لتحديد ما إذا كان الجِد الثالث يفوز به أم نقترع عليه».

قال الجِد الثالث: «لا تضيعوا الوقت؛ لأني سوف آخذه على أي حال»، كان رجلًا ضخمًا، أضخم من جميع زملائه.

قال الجِد الأول هادرًا: «أنت تثير المتاعب دائمًا».

رد الجِد الثالث بحسم: «إنكم أنتم مَن تثيرون المتاعب بمحاولة حرماني مما هو حقي».

قال الجِد الثاني: «الجِد الثالث على حق. لم يكن أي منا يريد هذا الهورماد، وكنا على استعداد لرفضه، إلى أن أثبت الجِد الثالث أن هذا الهورماد يصلح حارسًا له».

تشاجروا لفترة طويلة، وفي النهاية استسلموا أمام الجِد الثالث.

أصبح لديَّ الآن سيد جديد. وقد ضعني تحت مسؤولية أحد ضباطه، ثم أخرجوني لأبدأ في واجباتي كحارس في قصر جِدود موربوس السبعة.

اقتادني الضابط إلى غرفة حراسة كبيرة، حيث يوجد العديد من المحاربين الهورماد الآخرين. كان تيايتان-أوف من بينهم، واقتنص الفرصة للفخر بدوره في اختياري ضمن الحرس. كان أحد أول الأشياء التي تعلمتها أن أقاتل وأموت، إذا لزم الأمر، دفاعًا عن الجِد الثالث. أعطوني شارة الحرس لأعلقها حول رقبتي، ثم تعهد ضابط بتدريبي على استخدام السيف الطويل. كان عليَّ أن أتظاهر ببعض الارتباك، حتى لا يكتشف أنني أكثر دراية بالسلاح منه. وقد أثنى على استعدادي، وأخبرني أنه سيعطيني تعليمات اليومية بعد ذلك.

وجدت زملائي الحراس عبارة عن مجموعة غبية مغرورة من المغفلين. كانوا يغارون من بعضهم، ومن الجِدود السبعة الذين كانوا مجرد هورماد في أجسام رجال حُمر، اكتشفت أن الخوف هو الشيء الوحيد الذي يُقيدهم؛ لأن ذكاءهم يكفي لإثارة استياء مجموعتهم وإثارة حسد الضباط والجِدود الذين يتمتعون بالسلطة والنفوذ. كانت التربة مُهيأة للتمرد أو الثورة. كان مجرد اتجاه مستتر يشعر به المرء إذا كان ذكيًّا؛ وهم لا يُعرِبون عن مشاعرهم الحقيقية بصوت عالٍ؛ لأنهم يخشون الجواسيس والمخبرين.

أغضبني كل تأخير يمنعني من البحث عن جاناي. لم أجرؤ على الاستفسار عنها، فقد يثير ذلك الشك على الفور؛ كما لم أجرؤ على التجول بفضول في القصر إلى أن أعرف المزيد عن عاداته وحياته.

أخذوني في اليوم التالي مع كتيبة من الحرس خارج أسوار المدينة، بين القرى المزدحمة بالهورماد العاديين. رأيت آلاف المخلوقات الوحشية، الغبية والمتجهمة، في ظل غياب أي متعة غير الأكل والنوم؛ ويتمتعون بقدر من الذكاء لا يكفي عادة إلا ليجعلهم غير راضين عن مصيرهم. ويوجد لدى العديد، بطبيعة الحال، أمخاخ أقل ذكاءً ولا تزيد قدرة خيالهم على قدرة الوحوش. وهؤلاء فقط هم مَن كانوا قانعين.

رأيت الحسد والكراهية في نظرات العديدين منهم نحونا ونحو ضباطنا. وسمعنا لغطًا متذمرًا بعد مرورنا، استمر يتبعنا كأنين الرياح المنخفض في أعقاب طائرة. توصلت إلى استنتاج مفاده أن جِدود موربوس السبعة سوف يواجهون العديد من العقبات على طريق خطتهم المهيبة لقهر العالم بهذه المخلوقات، وأن أكثر العقبات التي لا يمكن التغلب هي هذه المخلوقات نفسها.

تعرفت أخيرًا على طرقات القصر وكيفية العثور على طريقي؛ وفي أول مرة كنت فيها خارج أوقات العمل، بدأت البحث المنهجي عن جاناي. كنت أتحرك بسرعة دائمًا، كأني في مأمورية مهمة؛ وبالتالي لم يكن الضباط أو الهورماد يهتمون عندما يلتقون بي خلال حركتي.

وصلت في أحد الأيام إلى نهاية ممر، وخطا هورماد من المدخل وواجهني. سألني: «ماذا تفعل هنا؟ ألا تعرف أن هذه هي مساكن النساء، وغير مسموح لأحد بالوجود هنا إلا حراسهن؟».

سألته: «وهل أنت أحد هؤلاء الحراس؟».

– نعم؛ وعليك الآن أن تذهب وألَّا تعود إلى هنا ثانية.

قلت: «من المؤكد أن موقعك على درجة كبيرة من الأهمية؛ حراسة النساء».

انتفخ بشكل ملحوظ، وقال: «هذا صحيح بالفعل. ولا يختارون لهذا الموقع سوى المحاربين الأجدر بالثقة».

سألته: «وهل النساء جميلات جدًّا؟».

أجاب: «جدًّا».

– أنا أحسدك بالتأكيد. أتمنى أن أكون حارسًا هنا أيضًا. سوف تسعدني رؤية هؤلاء النساء الجميلات. فلم أرَ واحدة من قبل. من الرائع إلقاء مجرد لمحة عليهن.

قال: «حسنًا، ربما ما من ضرر أن أسمح لك بلمحة صغيرة. يبدو أنك رجل ذكي جدًّا. ما اسمك؟».

أجبت: «اسمي تور–دور–بار. وأنا ضمن حرس الحِد الثالث».

سألني: «أنت تور–دور–بار، أقوى رجل في موربوس؟».

– نعم، أنا هو.

– لقد سمعت عنك. يتحدث الجميع عنك، وكيف رميت الهورماد إلى سقف قاعة المجلس بقوة بحيث قتلته. يسعدني جدًّا أن أسمح لك بإلقاء نظرة على النساء؛ ولكن، لا تقل لأحد أنني فعلت ذلك.

قلت له مؤكِدًا: «لن أقول بالطبع».

خطوت نحو الباب في نهاية الممر وفتحته. رأيت غرفة كبيرة تضم عدة نساء، وعددًا من الهورماد الذي لا جنس لهم، وكان من الواضح

أنهم يخدمونهن.

قال الحارس: «يمكنك أن تدخل؛ سيظنون أنك حارس آخر».

دخلت الغرفة وتجولت ببصري حولها سريعًا. وخفق قلبي عندما رأيت جاناي في طرف الغرفة البعيد. نسيت كل شيء آخر، وبدأت أتوجه نحوها. نسيت الحارس. ونسيت أنني وحش بشع. نسيت كل شيء إلا أن المرأة التي أحبها هناك، وها أنا هنا. أدركني الحارس ووضع يده على كتفي.

قال: «مهلًا! إلى أين تذهب؟».

عُدت إلى رشدي، وقلت له: «كنت أرغب في إلقاء نظرة عن قرب نحوهن. أردت أن أرى ماذا يرى الحِدود في النساء».

– حسنًا، لقد رأيت ما يكفي. وأنا عن نفسي لا أرى ما يرونه فيهن. تعال الآن، يجب أن تخرج.

وعندئذ تأرجح الباب الذي دخلنا منه مفتوحًا، ودخل الحِد الثالث. انكمش الحارس رعبًا، وقال لاهثًا: «أسرع! اختلط مع الخدم. تظاهر أنك واحد منهم، ربما لن يلاحظك».

أسرعت نحو جاناي، وركعت أمامها. سألتني: «ماذا تريد؟ ماذا تفعل هنا، يا هورماد؟ أنت لست أحد خدمنا».

قلت لها هامسًا: «لديَّ رسالة لكِ». لمستها بيدي. لم أتمكن من منع نفسي. بالكاد ما أمكنني مقاومه الرغبة الهائلة التي شعرت بها لآخذها بين ذراعيَّ. انكمشت مبتعدة عني، وعلى وجهها تعبير عن

الكراهية والاشمئزاز.

قالت: «لا تلمسني يا هورماد، وإلا سوف أستدعي الحرس».

تذكرت هيئتي كوحش بشع، وابتعدت عنها. توسلت إليها: «لا تستدعي الحرس إلى أن تسمعي رسالتي».

قالت: «لا يوجد أحد هنا ليرسل لي أي رسالة يهمني سماعها».

قلت: «هناك فور داج. هل نسيته؟».

انتظرت بتلهف رد فعلها.

تنفست هامسة: «فور داج! هل أرسلكِ لي؟».

– نعم. طلب مني أن أعثر عليكِ. لم يكن يعرف إلا أنكِ ربما ميتة. وقال لي إذا وجدتكِ، أن أخبركِ أنه يفكر ليلًا ونهارًا في خطة يمكنه بمقتضاها أن يأخذكِ بعيدًا عن موربوس.

قالت: «ما من أمل، ولكن قل له إنني لم ولن أنساه أبدًا. وإنني أفكر فيه كل يوم، والآن سوف أباركه كل يوم لتفكيره بي ورغبته في مساعدتي».

كنت على وشك أن أقول لها أكثر من ذلك، أن أخبرها أن فور داج يحبها، لأرى ما إذا كان ذلك يسعدها أم لا؛ لكني سمعت صوتًا عاليًا يصيح: «ماذا تفعل هنا؟»، استدرت ورأيت أن الجِد الأول قد دخل الغرفة ويواجه الجِد الثالث باتهام.

أجاب الجِد الثالث: «لقد جئت من أجل المرأة أَمَتي. ماذا ستفعل حيال ذلك؟».

– لم يوزع المجلس هؤلاء النساء. وليس لديك الحق في أيٍّ منهن. إذا كنت بحاجة إلى المزيد من العبيد، يمكنك أن تطلب عددًا إضافيًّا من الهورماد. هيا، عليك أن تخرج من هنا!

جاءت إجابة الجِد الثالث بأن خطا عبر الغرفة وأمسك جاناي من ذراعها وأمرها قائلًا: «تعالي معي يا امرأة»، وبدأ في سحبها نحو الباب؛ وعندئذ امتشق الجِد الأول سيفه وسد الطريق. ومض سيف الجِد الثالث وهو يخرجه من غمده، واشتبك الرجلان؛ ما استلزم أن يتخلى الجِد الثالث عن قبضته على ذراع جاناي.

كان مشهدًا نادرًا لمبارزة رديئة، لكنهما تحركا عبر الغرفة كثيرًا وتوجهت طعناتهما المخيفة في جميع الاتجاهات بحيث اضطر شاغلو الغرفة الآخرون إلى التحرك باستمرار لتجنب الإصابة. حاولت البقاء دائمًا بينهما وبين جاناي، ووجدتني الآن بالقرب من الباب والفتاة بجانبي. كان انتباه الحرس وجميع الآخرين في الغرفة منصبًّا على المقاتلين، وكان الباب خلفنا مباشرة. لا يوجد أي مكان يُشكل خطرًا أكبر على جاناي أكثر من هنا. وربما لن تتوفر لي الفرصة ثانية لإخراجها من هذا المسكن الذي تُعتبر سجينة فيه. إلى أين يمكنني أخذها؟ لم أكن أعرف؛ لكن إخراجها من هنا يُعد مسألة مهمة. كنت على يقين أنني إذا تمكنت من تهريبها بطريقه ما إلى المختبر؛ فسوف يجد جون كارتر وراس ثافاس مكانًا لإخفائها. انحنيت بوجهي القبيح مقتربًا من وجهها الجميل، وهمست قائلًا: «تعالي معي»، لكنها انكمشت بعيدًا. توسلت لها: «أرجوكِ، لا تخافي مني. أنا أفعل ذلك من أجل فور داج؛

لأنه صديقي. وأريد أن أحاول مساعدتكِ».

قالت: «حسنًا»، دون مزيد من التردد.

نظرت على عجل حول الغرفة. لم يكن أحد يهتم بنا. تركزت جميع الأعين على المقاتلين. أمسكت بيد جاناي، وتحركا معًا خلسة عبر المدخل إلى الممر.

❊ ❊ ❊

الفصل (١١)

حرب الجِدود السبعة

بعد أن خرجنا من الغرفة التي كانت بمثابة سجن جاناي، لم يكن لديَّ أدنى فكرة إلى أين آخذها. سوف تُثار شكوك أول شخص رآنا معًا. سألت جاناي إذا كانت تعرف أي مكان حيث يمكن أن أخفيها بأمان إلى أن أجد طريقة لإخراجها من القصر. لكنها قالت إنها لا تعرف سوى الغرفة التي سُجِنت فيها.

أسرعت بها عبر الممر الذي جئت منه. وعند قمة السلم الحلزوني المؤدي إلى الطابق أدناه، رأيت ضابطين يصعدان. يوجد باب على يساري؛ ولأننا يجب أن نتوارى عن الأنظار فورًا، فتحت الباب وأدخلت جاناي إلى الغرفة، التي كانت لحسن الحظ شاغرة. من الواضح أنها مخزن؛ لأن هناك أكياسًا وصناديق مكدسة على طول جدرانها. توجد نافذة في أقصى نهاية الغرفة، كما يوجد باب آخر في أحد الجدران الجانبية.

انتظرت إلى أن سمعت صوت مرور الضابطين على الممر، ثم فتحت باب الجدار الجانبي لرؤية ما يكمن وراءه. وجدت غرفة أخرى،

ورأيت في أحد أركانها كومة من حرير وفراء النوم. كان كل شيء مغطى بالتراب، ما يشير إلى أن الغرفة شاغرة منذ فترة طويلة. يوجد حمام في تجويف مُغطى بالستائر؛ وهناك سنانير على طول الجدار، مُعلق عليها أغطية محارب وأيضًا أسلحته. من المؤكد أن ساكن الغرفة السابق تركها، متوقعًا أن يعود. خمنت أنه ضابط خرج في بعثة وقُتِل، فالأغطية والأسلحة التي تركها وراءه كانت ما يرتديه المقاتل في المناسبات.

قلت: «لقد عثرنا على مكان ممتاز لاختبائكِ. عليكِ إبقاء باب هذه الغرفة موصدًا؛ هناك ترباس على هذا الجانب. سأجلب لكِ الطعام عندما أستطيع. وبمجرد ما يمكنني سآخذكِ إلى مكان أكثر أمانًا».

قالت: «ربما سيأتي فور داج لرؤيتي. تأكد من أن تخبره بمكاني».

«سوف يأتي إذا أمكنه ذلك، لكنه في مبنى المختبر ولا يمكنه الخروج. هل ترغبين كثيرًا في رؤيته؟». لم أستطع مقاومة سؤالها عن ذلك.

قالت: «كثيرًا، في الواقع».

– سوف تسعده معرفة ذلك. وإلى أن يتمكن من المجيء، سأفعل أفضل ما في وسعي لمساعدتكِ.

سألتني: «لماذا أنت لطيف هكذا معي؟ أنت تبدو مختلفًا تمامًا عن الهورماد الآخرين الذين رأيتهم».

قلت: «أنا صديق فور داج. وسأفعل كل ما بوسعي له ولكِ. لا تخافي مني الآن؟».

- كلا. كنت في البداية، ولكن ليس الآن.

- لا تخافي مني أبدًا. لا يوجد شيء لن أفعله من أجلكِ، ومستعد حتى للتضحية بحياتي من أجلكِ.

قالت: «أشكرك، على الرغم من أنني لا أفهم».

- ستفهمين في يوم ما، ولكن ليس بعد. والآن، يجب أن أذهب. كوني شجاعة، ولا تفقدي الأمل.

- وداعًا، ... آووه، أنا لا أعرف حتى اسمك.

قلت: «اسمي تور-دور-بار».

- آووه، أتذكرك الآن. لقد قُطِع رأسك أثناء القتال، عند إلقاء القبض على فور داج ودوتار سوجات. أتذكر أنك وعدت فور داج بأن تكون صديقه. لديك الآن جسم جديد.

«كنت أتمنى أن يعطوني وجهًا جديدًا أيضًا»، قلت وأنا أحاول محاكاة ابتسامة بفمي البشع الكبير.

قالت: «يكفي أن لديك قلبًا طيبًا».

- يكفيني أنكِ تقولين ذلك، جاناي؛ والآن وداعًا.

فحصت الأكياس والصناديق المكدسة في الغرفة الخارجية عند مروري خلالها، وأسعدني اكتشاف أنها تضم أطعمة. أسرعت لإبلاغ جاناي بهذه الأخبار الجيدة؛ ثم تركتها وعُدت إلى غرفة الحرس.

كان زملائي الحراس صُحبة رتيبة. فهم مثل معظم الأغبياء يتحدثون أساسًا عن أنفسهم ويتفاخرون كثيرًا. كما كان الطعام أيضًا موضوعًا

شديد الأهمية في أحاديثهم، ويمكنهم قضاء ساعات في الحديث حول كميات الأنسجة الحيوانية الكبيرة التي تناولوها في مناسبات مختلفة. وعندما لا يوجد ضابط بالقرب منهم، يبدأون في الحديث عن شكواهم ضد سلطة الحِدود؛ لكنهم يفعلون ذلك بتخوف، فهناك دائمًا خطر الجواسيس أو المخبرين. فقد كانت أماكن النوم الأفضل وزيادة مخصصات الأنسجة الحيوانية بمثابة المكافآت على الإبلاغ عن الزملاء.

وبعد عودتي بوقت قصير، دخل ضابط الغرفة، وأمرنا بحمل أسلحتنا ومرافقته. سار بنا إلى غرفة كبيرة جدًّا في مسكن الحِد الثالث، الذي ننتمي إليه؛ وهناك وجدت جميع خدم الحِد المسلحين. كان هناك الكثير من الهمس والتكهنات. وبدا على الضباط جدية غير عادية، كما بدا الجو مشحونًا بتخوفات عصبية. دخل الآن الحِد الثالث إلى الغرفة، يرافقه أربعة من الدوّار الأساسيين. وكان ينزف من عدة جروح تحت الضمادات. كنت أعرف أين أُصيب بهذه الجراح، وتساءلت عن وضع الحِد الأول. صعد الحِد الثالث إلى المنصة وخاطبنا.

قال: «سترافقونني إلى مجلس الحِدود السبعة. من واجبكم التأكد من عدم إصابتي بأي ضرر. أطيعوا ضباطكم. إذا كنتم مخلصين، سوف تحصلون على علاوة إضافية من الطعام والعديد من الامتيازات. لقد تحدثت».

ساروا بنا إلى قاعة المجلس، التي كانت مزدحمة بالهورماد المسلحين المنتمين إلى الحرس الشخصي للحِدود السبعة. كان الجو

متوترًا بانفعال مكبوت، أصاب حتى أغبى الهورماد. جلس ستة جِدود على المنصة. كانت الضمادات الحمراء بالدم كثيرة عند الجِد الأول. وكان عرش الجِد الثالث شاغرًا. أحطنا بالجِد الثالث وقمنا بشق الطريق إلى المنصة؛ لكنه لم يصعد إلى العرش، بل وقف في مواجهة الجِدود الستة؛ اتسم صوته وطريقته بالعدوانية وهو يخاطبهم.

قال: «لقد أرسلتم محاربين للقبض عليَّ. وهم موتى الآن. لا يوجد أحد في موربوس لديه السلطة أو النفوذ لاعتقالي. يوجد بينكم مَن يرغب في أن يصبح الجيداك ويحكمنا. يود الجِد الأول أن يصبح الجيداك. لقد حان الوقت لنحدد مَن الذي يصلح ليكون الجيداك؛ لأني أتفق مع آخرين منكم أن سبعة رجال لا يمكن أن يحكموا مثل رجل واحد. فالسلطة المُقسمة ليست سلطة».

صاح الجِد الأول: «أنت رهن الاعتقال».

ضحك الجِد الثالث قائلًا: «أنت تقدم دليلًا إضافيًّا على أنك لا تصلح أن تكون الجيداك؛ إذ يمكنك إصدار أوامر فقط- ولا يمكنك تنفيذها».

نظر الجِد الأول إلى اتباعه، وخاطب الدوّار الرئيس بين حرسه، وأمره: «أمسكْ به! أمسك الخائن، حيًّا أو ميتًا».

تحرك محاربو الجِد الأول نحونا، وهم يشقون طريقهم ببطء خلال حشود المحاربين الآخرين. صادف أنني أقف في الصف الأمامي، في مواجهة الهورماد القادمين نحونا. كان محارب ضخم أول مَن شق طريقه خلالنا. حاول إصابتي بسيفه، لكن محاولته كانت بطيئة جدًّا

وخرقاء، ولم أجد أي صعوبة في التحرك جانبًا بسرعة وتجنب الطعنة. كان قد استخدم كل قوته في تلك الضربة، فعندما لم يصبني فقد توازنه وسقط بين ذراعيَّ. كان ذلك رائعًا! فقد رفعته عاليًا وألقيته على مسافة ٥٠ قدمًا، فوقع وسط رفاقه، وأسقط العديد منهم على الأرض.

صاح الجِد الثالث: «عمل جيد، يا تور-دور-بار! سوف تحصل على كل ما تريد من اللحوم نظير ما فعلته».

اقترب مني رجل ثانٍ، وألقيت به إلى نهاية الغرفة. بدأت أدرك مدى قوتي الهائلة. كان يصعب تمامًا تصديق وجود مخلوق يتمتع بمثل هذه القوة. ساد هدوء، نجح خلاله الجِد الثالث في التحدث مرة أخرى.

صاح هادرًا: «أنا، الجِد الثالث، أُعلِن نفسي الآن جيداك موربوس. لينهض الجِدود الذين سوف يقسمون الولاء لي!».

لم ينهض أحد. بدا وضع الجِد الثالث سيئًا، حيث اكتظت الغرفة بمحاربي الجِدود الآخرين. كما بدا الوضع شديد السوء بالنسبة لنا. تساءلت عما سيفعله الجِد الثالث. وبدا لي أنه خسر حياته على أي حال، بغض النظر عما فعله. استدار وتحدث إلى الدوّار المتجمعين حوله، وعلى الفور صدرت لنا الأوامر بالعودة إلى المدخل. وهنا بدأ القتال، حيث أصدر الجِدود الآخرون أوامرهم لمحاربيهم بمنع هروبنا.

ناداني الجِد الثالث بالاسم: «عليك إخلاء طريقنا إلى الباب يا تور-دور-بار!». بدا لي أنه يعتمد بشكل كبير على قوتي؛ على أني استمتعت بالقتال، وكانت فرصة ممتازة لإشباع رغبتي القتالية. شققت طريق عودتي خلال صفوفنا إلى ما أصبح الآن الصف الأول لهجومنا،

وهنا منحتني تشوهاتي ميزة كبيرة. استخدمت السيف بذراعي الطويل الذي أتاح لي، بدعم من قوتي البشرية الخارقة وسيفي الطويل، إخلاء رقعة خلال خط العدو، مما فتح الطريق كأنما بالسحر؛ فقد استدار مَن لم أسحقهم وفروا قبل اشتداد هجومي.

كانت هناك رؤوس وأذرع وسيقان وأنصاف أجسام تتلوى وتتشنج على الأرض؛ ورؤوس تصرخ وتلعن تحت الأقدام؛ وأجسام مقطوعة الرأس تتدافع في الغرفة وتصطدم عشوائيًّا بالأصدقاء والأعداء. لقد شهدت قاعة المجلس الكبرى لجِدود موربوس السبعة هرجًا ومرجًا لم تشهده من قبل. كان الجزء الأكبر من الهورماد أغبى من معرفة الخوف؛ لكن معنوياتهم تحطمت وهم يرون ضباطهم يفرون أمامي. ونجحنا في الوصول إلى الباب، بخسائر قليلة.

قادنا ضباطنا خارج القصر إلى المدينة، ثم عبر الطريق الطويل إلى بوابات المدينة. لم يكن حرس البوابات يعرفون أي شيء عما يحدث في القصر، ففتحوا البوابات بأمر من الجِد الثالث. لم يكن بإمكانهم إيقافنا على أي حال؛ لأن عددنا فاق كثيرًا عدد حراس البوابات.

تساءلت إلى أين نذهب، لا سيما أننا نسير خارج مدينة موربوس؛ لكني سرعان ما اكتشفت. فما إن وصلنا إلى أول قرية خارج المدينة، حتَّى أمرهم الجِد الثالث بالاستسلام، وأعلن أنه جيداك موربوس. أمر الضباط والمحاربين أن يقسموا بأنهم في خدمته، وقام بترقية العديد من الضباط، ووعد المحاربين بزيادة حصص إعاشتهم، ثم ترك دوّارًا لتمثيله وسار من أجل فتوحات جديدة.

لم يلقَ معارضة في أي مكان، ونجح خلال ثلاثة أيام في إخضاع جزيرة موربوس كلها باستثناء المدينة نفسها. وقام كل دوّار تركه وراءه بتنظيم المحاربين المحليين لمواجهة أي قوة قد يرسلها الحِدود الستة الذين لا يزالون يحكمون المدينة. وخلال تلك الأيام الثلاثة، لم يخرج الجيش من موربوس لمعارضة حق الجيداك الجديد في الحكم.

سرنا في اليوم الخامس عائدين إلى قرية كبيرة على الساحل، بالقرب من المدينة. وهناك أسس آي-ماد، جيداك موربوس، عاصمته. وقد اتخذ لنفسه اسم أي-ماد، وترجمته الحرفية هي: رجل واحد، أو الرجل رقم واحد، أو الرجل الأول. كان زعيمًا، على أي حال، واعتقد أنه أفضل مَن يصلح كجيداك من بين الحِدود السبعة. كان يتمتع بلياقة بدنية ووجهه مناسب لدوره الجديد، كما كان عقله من أفضل العقول بين جميع الهورماد الذين عرفتهم.

بيد أن كل ما حدث حينذاك قد وضعني، بطبيعة الحال، في موقف يائس تمامًا. فقد كانت جاناي في المدينة، بعيدة عن أي أمل في المساعدة. كما أنني انفصلت عن أمير الحرب وراس ثافاس. لست سوى هورماد مسكين دون نفوذ أو منصب. ليس بمقدوري القيام بأي شيء، ولا بد أنني أصبحت معروفًا في المدينة ولن أتمكن من دخولها خلسة. ولا بد أن ملامحي البشعة أصبحت معروفة جيدًا الآن لأتباع الحِدود الستة، وبالتالي فقدتُ أدنى أمل في دخول المدينة دون أن يتعرفوا عليَّ.

بعد استقرارنا أخيرًا في عاصمة أي-ماد الجديدة، ألقيت نفسي على

الأرض مع زملائي الهورماد انتظارًا للحصول على الأنسجة الحيوانية اللزجة، التي كانت جائزتنا الرئيسة للفتوحات التي حققناها. كانت معظم المخلوقات المسكينة البائسة، المُعاقة عقليًّا، الذين هم زملائي، ترضيها تلك الأنسجة؛ بينما لم تكن تُرضيني. لقد وُهبتُ مُخًّا أفضل، وبقدرة وخبرة وقوة بدنية أكثر من أي منهم. كنت إلى حد بعيد أفضل من الجيداك نفسه؛ لكني مجرد هورماد بشع ومشوه، لا يود أي كالوت يحترم نفسه أن يرافقني. وهكذا، شغلتني الشفقة على نفسي عندما جاء ضابط واستدعاني بالاسم بصوت عالٍ، فوقفت.

قلت: «أنا تور-دور-بار».

فقال: «تعالَ معي. لقد أرسل الجيداك يطلبك».

رافقته إلى حيث يتجمع الجيداك وجميع ضباطه الرئيسين. تساءلت ما المهمة الجديدة التي سيطلبها آي-ماد لاختبار قوتي الهائلة، فلا أصدق أنه يرغب في رؤيتي لأي غرض آخر. كنت قد اكتسبت الدونية النموذجية للهورماد الحقيقي.

وجدت أنهم أقاموا نوعًا ما من المنصة والعرش من أجل آي-ماد، حيث جلس كأي جيداك عادي يتجمع حوله ضباطه. أمرني قائلًا: «اقترب، تور-دور-بار!»، فخطوت إلى الأمام ووقفت أمام العرش. قال: «اركع»، فركعت؛ لأني لست سوى هورماد مسكين. أضاف: «إن الانتصار الذي حققناه في قاعة المجلس في موربوس يرجع إليك. أنت لا تملك قوة العديد من الرجال فحسب، لكنك تتمتع بذكاء أيضًا. ولذلك، قررت تعيينك في منصب دوّار. وعندما ندخل موربوس

منتصرين، يمكنك اختيار جسم أي رجل أحمر هناك، وسوف أصدر أوامري إلى راس ثافاس لنقل مخك إلى جسم هذا الرجل الأحمر».

أنا دوّار إذَنْ. شكرتُ آي-ماد، وانضممت إلى الدوّار الآخرين الذين يتجمعون حوله. كانت أجسامهم جميعًا لرجال حُمر. لكني لم أعرف كم منهم لديه مخ هورماد. ربما كنت الوحيد، بقدر ما أعرف، الذي لديه مخ بشري.

❊ ❊ ❊

الفصل (١٢)

مكافأة المحارب

موربوس مدينة مسورة؛ وهي منيعة عمليًّا أمام الرجال المُسلحين فقط بالسيوف. ظل آي-ماد يحاول لمدة سبعة أيام دخولها، لكن أقصى ما استطاعه محاربوه هو تسلق بواباتها الخشبية الكبيرة دون جدوى، حيث أسقط دفاعها من المحاربين الحجارة الثقيلة على رؤوسهم. انسحبنا في الليل، وربما ذهب المدافعون للنوم بشعور بالأمان الكامل. وفي اليوم الثامن، دعا آي-ماد إلى اجتماع يضم جميع الدوّار. قال: «نحن لم نصل إلى أي شيء. ويمكننا أن نظل نضرب تلك البوابات لآلاف السنين، ولا نحقق أي شيء أكثر من خدشها. كيف لنا أن نأخذ موربوس؟ إذا كنا لنقهر العالم، علينا الاستيلاء على موربوس وراس ثافاس».

قلت: «لا يمكنك قهر العالم، ولكنك تستطيع الاستيلاء على موربوس».

سألني: «لماذا لا نستطيع قهر العالم؟».

– لأنه كبير جدًّا، ويضم الكثير من الأمم العظمى التي يتعين التغلب عليها.

سألني: «ماذا تعرف عن العالم؟ أنت مجرد هورماد، ولم تخرج أبدًا من موربوس».

– سترى أنني على حق، إذا حاولت قهر العالم؛ ولكن من السهل التغلب على مدينة موربوس.

سألني: «وكيف؟».

قلت له في بضع كلمات كيف يمكنني تحقيق ذلك إذا كنت في القيادة. أخذ يتطلع في وجهي لفترة طويلة، وهو يفكر في المسألة. قال: «الأمر في منتهى البساطة»، ثم التفت إلى الآخرين: «لماذا لم يفكر أحد منكم في ذلك من قبل؟ تور–دور–بار هو الرجل الوحيد الذكي بينكم».

انشغل ألف هورماد طوال تلك الليلة في بناء سلالم طويلة، وامتد العمل إلى اليوم التالي. أصبح لدينا ألف سلم. وعندما مر القمران تحت الأفق في الليلة الثانية، تسلل مائة ألف هورماد نحو جدران موربوس ومعهم السلالم طويلة. رفعنا السلالم إلى قمة الأسوار في ألف مكان في أنحاء المدينة كافة؛ وعند إشارة معينة، صعد مائة رجل على كل سلم وهبط في شوارع المدينة.

كان الباقي يسيرًا. نجحنا في الاستيلاء على المدينة النائمة دون أن نفقد سوى عدد قليل من المحاربين؛ ودخل آي–ماد مع دوّاره إلى قاعة المجلس. وكان أول ما فعله هو إزالة جميع العروش من على المنصة،

باستثناء عرش واحد. وبعد أن جلس على العرش، طلب إحضار الجِدود الستة أمامه. وقد سحبهم الحرس، وجاءوا خائفين ومذعورين.

سألهم: «كيف ترغبون أن تموتوا؟ أ تفضلون إعادة أمخاخكم إلى جماجم الهورماد التي أتوا منها؟ من أين جاؤوا ؟».

قال الجِد الخامس: «هذا لا يمكن القيام به. ولكن إن أمكن، فإنني أفضل بالأحرى أن أذهب إلى الأحواض. أنا لا أرغب أن أكون هورمادًا مرة أخرى».

سأله أي-ماد: «لماذا لا يمكن القيام بذلك؟ هذا ما فعله راس ثافاس مرات عديدة، ويمكنه أن يفعله ثانية».

قال الجِد الخامس: «ليس هناك راس ثافاس، لقد اختفى».

يمكنك أن تتخيل مدى أثر هذه العبارة عليَّ. إذا كانت صحيحة، فقد حُكم عليَّ بالسجن مدى الحياة في جسم هورماد متوحش. ما من مهرب؛ لأن دوهور -حيث يوجد فاد فارو- بعيدة عني، كأنما عاد إلى كوكبه جاسوم؛ وهو الرجل الوحيد الآخر في العالم الذي يمكنه أن يُعيد مخي إلى جسمي الفعلي إذا كان راس ثافاس قد مات. وفي ظل هذا الجيداك الجديد لموربوس، الذي يسعى إلى قهر العالم، سيصبح الجميع أعداءنا. ولن أتمكن من استدعاء أي رجل لإنقاذي.

وماذا عن جاناي؟ ستراني بغيضًا على الدوام، ولن أستطيع حتى أن أخبرها الحقيقة. كان من الأفضل أن تعتقد أنني ميت من أن تعرف أن مخي دُفن إلى الأبد وراء هذا القناع البغيض غير الإنساني. كيف

يمكن لرجل بهذا المظهر الخارجي أن يتحدث عن الحب؟ والحب ليس للهورماد.

سمعت، وأنا في حالة ذهول، آي-ماد يسأل عن ما حل براس ثافاس، ورد الجِد الخامس: «لا أحد يعرف. لقد اختفي ببساطة. ونظرًا لأنه لا يستطيع الهرب من المدينة دون أن نكتشفه، فإننا نعتقد أن بعض الهورماد قاموا بتقطيعه وألقوه في أحد أحواض الاستزراع انتقامًا منه».

غضب آي-ماد، إذ من دون راس ثافاس يتحطم حلمه لغزو العالم. صاح: «هذا من عمل أعدائي. واحد منكم -«أنتم الجِدود الستة»- له يد في هذا. لقد دمرتم راس ثافاس أو أخفيتموه. خذوهم بعيدًا! ضعوهم في زنزانات منفصلة في الحُفر. ومَن يعترف أولًا، سوف ينال حياته وحريته، بينما يموت الباقون. أعطيكم يومًا واحدًا لاتخاذ قرار».

وبعد إبعاد الجِدود الستة، عرض آي-ماد أن يعفو عن جميع ضباطهم الذين يقسمون له الولاء. وهي دعوة لم يرفضها أحد؛ لأن الرفض لا يعني سوى الموت. وبعد انتهاء هذا الإجراء الرسمي، الذي استغرق عدة ساعات، أعلن آي-ماد على الملأ أن الفضل في نجاح عملياته ضد موربوس يرجع لي؛ وأنه سيمنحني أي معروف أطلبه بالإضافة إلى تعييني أودوار، وهي رتبة عسكريه تماثل رتبة الجنرال في جيوش كوكب الأرض.

«والآن»، واصل آي-ماد جنون، «يمكنك اختيار المعروف الذي تريده».

قلت: «أود أن أقوم بذلك بيننا فقط؛ فالمعروف الذي أود أن أطلبه

لا يهم أحدًا غيري وغيرك».

قال: «حسنًا. سنجتمع معًا على انفراد بعد انتهاء هذه الجلسة العامة».

انتظرت بنفاد صبر انتهاء الجلسة في قاعة المجلس. تنفست الصعداء عندما نهض آي-ماد أخيرًا وأشار لي أن أتبعه. قادني إلى مقصورة صغيرة وراء المنصة مباشرة، وجلس خلف مكتب كبير.

«والآن»، قال: «ما المعروف الذي ترغب فيه؟».

أجبت: «سوف أطلب معروفين. أولًا، أود أن أتولى بالكامل مسؤولية مبنى المختبر».

قاطعني قائلًا: «لا أرى أي وجه اعتراض على ذلك. ولكن لماذا تطلب مثل هذا الطلب الغريب؟».

أوضحت: «يوجد جسم رجل أحمر هناك، وأرغب في نقل مخي إليه إذا عثرنا على راس ثافاس. وإذا توليت مسؤولية مبنى المختبر بالكامل، يمكنني حماية هذا الجسم والتأكد من إجراء راس ثافاس العملية».

قال: «حسنًا، طلبك مُجاب. وما الطلب الآخر؟».

- أريدك أن تعطيني الفتاة، جاناي.

اكفهر وجهه، وسألني: «ماذا تريد من فتاة؟ أنت مجرد هورماد».

- قد أصبح رجلًا أحمر في يوم ما.

- ولكن لماذا هذه الفتاة جاناي؟ ماذا تعرف عنها؟ لم أكن أعرف

أنك رأيتها من قبل».

– كنت مع المجموعة التي أمسكت بها، وهي المرأة الوحيدة التي رأيتها في حياتي وأريدها.

قال: «لا أمنحك إياها، لو لديَّ عقل. لكنها اختفت أيضًا. لا بد أنها هربت من الغرفة في أثناء قتالي مع الجِد الأول، فقد كنا نتقاتل في الشقة التي تُحتَجز فيها النساء. ولم نرها منذ ذلك الحين».

– وهل تعطيها لي إذا أمكن العثور عليها؟

– أنا أريدها لنفسي.

– ولكن بإمكانك الاختيار من العديدات الأخريات. لقد رأيت نساء جميلات في القصر؛ وبالتأكيد توجد بينهن زوجة رائعة ومناسبة لجيداك. وهذا هو المعروف الذي أرغبه أكثر من أي شيء.

قال: «ربما تفضل جاناي الموت على أن تنتمي إلى وحش بشع مثلك».

– حسنًا. إذا أمكن العثور عليها، نترك لها القرار.

ضحك، ثم قال: «أوافق على ذلك عن طيب خاطر. هل تعتقد أنها سوف تختارك وتفضلك على الجيداك، هل ستُفضل وحشًا على رجل؟».

– لقد قيل لي إن النساء لا يمكن التنبؤ بهن. وأنا على استعداد للمجازفة والقبول بقرارها، إذا وافقتَ أنت على ذلك.

قال: «اتفقنا إذَنْ». كان لطيفًا جدًّا حول هذا الموضوع، وعلى

يقين من النتيجة؛ أضاف: «لكنك لم تحصل على الكثير كمكافأة على الخدمات التي قدمتها لي. تصورت أنك ستطلب على الأقل قصرًا لك والعديد من الخدم».

قلت: «طلبت أكثير شيئين أتمناهما، وأنا راضٍ».

- حسنًا، لك القصر والخدم وقتما تشاء؛ فوفقًا لاقتراحك، لن تختارك الفتاة حتى إذا وجدناها.

بمجرد أن صرفني، أسرعت إلى الشقة حيث تركت جاناي، وكان قلبي يخفق خشية ألا أجدها هناك. كان يجب أن أتوخى الحذر حتى لا يراني أحد وأنا أدخل المخزن الذي يؤدي إلى مكان اختبائها؛ فلم أكن أريد أن يكتشف آي-ماد أنني أعرف مكانها. كان الممر خاليًا لحسن الحظ، ودخلت المخزن دون أن يراني أحد. ذهبت إلى غرفة جاناي، وطرقت الباب. لم ترد.

ناديتها: «جاناي! هذا أنا، تور-دور-بار. هل أنت هناك؟».

سمعت صوت سحب الترباس، وتأرجح الباب مفتوحًا. وقفت هناك! كاد قلبي أن يتوقف، لشعوري بالراحة. كانت جميلة جدًّا! تبدو أكثر جمالًا في كل مرة أراها.

قالت: «لقد عدتَ. بدأت أخشى ألا تأتي أبدًا. هل لديك رسالة من فور داج؟».

إنها تفكر إذَنْ في فور داج! يقتات الحُب ويزدهر على مثل هذا الرزق البسيط. دخلت الغرفة وأغلقت الباب.

قلت: «يرسل إليكِ فور داج بتحياته. وهو لا يفكر في أي شيء سواكِ ورفاهكِ».

– ولكن، ألا يمكنه أن يأتي؟

– كلا. إنه سجين في مبنى المختبر، لكنه كلفني بالاعتناء بكِ. ويمكنني الآن الاعتناء بكِ أفضل من ذي قبل، فقد حدثت العديد من التغيرات في موربوس منذ أن رأيتكِ آخر مرة. أنا أودوار الآن، وأتمتع بالنفوذ عند الجيداك الجديد.

قالت: «لقد سمعت أصوات القتال. أخبرني بما حدث».

أخبرتها بإيجاز أن الجِد الثالث هو الجيداك الآن. فقالت: «أنا ضعت إذَنْ؛ لأنه أصبح قويًّا».

قلت لها: «ربما هذا هو خلاصكِ. لقد قام الجيداك بترقيتي إلى أودوار، لمكافأتي على الخدمات التي قدمتها له، ووعد بمنحي أي معروف أطلبه».

– وماذا طلبت منه؟

– أنتِ.

كان يمكنني أن أشعر تقريبًا بالقشعريرة التي سرت خلال جسدها وهي تنظر إلى وجهي البشع وجسمي المشوه. قالت متوسلة: «أرجوك! قلت إنك صديقي، وإنك صديق فور داج. وأنا على يقين أنه لن يرغب في أن أكون لك».

قلت لها: «لقد طلبتكِ فقط حتى يمكنني حمايتكِ من أجل فور داج».

سألتني: «وكيف يعرف فور داج أنني سأكون له؟».

«إنه لا يعرف. وإنما يأمل فقط أن أحميكِ من الآخرين. أنا لم أقل أن فور داج يريدكِ لنفسه؟». لم أستطع مقاومة قول ذلك، لمجرد المقارنة مع ما يبدو من لا مبالاتها تجاه فور داج. ارتفع ذقنها قليلًا، وأسعدني ذلك. أعرف بعض الأشياء عن النساء وردود أفعالهن.

سألتني: «وماذا قال الجِد الثالث عندما طلبتني؟».

قلت موضحًا: «إنه الجيداك الآن، ويُسمي نفسه آي-ماد. وقال لي «إنك لن تقبلي بي، ولذا جئت لأضع المسألة كلها أمامك، والقرار لك. أعتقد أن فور داج يحبكِ. وعليكِ أن تختاري بينه وبين آي-ماد. سوف يطلب منكِ آي-ماد الاختيار بينه وبيني؛ لكن الخيار سيكون في الواقع بينه وبين فور داج، لكن آي-ماد لن يعرف ذلك. إذا اخترتِني، سيشعر آي-ماد بالإهانة والغضب؛ لكني أعتقد أنه سيلتزم بالصفقة. وعندئذ سوف آخذكِ إلى مسكن بالقرب من مسكني، وأتولى حمايتكِ إلى أن يحين الوقت المناسب حيث يمكنكِ أنتِ وفور داج الهرب من موربوس. ويمكنني أيضًا أن أؤكد لكِ أن فور داج لن يُلزِمكِ بأي وعد بعد ذلك. فكرته الوحيدة الآن هي مساعدتكِ».

قالت: «كنت متأكدة أن فور داج سيفعل ذلك. وكُن على يقين أنني سأختارك عندما يطلب مني آي-ماد الاختيار».

سألتها: «حتى لو اختيارِكِ له سيجعلكِ الجيدارة؟».

قالت: «وحتى مع ذلك، نعم».

الفصل (١٣)

اختفاء جون كارتر

بعد أن تركتُ جاناي، ذهبت مباشرة إلى مبنى المختبر للعثور على جون كارتر ومعرفة ما يعرفه عن اختفاء راس ثافاس. اتفقت مع جاناي أن تبقى حيث كانت لبضعة أيام حتى لا تثير سهولة العثور عليها شكوك آي-ماد. وقررت الشروع في بحث عنها بحيث يجدها شخص آخر، مع وجودي بالقرب منه لمنع أي إجهاض لخططنا.

كان تون جان أول مَن قابلته عند دخولي مبنى المختبر.

وما إن رآني حتَّى انفجر غاضبًا: «أعتقد أنني قلت لك أن تبقى بعيدًا عن ناظري»، ثم أضاف متوعدًا: «هل تريد أن تذهب إلى المحرقة؟».

أشرت إلى شارة منصبي، التي من الواضح أنه لم يلاحظها. وسألته: «لا يمكنك أن ترسل أودوار الجيداك إلى المحرقة، هل يمكنك؟».

كان مصعوقًا، وسألني: «هل أنت أودوار؟».

سألته: «ولِمَ لا ؟».

– لكن كنت مجرد هورماد.

– ربما، لكني أيضًا أودوار. يمكنني إرسالك إلى المحرقة أو الأحواض، لكني لا أنوي ذلك. لديَّ جسمك، ولذا يجب أن نكون أصدقاء. ما رأيك؟

«حسنًا»، قال موافقًا. فماذا يمكن أن يفعل غير ذلك؟ ثم أضاف: «لكني لا أفهم كيف حصلت على رتبة الأودوار، ولديك هذا الوجه البشع والجسم المشوه».

قلت لتذكيره: «لا تنسَ أنهما كانا وجهك وجسمك في يوم ما. ولا تنسَ أيضًا أنك لم تكن تستطيع أن تذهب إلى أي مكان بهما. فالأمر يتطلب أكثر من وجه أو جسم للذهاب إلى أي مكان – يتطلب المخ، الذي يفيد في أشياء أخرى بجانب التفكير في الطعام».

– ما زلت لا أستطيع أن أفهم لماذا أعطوك رتبة أودوار وهناك رجل حسن المظهر مثلي كان يمكنهم اختياره.

– حسنًا، لا يهم. ليس هذا ما جئت هنا لأناقشه. لقد أصبحت مسؤولًا بالكامل عن مبنى المختبر، وجئت للتحدث مع جون كارتر. هل تعرف أين هو؟

– لا. ولا يعرف أي شخص آخر مكانه. لقد اختفى في الوقت نفسه مع اختفاء راس ثافاس.

يا لها من ضربة جديدة. جون كارتر اختفى! لكن هذه المعلومة جددت أملي، عندما فكرت في الأمر ثانية. فقد ذهب كلاهما ولا أحد

يعرف ماذا حدث لهما. من الممكن تمامًا أنهما وجدا وسيلة للهرب معًا. كنت على يقين أن جون كارتر لن يتخلَّى عني أبدًا. إذا ذهب بإرادته، فسوف يعود. لن يتركني أسكن هذا الجسم الفظيع.

سألته: «ألا يوجد لدى أحد أي فكرة عما حدث لهما؟».

قال تون جان: «ربما تعرضا للتقطيع والإلقاء في أحد الأحواض. فقد خرج بعض قدامى الهورماد عن السيطرة، وهددهم راس ثافاس بالمحرقة. وربما فعلوا ذلك لإنقاذ أنفسهم، أو لمجرد الانتقام منه».

قلت: «أنا ذاهب إلى غرفة مكتب راس ثافاس. تعال معي».

وجدت غرفة المكتب في نفس الحالة التي رأيتها عليها آخر مرة. لا يوجد ما يشير إلى وقوع عِراك من أي نوع، ولا يوجد أي دليل يشير إلى حل للغز. كنت في حيرة كاملة.

- متى شُوهدا آخر مرة؟

- قبل حوالي ثلاثة أيام. قال أحد الهورماد إنه رآهما يخرجان من الحُفر. لا أعرف لماذا كانا هناك. فلم يعُد أحد يذهب إلى هناك منذ أن توقفوا عن تخزين الجثث؛ كما لا يُحتَفظ بالسجناء هناك، فهم يستخدمون الحفر الموجودة تحت بعض المباني الأخرى.

- هل تم تفتيش الحُفر؟

- نعم، ولم نعثر لهم على أي أثر.

قلت: «انتظر هنا لدقيقة». أردت أن أذهب إلى المختبر الصغير وألقي نظرة على جسمي. أردت أن أتاكد أنه في أمان، لكني لم أرد أن

يراه تون جان. كانت فكرتي أنه قد يشك في شيء إذا رأى جسمي. لم يكن شديد الذكاء، لكن تخمين أين ذهب مخ فور داج لا يتطلب الكثير من الذكاء.

انتظرني تون جان في غرفة المكتب. أعرف مكان إخفاء مفتاح المختبر الصغير؛ لأن راس ثافاس أخبرني. وسرعان ما أدرت المفتاح في القفل. وبعد لحظة خطوت إلى الغرفة، وأصابتني صدمة أخرى – اختفى جسدي!

ضعفت ركبتاي إلى حد أنني انهرت على مقعد طويل. جلست واضعًا رأسي بين يديَّ. لقد اختفى جسدي! وضاع باختفائه أملي الأخير للفوز بجاناي؛ فلا يمكنني الفوز بها مع هذا الوجه المروع والجسد البشع. لم أكن لأرغب في الفوز بها هكذا. لا يمكنني احترامها أو احترام أي امرأة أخرى يمكن أن تختار مخلوقًا بغيضًا مثلي.

جمعت شتات نفسي ومشيت إلى الطاولة التي رأيت عليها جسمي للمرة الأخيرة. يبدو كل شيء في مكانه، إلا أن الحاوية التي ضمت دمي كانت مفقودة. هل من الممكن أن راس ثافاس نقل مخًّا آخر إلى جسدي؟ لا يمكن أن يفعل ذلك دون موافقة جون كارتر؛ وإذا كان جون كارتر قد وافق، من المؤكد أن هناك سببًا وجيهًا. تبادر سبب إلى ذهني. ربما وجدا فرصة للهرب من الجزيرة، وكان لا بد من اقتناصها على الفور وإلا تضيع. وفي هذه الحالة، ربما بدا أكثر حكمة لجون كارتر أن ينقل مخًّا آخر إلى جمجمتي ويأخذ جسدي معه، بدلًا من تركه معرضًا لخطر التدمير. وهو لم يفعل ذلك، بطبيعة الحال، إلا لأنه متأكد

أنه سيعود في وقت لاحق وينقذني. على أن هذا التخمين لا معنى له بالطبع. وحقيقة الأمر هي أنه لا يوجد تفسير.

وفي أثناء جلوسي هناك أفكر في المسألة، تذكرت تاريخ الحالة الذي كتبه راس ثافاس وعلقه أسفل الطاولة حيث وضع جسدي. فكرت أن ألقي نظرة عليه لأعرف ما إذا كان أدخل أي بيانات أخرى. لكني عندما مشيت إلى الطاولة ونظرت أسفلها، لم أجد الورقة التي تضم تاريخ الحالة. وجدت ورقة أخرى مُعلقة في مكانها، وكُتِب عليها رقمين «٣-١٧». ماذا تعني هذه الأرقام؟ لا شيء، بقدر ما يعنيني الأمر.

عُدت إلى غرفة المكتب، وطلبت من تون جان مرافقتي بينما أقوم بفحص المختبرات؛ فما دمت المسؤول الآن، لا بد أن أقوم ببعض المظاهر التي تتمشى وسلطتي المكتسبة حديثًا.

سألت تون جان: «كيف تسير الأمور منذ اختفاء راس ثافاس؟».

أجاب: «ليس على ما يرام. تبدو الأمور، في الواقع، تسير في اتجاه خاطئ من دونه». وعندما وصلت إلى غرفة الأحواض الأولى، أدركت أن ما قاله كان أقل من الحقيقة بكثير؛ فالوضع شديد السوء. وجدت الأرضية مُغطاة ببقايا المسوخ البشعة التي كان يتأتى على الضباط تدميرها. لا تزال بعض الأجزاء حية. تحاول الأرجل أن تسير، وتُمسك الأيدي بأي شيء متاح أمامها، والرؤوس لا تكف عن الصراخ والشكوى. طلبت حضور الضابط المسؤول.

سألته: «ما معنى هذا؟ لماذا لم تقم بأي شيء حيال هذه الأشياء؟».

أجابني بسؤال: «مَن أنت لتستجوبني، يا هورماد؟».

لمست شارة رتبتي، فتغير موقفه تمامًا. قلت: «أنا المسؤول هنا الآن. أجب على أسئلتي».

قال: «لا أحد يعرف تحديدًا، سوى راس ثافاس، كيفية تقطيع هؤلاء الفارين، وفي أي حوض يوضعون».

قلت: «خذوهم إلى المحرقة. عليك بحرق كل ما ليس له فائدة، إلى أن يعود راس ثافاس».

قال: «لقد حدث خطأ ما في غرفة الأحواض رقم ٤. ربما من الأفضل أن تلقي عليها نظرة».

وعندما وصلت إلى الغرفة رقم ٤، التقت عيناي بأفظع مشهد رأيته على الإطلاق. من الواضح حدوث خطأ ما في بيئة الاستزراع؛ إذ بدلًا من تشكُّل هورماد منفردين، تشكلت كتلة واحدة ضخمة من الأنسجة الحيوانية، وأخذت تخرج من الحوض وتتدحرج على الأرض. كما أخذت تنمو منها مختلف الأجزاء والأعضاء البشرية الداخلية والخارجية دون أي علاقة بالأجزاء الأخرى- ساق هنا، ويد هناك، ورأس في موضع آخر؛ وكانت الرؤوس تتكلم وتصرخ، مما أضاف رعبًا إلى المشهد.

قال الضابط: «حاولنا أن نفعل شيئًا حيال ذلك. وعندما حاولنا قتل هذه الفوضى، أمسكت بنا الأيدي وعضتنا الرؤوس. حتى الهورماد كانوا يخشون الاقتراب منها؛ وإذا كان هناك شيء مروع بالنسبة للهورماد، فلا

تتوقع أن يتحمله البشر.

اتفقت مع رأيه تمامًا. وبصراحة، لم أكن أعرف ماذا أفعل. لم أستطع الاقتراب من الحوض لتصريف مادة الاستزراع ووقف النمو؛ ومع خوف الهورماد من الاقتراب منه، سيكون من المستحيل تدميره.

قلت: «أغلقوا الأبواب والنوافذ. ففي النهاية سوف يخنق هذا الكائن نفسه أو يجوع حتى الموت». ورأيت، عند مغادرتي الغرفة، أحد الرؤوس يقضم قطعة كبيرة مجاورة من الأنسجة. على الأقل لن يجوع حتى الموت.

ظل المشهد يطاردني لفترة طويلة، ولم أتمكن من إخلاء ذهني من التكهنات حول ما يحدث في غرفة الأهوال تلك، وراء الأبواب والنوافذ المغلقة.

أمضيت عدة أيام في محاولة إصلاح الأمور في مبنى المختبر، ونجحت. ويرجع ذلك بدرجة كبيرة إلى عدم معرفة أحد كيفيه إعداد الأنسجة لأحواض الاستزراع، حيث كانت قد فرغت نتيجة لنمو النسل البشع. وأسفرت النتيجة عن انخفاض سريع في إنتاج الهورماد، مما أسعدني كثيرًا. قريبًا لن يوجد المزيد منهم، وكنت لأتمنى ألا يعود راس ثافاس ليجدد عمله المُشين، لولا أنه الوحيد الذي يمكنه أن يُعيد لي جسمي.

لم أزر جاناي خلال تلك الفترة، خشية اكتشاف مكان اختبائها، ويشك آي-ماد أنه خُدِع. لكني قررت أخيرًا أن الأكثر أمانًا لها هو «العثور عليها»؛ فذهبت إلى آي-ماد وأخبرته أنني فشلت في تحديد

مكانها، وأنني على وشك الشروع في إجراء بحث شامل في القصر.

قال: «إذا وجدتها، لن تجد سوى جثة. فليس بإمكانها مغادرة القصر. وأعتقد أنك توافقني في عدم إمكانية أي امرأة أن تترك هذا القصر دون أن يراها أحد أفراد الحرس أو أحد جواسيسنا».

سألته: «ولكن، ماذا يجعلك تعتقد أنها ماتت؟».

- لا يستطيع الناس العيش من دون طعام أو شراب، وأنا أراقبك وأراقب الآخرين الذين يمكنهم تزويدها بالطعام. لم يأخذ لها أحد أي طعام. يمكنك أن تبدأ بحثك، يا تور-دور-بار. ومكافأتك، إن وجدتها على الإطلاق، ستكون جثة امرأة ميتة.

توقفت أمام شيء في تعبيره عندما تحدث: نصف ابتسامة - ماكرة وتحمل شعورًا بالرضى الذاتي. تُرى، ما معناها؟ هل وجد جاناي وقتلها؟ بدأت أقلق على الفور. استحضرت كل أنواع الصور المروعة، ومنعت نفسي بصعوبة شديدة من الذهاب في الحال إلى مكان اختباء جاناي لأعرف الحقيقة. تغلبت حكمتي، وبدأت على الفور في تنظيم مجموعات للبحث. كلفت ضباطًا جديرين بالثقة؛ ووجهت كل منهم للبحث في جزء معين من القصر- البحث في كل غرفة، وخزانة، وحُجيرة. رافقت إحدى المجموعات. كانت بقيادة سايتور، الذي وثقت به؛ وشملت تيايتان-أوف، الذي يتفاخر كثيرًا بصوت عالٍ حول صداقته لي. وكانت مهمة البحث لهذه المجموعة تقع في جزء من القصر يضم الغرفة التي تختبئ فيها جاناي.

لم أوجه البحث إلى تلك الشقة بوجه خاص، وأصبحت عصبيًّا

للغاية عندما بحثوا في كل مكان إلا مكان وجودها. وصلوا أخيرًا إلى المخزن. ودخلت خلف سايتور.

قلت: «إنها ليست هنا».

أجاب: «لكن هناك باب آخر، ها هو»، وسار نحوه.

قلت: «ربما مجرد مخزن آخر»، في محاولة لأبدو غير مبالٍ، على الرغم من أن قلبي كان يخفق من التوتر.

قال: «الباب مغلق. إنه موصد من الجانب الآخر. يبدو مريبًا».

خطوت إلى جانبه وناديت: «جاناي!». لم يرد أحد. غاص قلبي! كررت النداء: «جاناي! جاناي!».

قال سايتور: «إنها ليست هناك، لكنني أعتقد أننا مضطرون إلى كسر الباب للتأكد».

- نعم، اكسره.

أرسل لجلب أدوات. وعندما وصلت، بدأ الهورماد عملهم على الباب. وما إن بدأت الألواح في الانشقاق، حتى جاء صوت جاناي من داخل تلك الغرفة الأخرى. قالت: «سأفتح. سمعنا صوت سحب الترباس، ثم تأرجح الباب مفتوحًا. قفز قلبي عندما رأيتها آمنة وفي حالة جيدة. سألت: «ماذا تريدون مني؟».

قال سايتور: «جئت لآخذكِ إلى آي-ماد، الجيداك».

قالت جاناي: «أنا مستعدة». لم تنظر نحوي حتى. تساءلت ما إذا كانت قد قررت أنه ليس سيئًا أن تُصبح جيدارة. كان لديها العديد من

الأيام للتفكير في هذه المسألة، ولم أزرها خلال تلك الفترة. ربما غيرت رأيها. أُدرِك أن الإغراء كبير؛ وماذا قدم لها فور داج؟ لم يقدم لها الأمان، بالتأكيد، وهو ما تريده المرأة قبل أي شيء.

وصلنا إلى غرفة آي-ماد الخاصة، المتاخمة للقاعة العامة، وأخذ قلبي يخفق وأنا أسير خلف سايتور وجاناي.

❊ ❊ ❊

الفصل (١٤)

عندما ينمو الوحش

للحُب خيال مهووس، يستحضر صورًا مروعة. لا يمكنه انتظار تطور الأحداث، بل يتوقع الأسوأ. وهو عرّاف في أحيان كثيرة. وهذا ما كنت أخشاه الآن عندما وقفنا، أنا وسايتور وجاناي، أمام آي-ماد. سايتور بوجهه الوسيم وجسمه الجميل؛ وآي-ماد في أغطية الجيداك المزخرفة؛ وجاناي مثالية وجميلة! وبمقارنتهم بوجهي الوحشي البشع المشوه، غاص قلبي. كيف تختارني جاناي وتفضلني عن أي رجل طبيعي؟ وإذا كان هذا الرجل هو الجيداك، ما فرصتي إذَنْ؟ كنت مُصرًّا على الخلط بيني وبين فور داج الحقيقي، وعليك أن تعترف بحجم الإرباك عندما تمتلك مخًّا واحدًا وجسمين.

التهمت عينا آي-ماد جاناي، وارتجف قلبي. على أني أقسمت أن أقتله إذا اختارتني جاناي، ولم يلتزم آي-ماد بالاتفاق. قام بصرف سايتور ثم واجه جاناي.

قال وهو يشير نحوي: «كان هذا الهورماد في خدمتي. ولمكافأته، أخبرته بأنني سأمنحه معروفًا. وقد طلبكِ. وقررنا أننا سنلتزم باختياركِ.

إذا أمكن العثور على راس ثافاس، يأمل الهورماد في الحصول على جسم جديد. وإذا لم نعثر على راس ثافاس، سوف يظل دائمًا كما هو. إذا اخترتني، سوف تصبحين جيدارة موربوس. فمَن تختارين؟».

شعرت أن آي-ماد عرض الأمر بعدالة، لكني أعتقد أنه يشعر بأن كل حجة كانت لصالحة في كل الأحوال؛ فلماذا حاول تجميلها؟ عند وزن المسألة، ما من شك في إجابة جاناي. فقد عرض عليها آي-ماد الزواج والمنصب. وليس لدى فور داج ما يعرضه، وما من سبب للشك في أن قلبها قد يميل إلى واحد أكثر من الآخر- فهي بالكاد ما تعرف أيًّا منا.

نفد صبر آي-ماد. سألها: «حسنًا، ما جوابكِ؟».

قالت: «سأذهب مع تور-دور-بار».

عض آي-ماد شفته، لكنه تعامل مع الأمر بلباقة. قال: «حسنًا، لكني أعتقد أنكِ ترتكبين خطأ. وإذا غيرتِ رأيكِ، أبلغيني»؛ ثم صرفنا.

في طريق العودة إلى مبنى المختبر، كنتُ كمَن يسير على الهواء. اختارتني جاناي، وسوف تظل معي الآن وتحت حمايتي. وقد بدت هي الأخرى سعيدة أيضًا.

سألتني: «هل سأرى فور داج الآن؟».

أجبت: «كلا، للأسف».

سألتني: «لماذا؟»، وبدت عليها الكآبة فجأة.

أوضحت: «قد يستغرق الأمر بعض الوقت. وفي الوقت نفسه،

سوف تكونين معي وآمنة تمامًا».

– لكني تصورت أنني ذاهبة لرؤية فور داج. أنت لم تخدعني، أليس كذلك يا هورماد؟

«إذا كنتِ تعتقدين ذلك، فمن الأفضل أن تعودي إلى آي–ماد»؛ قلت بشكل حاد، ربما بدافع أغرب تعقيد للمشاعر التي اجتاحت أي إنسان من قبل– كنت غيورًا من نفسي!

شعرت جاناي بالندم. وقالت: «أنا آسفة، لكني مستاءة جدًّا. أرجوك سامحني. لقد مررت بالكثير، ما يكفي لدفع الإنسان إلى الجنون».

كنت قد اخترت مسكنًا ورتبته بالفعل لجاناي في مبنى المختبر. كان بجانب مسكني، وبعيدًا بعض الشيء عن رعب غرف الأحواض. كما اخترت العديد من الهورماد الأكثر ذكاءً كعبيد وحراس لها، وبدت مسرورة بهذه الترتيبات. وعندما رأيتها استقرت بأمان، أخبرتها أنها إذا احتاجتني أو رغبت في رؤيتي لتسألني عن أي شيء، يمكنها أن ترسل لي وسوف آتي؛ ثم تركتها وذهبت إلى غرفة مكتب راس ثافاس.

وهكذا أنجزت خطتي التي كانت تتطلب هذا الوجه البشع، بيد أنني الآن لا أتمكن من التخلص منه؛ بل يقف في طريق مساعدتي لجاناي للهروب من موربوس؛ لأني لا أستطيع الخروج إلى العالم بشكلي الوحشي الحالي. ولا يمكنني أن أجد السلامة الآن إلا في موربوس.

وكي أشغل ذهني، أخذت أبحث في أوراق وملاحظات راس ثافاس والملاحظات، وكان معظمها بلا معنى على الإطلاق بالنسبة لي.

وأواصل الآن بإهمال البحث في مكتبه، على الرغم من أن ذهني لم ينتبه إلى أي شيء رأيته. كنت أفكر في جاناي. وتساءلت عما حدث لجون كارتر وراس ثافاس، ومصير جسدي المسكين. لم يكن المستقبل ليبدو أكثر قتامة. رأيت الآن ما كان من الواضح أنها رسوم مبنى. درستها ووجدتها رسوم مبنى المختبر؛ لأني تعرفت بسهولة على الطابقين اللذين أعرفهما جيدًا. رأيت في الجزء السفلي من الأوراق رسمًا لطابق الحُفر تحت المبنى، ويضم ممرات وزنازين. توجد ثلاثة ممرات طويلة تمتد على طول الحُفر، وخمسة ممرات تقطعها؛ وكانت مُرقمة من ١ إلى ٨. كما كانت الزنازين التي توجد على طول كل ممر مُرقمة؛ أرقام زوجية على أحد جانبي كل ممر، وأرقام فردية على الجانب الآخر. لم يكن هناك أي شيء يثير الاهتمام. طويت الرسوم لإعادتها إلى مكانها في المكتب. والآن، أعلن الحرس في الغرفة الخارجية عن مجيء تون جان. كان في غاية الانفعال عندما دخل.

سألته: «ما الأمر؟»، فقد أدركت من طريقته حدوث شيء خاطئ.

قال: «تعال، سوف أُريك».

قادني إلى الممر الرئيس ثم إلى غرفة جانبية تطل على فناء كبير يبعث الضوء والتهوية إلى العديد من الغرف داخل المختبر، ومن بينها غرفة الأحواض رقم ٤، التي كانت نوافذها تقع مباشرة عبر الغرفة التي نوجد فيها. كان المشهد الذي رأته عيناي وأنا أنظر إلى الفناء مرعبًا للغاية. لقد نمت كتلة النسيج الحية بسرعة في بيئة الاستزراع التي اكتشفها راس ثافاس، وملأت الغرفة تمامًا، وتضغط في جميع

الاتجاهات إلى أن انفتحت نافذة وأخذت الكتلة البشعة تخرج إلى الفناء.

قال تون جان: «هناك! ماذا ستفعل حيال ذلك؟».

قلت: «لا يوجد شيء يمكنني القيام به حيال ذلك. ولا يوجد شيء يمكن لأي شخص أن يفعله حيال ذلك. أشك أن راس ثافاس نفسه يمكنه أن يفعل أي شيء. لقد بنى قوة ربما لا يمكنه هو نفسه السيطرة عليها، ما دامت فرت منه».

سألني تون جان: «وماذا ستكون نهاية ذلك؟».

- إذا لم تتوقف عن النمو، فسوف تشق طريقها على حساب كل شيء حي آخر في موربوس. سوف تنمو وتنمو وتتغذى على نفسها. بل قد تُغلف العالم كله. ماذا لدينا لوقفها؟

هز تون جان راسه. لم يكن يعلم. قال: «ربما آي-ماد يمكنه إيقافها؛ إنه الجيداك».

قلت: «أرسل إليه. قل له إن شيئًا ما قد حدث هنا في مبنى المختبر، وأريده أن يراه بنفسه». كنت متلهفًا، لأول مرة في حياتي، على نقل المسؤولية إلى شخص آخر؛ وذلك لعجزي عن مواجهة مثل هذه الحالة الطارئة التي لم يسبق أن واجهها أي إنسان منذ نشأة العالَم.

حسنًا، وصل آي-ماد في الوقت المناسب. وعندما نظر من النافذة واستمع إلى شرحي لهذه الظاهرة، ألقى بكامل المسؤولية على عاتقي مرة أخرى.

قال: «أنت أردت أن تتولى مسؤولية المختبر كاملة، وأنا عينتك المسؤول. هذه هي مشكلتك، وليست مشكلتي»، ثم استدار وعاد إلى القصر. أصبحت الآن أرضية الفناء مُغطاة تمامًا بالكتلة المتلوية الثرثارة؛ وينزلق المزيد منها أسفل النافذة المكسورة أعلاه.

حسنًا، فكرت أن الكتلة سوف تستغرق وقتًا طويلًا لملء الفناء. ويمكنني في غضون ذلك التفكير في شيء أفعله. عُدت إلى مسكني وجلست أنظر يائسًا من النافذة إلى ما بعد أسوار موربوس، إلى المستنقعات التونولية الكئيبة التي تنتشر في كل الاتجاهات بقدر ما يمكن أن يمتد البصر. وقد ذكّرتني بالكتلة المنتشرة في الفناء أسفل غرفة الأحواض رقم ٤؛ فأغلقت عينيَّ حتى لا أرى المشهد.

ولسبب ما، تبادرت إلى ذهني رسوم المبنى التي وجدتها في مكتب راس ثافاس؛ ثم تذكرت الرحلة من هيليوم مع أمير الحرب. وهو ما جعلني أتذكر جسدي، وتخيلته الآن مرتديًا عتاد حراس أمير الحرب. أين كان؟ آخر مرة رأيت جسدي، كان على لوح الإرسايت في المختبر الصغير لراس ثافاس. واللوح فارغ الآن، وتوجد ورقة مُعلقة أسفله ومكتوب بها رقم مبهم: ٣-١٧. ٣-١٧! ماذا يعني هذا الرقم؟

تحمس ذهني فجأة للعمل. لا بد أن هذا الرقم يمثل أهمية! قفزت ناهضًا وأسرعت إلى غرفة مكتب راس ثافاس الصغيرة. سحبت رسوم المبنى وفردتها، وعُدت إلى الصفحات التي تضم رسوم طابق الحُفر. حركت أصبعي بسرعة إلى الممرات من ٣ إلى ١٧. هل هذا

هو الجواب؟ درست الرسوم بعناية أكبر. وجدت دائرة صغيرة في أحد أركان الزنزانة رقم ١٧. لا توجد أي دوائر في الزنازين الأخرى. ماذا تعني هذه الدائرة؟ هل تعني أي شيء؟ هل كتابة الرقم «٣-١٧» على ورقة أسفل الطاولة التي كان جسدي راقدًا عليها تعني وجود علاقة بين الممر ورقم الزنزانة؟ لا توجد سوى طريقة واحدة للإجابة على هذه الأسئلة. قمت بسرعة من على المكتب وخرجت إلى الممر. شققت طريقي عبر الهورماد والضباط إلى السلم الحلزوني الذي يؤدي إلى الطابق السفلي والحُفر. انطبعت خريطة الحُفر بقوة في ذاكرتي، إلى حد إمكاني العثور على ٣-١٧ وعيناي مغلقتان.

كانت الممرات والزنازين مُرقمة بوضوح، بحيث لم أجد أي صعوبة في العثور على الزنزانة ١٧ في الممر ٣. حاولت فتح الباب لكنه كان موصدًا! يا لغبائي. كان يجب أن أعرف أنه سيكون موصدًا، إذا كان يخفي الشيء الذي أسعى إليه. وكنت أعرف أين يضع راس ثافاس مفاتيح الأقفال المختلفة في مبنى المختبر. عُدت أدراجي، لكني هذه المرة رأيت العديد من الضباط ينظرون نحوي بطريقة تخيلت أنها مريبة. الجواسيس، تبادر ذلك إلى ذهني؛ إن بعضهم من جواسيس آي-ماد. يجب أن أحذر، وهذا يعني مزيدًا من التأخير.

أتحرك الآن بفتور. تظاهرت أنني أتفقد إحدى غرف الأحواض. أرسلت أحد الضباط الذين أشك فيهم منذ فترة طويلة إلى مهمة. ذهبت إلى النافذة ونظرت. وفي النهاية شققت طريقي على مهل إلى غرفة المكتب؛ وهناك لم أجد أي صعوبة في العثور على المفتاح، إذ كان

راس ثافاس دقيقًا ومنهجيًّا في كل ما يفعله، ووضع رقمًا وعلامة على كل مفتاح.

لا بد أن أعود الآن إلى الحُفر دون إثارة الشكوك. تسكعت ثانية خلال الممرات والغرف، وأخيرًا وصلت إلى السلم الحلزوني. نزلت دون أن يراني أحد. وأخيرًا، وقفت ثانية أمام باب ٣-١٧. وضعت المفتاح، وألقيت نظرة أخيرة على الممر لأتأكد أنني بمفردي، ثم فتحت الباب. كانت الزنزانة مُضاءة، مثل الممرات، بواسطة مصابيح الراديوم الدائمة التي يشيع استخدامها في برسوم.

وجدت جسمي أمامي مباشرة، مُمددًا على طاولة. دخلت الزنزانة وأغلقت الباب ورائي. نعم، هذا جسدي، وهذا هو الوعاء الذي يحتوي على دمي. اجتمعنا معًا مرة أخرى: جسدي، ودمي، ومخي؛ لكننا لا نزال متباعدين مثل القطبين. راس ثافاس فقط هو مَن يمكنه أن يجمعنا معًا ككيان واحد، لكن راس ثافاس اختفى.

* * *

الفصل (١٥)

وجدتُ قائدي

وقفت لفترة طويلة أنظر إلى جسدي. لم أكن أبدًا رجلًا مغرورًا، لكن جسمي بدا أجمل شيء رأيته على الإطلاق عندما قارنته بذلك الشيء البشع الذي يحركه مخي الآن. فكرت في جاناي في جناحها أعلاه، ولعنت حماقتي لأني تخليت عن الجسم الذي ربما كانت أحبته.

على أن هذا الضيق كان بلا جدوى، فأجبرت نفسي على التفكير في أشياء أخرى. تبادرت إلى ذهني تلك الدائرة الصغيرة التي ظهرت في رسوم الزنزانة رقم ١٧، ومشيت إلى ركن الغرفة الذي تدل الدائرة على أنني قد أعثر فيه على شيء مختلف عما يوجد في بنية الزنازين الأخرى في الحُفر. كان هناك شيء. شيء بالكاد ما يمكن رؤيته، لكنه هناك – خط ضعيف يرسم دائرة يبلغ قُطرها حوالي قدمين. نزلت على يدي وركبتي لفحصه. وجدت فجوة صغيرة في أحد الجوانب. بدا الشيء كما لو أنه باب مسحور، مصنوع بذكاء، وهذه الفجوة هي موضع فتحه. أدخلت رأس خنجري وحركته، فارتفع الباب بسهولة. ارتفع الآن بما

يكفي لوضع أصابعي تحته، وفي اللحظة التالية تمكنت من رفعته جانبًا لأكشف عن فراغ مظلم. ماذا يوجد هناك؟ وما غرض هذه الفتحة؟

لا توجد سوى طريقة واحدة لمعرفة ذلك. ونزلت بجسمي خلال الفتحة، التي كان حجمها بالكاد ما يكفي لإدخال جسمي الفظ. وعندما كنت مُعلقًا على طول ذراعي اليُمنى الطويلة، لمست أصابع قدمي شيئًا صلبًا كنت آمل أن يكون قاع الحفرة، وقفزت.

أقف الآن على أرضية صلبة. رأيت خلال الضوء الصغير الذي يأتي من الفتحة فوقي ممرًّا ضيقًا يمتد في الظلام المطلق. ليس أمامي سوى الاستكشاف، بعد أن وصلت إلى هذا الحد. تمنيت أن أكون قد أعدت الغطاء إلى مكانه؛ بحيث إذا جاء أي شخص إلى الزنزانة، لا يكتشف الباب المسحور. وبدأت أتساءل كيف يمكن أن يخرج أي شخص من هذا المكان إذا كان الغطاء مغلقًا أعلاه. إذا كان الغطاء مفتوحًا، يمكن للرجل أن يقفز إلى حافة الفتحة ويسحب نفسه؛ أما إذا كان الغطاء مغلقًا، لا يمكنه ببساطة الخروج.

يوجد هنا شيء خاطئ. لا بد أن هناك طريقة أخرى. بدأت أتلمس حولي بحثًا عن شيء ما، أيًّا ما كان، وأخيرًا وجدته – عمود يستقر على أوتاد بالقرب من قمة الممر. سندته على حافة الفتحة وتسلقت، وقمت بجر الغطاء إلى وضعه تقريبًا. نزلت، واستخدمت العمود لضبط وضع الغطاء في مكانه.

بدأت الآن أتلمس طريقي خلال الظلام المطلق على طول الممر. كنت أتحسس بأصبع قدمي قبل اتخاذ أي خطوة، وأبقيت يديَّ على

جانبي الممر خشية تفويت بعض الممرات المتفرعة أو المتقاطعة التي قد تطردني من مساري عند عودتي- إن عُدت. توقفت عند هذه الفكرة. ماذا سيحدث لجاناي إذا أخفقت في العودة؟ ربما يجب ألا أواصل هذه المغامرة الجديدة. ربما يجب أن أعود. ولكن، لا. فمن مصلحتها، قبل أي شيء، أن أواصل استكشاف ما يوجد تحت حُفر موربوس. ربما أجد هنا سبيلًا للحرية.

واصلت طريقي. كانت أرضية الممر مستوية، ولا توجد تفريعات أو ممرات متقاطعة. انحنى الطريق قليلًا مرتين، وإنما ليس كثيرًا. أخذت أفكر، حسنًا، لا بد أنني وصلت تقريبًا إلى نهاية الطريق؛ لكن الطريق امتد. أصبحت الجدران رطبة، وانبعثت من الممر رائحة العفن الكريهة؛ ثم وصلت إلى منحدر حاد. ترددت للحظة، وإنما للحظة فقط. مالت الأرضية إلى أسفل بزاوية تبلغ حوالي ١٥ درجة. وصلت إلى أرضية مستوية ثانية؛ لا بد أنني انخفضت بحوالي ثلاثين أو أربعين قدمًا تحت المستوى الأصلي. كانت النداوة تسيل من الجدران والسقف، وبالتالي الأرضية لزجة. مشيت على طول هذا النفق الأسود اللا متناهي. تصورت أنه لن ينتهي أبدًا؛ وعندما ينتهي، كما يجب أن يحدث، تُرى أي مأزق جديد سأجد؟ فكرت أحيانًا في العودة، لكن ذلك كان فقط عندما أفكر في جاناي واعتمادها عليَّ.

«يا هورماد!»، لا أزال أسماعها وهي تناديني هكذا، وأشعر بالازدراء والبغض الذي لم تستطع أن تخفيه تمامًا، حتى لو حاولت. والطريقة التي تحدثت بها عن فور داج في نفس الوقت، وكيف تغير

صوتها! اجتاحتني ثانية موجة من الغيرة مني، على أن حسي الفكاهي أنقذني، فضحكت. خلفت الضحكة صدى كئيبًا غريبًا في الممر. لم أضحك ثانية – فالصدى كان مروعًا.

ترتفع ثانية أرضية الممر الآن. أخذ الارتفاع يتزايد حتى شعرت أنني وصلت إلى المستوى الأصلي؛ وفجأة رأيت ضوءًا أمامي، أو بالأحرى ظلامًا أقل؛ وخلال لحظات خرجت إلى العراء. كان الوقت ليلًا. ولم يكن القمران في السماء. أين كنت؟ أدركت أنني ارتحلت ربما لأميال خلال هذا الممر الكئيب. لا بد أنني خارج أسوار موربوس، ولكن أين؟

وفجأة لاح أمامي شخص، عرفت في ظل الضوء الخافت أنه هورماد. سألني: «مَن أنت؟ وماذا تفعل هنا؟»، ودون انتظار لجوابي، اقترب مني بسيف طويل.

كنت أفهم هذه اللغة، وإجابتي جاهزة، امتشقت سيفي، واشتبكت مع هذا الشيء. كان مبارزًا أفضل من أي مبارز اشتبكتُ معه من قبل. كما كان يعرف بعض الحيل التي تصورت أن تلامذة جون كارتر هم فقط من يعرفونها. وعندما اكتشف أنني أعرف حلول جميع حيله، أطلق صيحة؛ وخلال لحظ أو لحظتين، اندفع ثلاثة أشخاص آخرين من وسط الليل. لم يكن الزعيم من الهورماد، وإنما كان رجلًا أحمر طويل القامة. وما إن بدأ يشتبك معي، حتَّى تعرفت عليه.

صحت: «جون كارتر! هذا أنا، فور داج».

أنزل سيفه على الفور وخطا إلى الوراء، صائحًا: «فور داج! باسم سلفي الأول، كيف وصلت إلى هنا؟».

ظهر راس ثافاس وهورماد ثانٍ، وأخبرتهم بإيجاز كيف اكتشفت الزنزانة ١٧ والفتحة في الممر.

وقلت لهم: «أخبروني الآن، ماذا تفعلون هنا».

قال أمير الحرب: «فليخبرك راس ثافاس».

قال الجراح العظيم: «روبوس مدينة قديمة، بناها في عصور ما قبل التاريخ سكَّانٌ انقرضوا الآن. وقد اكتشفتها خلال رحلتي، بعد هزيمتنا في تونول، وقمت بإعادة تشكيلها وإعادة بنائها على أسس المدينة القديمة إلى حد كبير، والتي كانت رائعة البناء. هناك الكثير الذي لا أعرفه عنها. على أني وجدت رسومًا لكثير من المباني، بما فيها مباني مبنى المختبر. ولاحظت تلك الدائرة في الزنزانة رقم ١٧، ومثلك تمامًا تصورت أنها تعني شيئًا، وإنما لم يتوفر لديَّ أبدًا الوقت أو الميل للتحقق من الأمر. وعندما قررنا إخفاء جسمك حتى لا يمكنهم العثور عليه وتدميره إذا حدث أي شيء، اخترت الزنزانة رقم ١٧ واكتشفنا النفق إلى هذه الجزيرة التي تقع على بعد ميلين بالكامل من موربوس.

«حمل دور-دان وإيل-دور-إن جسمك إلى الزنزانة ١٧، وأحضرناهما معنا. وهما اثنان من أفضل الهورماد، ذكيان ومخلصان. وبعد أن هربنا من موربوس، قررنا محاولة شق طريقنا إلى الطرف الغربي من المستنقعات الكبرى واستعادة طائرة جون كارتر، والطيران إلى هيليوم على أمل أن أصل في الوقت المناسب لإنقاذ ديجاه ثوريس من الموت.

«وانشغلنا في بناء قارب لرحلة طويلة خلال المستنقعات، ونحن

على وشك الانتهاء. كنا في مأزق بشأن ما يجب أن نفعله من أجلك. لم نكن نريد تركك؛ لكن الطائرة لا تسع سوى شخصين، وعندئذ كنا لنتركك في مكان ما إلى أن نعود؛ لكنك في موربوس أكثر أمانًا مما لو كنت في التلال وراء فوندال».

قلت: «ما كان يجب أن تفكرا في وضعي؛ ذلك أن هدفنا الوحيد كان العثور عليك والعودة إلى هيليوم في أسرع وقت ممكن. كنت أعرف في بداية الرحلة أنني سأظل في المكان الذي نجدك فيه؛ لأن تصميم الطائرة يجعلها لا تسع أكثر من شخصين. وهذه كانت تضحية صغيرة لأميرة هيليوم. وكان أمير الحرب سوف يرسل لي طائرة في وقت لاحق».

قال أمير الحرب: «بطبيعة الحال. ومع ذلك، كرهت أن أتركك هنا؛ ولكن لم يكن هناك بديل. خططنا لإرسال إيل-دور-إن إلى المدينة ثانية مع رسالة تشرح لك كل شيء، على يرافقنا دور-دان. وسوف يحاول العودة إلى موربوس، إذا نجحنا في اجتياز المستنقع والوصول إلى الطائرة».

سألته: «متى تتوقع أن تبدأ؟».

– سننتهي من القارب غدًا، ونبدأ رحلتنا بمجرد حلول الظلام. نحن نخطط للسفر ليلًا، ونستريح ونختبئ خلال ساعات النهار؛ حيث يؤكد راس ثافاس، وهو على دراية بالمستنقعات، أن اجتيازها نهارًا يستحيل إلا على قوة كبيرة من المحاربين. يقطن العديد من الجزر سكان أصليون وحشيون، أو قراصنة ومجرمون خارجون على القانون وأكثر وحشية. فالمستنقعات التونولية الكبرى تُعد بمثابة البقايا الأخيرة للمحيطات

العظيمة التي غطت ذات يوم جزءًا كبيرًا من برسوم، والمخلوقات التي تسكنها هي البقايا الأخيرة من البشرية.

سألته: «هل هناك أي طريقة يمكنني مساعدتكما بها؟».

قال: «كلا. أنت ضحيت بما فيه الكفاية».

- سأعود إذَنْ إلى المدينة قبل أن يلاحظوا غيابي. لديَّ هناك مسؤوليات تماثل مسؤولياتك تقريبًا يا سيدي.

سألني: «ماذا تقصد؟».

قلت: «جاناي».

- ماذا عنها؟ هل وجدتها؟

أخبرتهم بكل ما حدث ولا يعرفون عنه شيئًا؛ أن آي-ماد أصبح الجيداك وحاكم موربوس الوحيد، وأنني أصبحت برتبة أودوار والمسؤول عن مبنى المختبر، وأن جاناي أصبحت في حمايتي.

قال راس سافاس: «إذَنْ أنت المسؤول عن مبنى المختبر. كيف حاله في غيابي؟».

قلت: «فظيع. التعويض الوحيد لغيابك هو أن إنتاج الهورماد يتوقف. لكننا نواجه الآن شيئًا قد يثبت أنه أسوأ بلا حدود من الهورماد»؛ ثم أخبرته بما حدث في غرفه الأحواض رقم ٤.

بدا شديد القلق، وقال: «هذا أمر مؤسف. إنه شيء كنت أخشاه دائمًا وأحترس منه. عليك أن تستعد بكل الوسائل الممكنة للهرب من موربوس، إن لم تتمكن من وقف النمو في غرفة الأحواض رقم ٤.

فهذه الكتلة النامية سوف تُغطي الجزيرة بأكملها في النهاية، إن لم يمكن السيطرة عليها. ومن الناحية النظرية، قد تُغطي سطح برسوم كله، وتخنق جميع أشكال الحياة الأخرى. هذا هو مبدأ الحياة الأصلي الذي لا يموت، وإنما يجب السيطرة عليه. تسيطر عليه الطبيعة؛ لكني تعلمت، مع الأسف، أن الإنسان لا يقدر على هذه السيطرة. أنا تدخلت في عمل الطبيعي المنهجي؛ وربما هذه هي عقوبتي».

سألته: «ولكن كيف يمكنني وقف نمو هذه الكتلة؟ كيف يمكنني إيقاف هذا الرعب من الانتشار؟».

هز رأسه، ثم قال: «هناك شيء واحد، وهو ظاهرة أخرى من ظواهر الطبيعة، يمكنه السيطرة على الأمر».

سألته: «وما هو؟».

قال: «النار. لكن الواضح أن الأمر تفاقم».

قلت: «أخشى ذلك».

– كل ما يمكنك القيام به الآن هو إنقاذ نفسك وإنقاذ جاناي، وانتظار عودتنا.

فقال أمير الحرب: «سأعود ومعي قوه كافية من الرجال والسفن لإخضاع موربوس وإنقاذكما».

قلت: «وإلى ذلك الحين يا سيدي، أرجو أن أسمع منك أن أميرة هيليوم استعادت صحتها».

الفصل (١٦)

الجيداك يتحدث

كنت مكتئبًا جدًّا وأنا في طريق العودة خلال ذلك النفق المظلم. بدا لي احتمالًا ضئيلًا أن يعيش جون كارتر وراس ثافاس خلال رحلتهما للوصول إلى الطرف الغربي من المستنقعات. سيموت أمير الحرب، وعندئذ سيكون الموت هو مصير أميرتي المحبوبة ديجاه ثوريس. وبعد ذلك لن يكون هناك شيء للعيش من أجله. جاناي هي أملي الضائع، ما دام مصيري أن أسكن هذا الجسم البغيض.

نعم، هناك شيء أعيش من أجله- جاناي. يمكنني على الأقل تكريس حياتي لحمايتها؛ ربما أتمكن في يوم ما من ترتيب هروبها من موربوس. كانت آمالي في هذا الاتجاه أكثر إشراقًا، بعد أن أصبحت على دراية بالنفق.

وصلت أخيرًا إلى الزنزانة ١٧. تلكأت قليلًا للتحديق بحزن وإعجاب في جسمي المسكين. هل سيتمكن مخي من تحريكه مرة أخرى؟ شعرت بانقباض لإعطاء إجابة على هذا السؤال، وتركت

الزنزانة بقدمين متثاقلتين وصعدت إلى الطوابق العليا. عندما اقتربت من غرفة المكتب، قابلت تون جان.

قال براحة واضحة: «أنا سعيد بعودتك».

– لماذا؟ ما الأمر؟ هل حدث شيء آخر؟

أجاب: «لا أعرف، وإنما لأني لا أعرف أين كنت أو ماذا كنت تفعل. هل تعرف إن كان هناك مَن تتبعك، أو إن كان أي شخص قد رآك؟».

قلت: «لم يرني أحد. ولكن ما الفارق إن شاهدوني. كنت مجرد أتفقد الحُفر». لن أخاطر بولاء أي شخص. «لكن لماذا تسأل؟».

قال: «كان جواسيس آي-ماد نشيطين جدًّا. أنا أعرف بعضهم، وأشتبه في آخرين. وأعتقد أنه أرسل مجموعة جديدة لمراقبتك. يقولون إنه غاضب لأن المرأة اختارت الذهاب معك وليس البقاء معه لتصبح جيدارة موربوس».

سألته: «هل تعني أنهم كانوا يبحثون عني؟».

– نعم؛ في كل مكان. حتى أنهم ذهبوا إلى شقة المرأة.

– وهل هي بخير؟ هل أخذوها؟

– ليس هذا ما أعرفه.

– لكنك لا تعرف عن يقين؟

– لا.

غاص قلبي. هل حدث ذلك أيضًا؟ سارعت نحو شقة جاناي، وتبعني تون جان. بدا قلقًا أيضًا. وربما كان قلقًا بالفعل. أتمنى ذلك، لأني أحتاج إلى كل حليف مخلص يمكنني حشده، إذا كان آي-ماد يخطط لأخذ جاناي.

عندما تعرّف عليَّ الحارس عند باب شقتها، تنحى جانبًا لندخل. لم أرَ جاناي في البداية. كانت تجلس وظهرها نحوي، وتنظر من النافذة. ناديها، نهضت واستدارت. بدت مسرورة لرؤيتي، لكنها تراجعت واتسعت عيناها رعبًا عندما رأت تون جان.

سألتني: «ماذا يفعل هذا الرجل هنا؟».

قلت: «إنه أحد ضباطي. ماذا فعل؟ هل أُلحق بكِ أي ضرر خلال غيابي؟».

سألتني: «ألا تعرف مَن هو؟».

- ماذا. إنه تون جان. وهو ضابط جيد.

قالت: «إنه جانتون جور، القاتل من مدينة أمهور. لقد قتل والدي».

أدركت على الفور الخطأ الطبيعي الذي وقعت فيه. قلت لها: «إنه مجرد جسم جانتون جور. وقد أُحرِق مخه. وهذا الجسم لديه الآن مخ صديق».

قالت براحة: «آووه. عمل آخر من أعمال راس ثافاس. سامحني، تون جان. لم أكن أعرف».

قال تون جان: «أخبريني عن الرجل الذي أسكن جسمه الآن».

– كان قاتلًا سيئ السمعة من أمهور، ويعمل غالبًا لدى الأمير جال هاد. كان جال هاد يريدني، لكن أبي لم يستسلم؛ لأنه يعرف أنني أفضل الموت على أن أتزوج من جال هاد. ولذا قام جال هاد بتكليف جانتون جور باغتيال والدي وخطفي. تمكنت من الهرب، وكنت في طريقي إلى بتارث، حيث يوجد أصدقاء لوالدي. تبعني جانتون جور ومعه مجموعة قوية من القتلة، جميعهم أعضاء في رابطة القتلة. تمكنوا من اللحاق بنا وهاجموا المجموعة الصغيرة من الموالين المخلصين الذين رافقوني إلى المنفى. هبط الليل والقتال لا يزال دائرًا. تفرقت مجموعتي، ولم أرَ أيًّا منهم ثانية. وبعد يومين، قبض عليَّ الهورماد. وأعتقد أن مجموعة أخرى ألقت القبض على جانتون جور في وقت لاحق.

قلت لها: «لن يخيفكِ ثانية أبدًا».

– مع ذلك، من الغريب أن أراه كما عرفته تمامًا، ثم أدرك أنه ليس هو.

قلت: «هناك العديد من الأشياء الغريبة في موربوس. ليس كل مَن ترينهم لديهم الأمخاخ أو الأجسام التي تنتمي إليهم أصلًا».

إنه لوضع غريب في الواقع. يقف هنا تون جان في جسم جانتون جور ومخ تور–دور–بار، وأنا في جسم تور–دور–بار ومخ فور داج. تُرى ما رد فعل جاناي لو عرفت الحقيقة. إذا كانت تحب فور داج، يجب أن أوضح لها كل شيء، فمن الأفضل أن تعرف الحقيقة؛ أما إذا لم تكن تحبه، وما من سبب للاعتقاد في ذلك، ربما يثير شكلي الحالي اشمئزازها إلى حد أنها لا تستطيع أن تحبني عندما أستعيد جسمي. هكذا فكرتُ، ومن ثم قررت عدم إخبارها.

شرحت لها لماذا أتيت ومعي تون جان إلى شقتها، وأن عليها أن تحرص في كلامها وتصرفاتها؛ لأنها محاطة دون شك بجواسيس ومخبرين آي-ماد.

تطلعت نحوي في تساؤل للحظة، ثم قالت: «أنت تتعامل معي بطريقة جيدة جدًّا. أنت الصديق الوحيد الذي لديَّ. أتمنى أن تأتي لرؤيتي كثيرًا. ولستَ بحاجة إلى تقديم أعذار أو تفسيرات لحضورك. هل أحضرت لي أي رسالة من فور داج؟».

ارتفعت معنوياتي في الجزء الأول من حديثها، لكني شعرت مع الجملة الأخيرة أن تلك الغيرة غير المفهومة تنتابني. هل اندمج جسم تور-دور-بار مع مخ فور داج واستوعب هوية هذا الأخير؟ هل أقع كهورماد في حب جاناي؟ وإذا كان الأمر كذلك، فما النتيجة؟ ألا يمكن أن أكره فور داج وأخشاه إلى حد تدمير جسمه لأن جاناي تحبه أكثر من حبها لجسم تور-دور-بار؟ يا لها من فكرة خيالية، لكنها تتفق وجميع الظروف المحيطة بها.

قلت: «لم أُحضر إليكِ أي رسالة من فور داج؛ لأنه اختفى. ربما إذا عرفنا ماذا حدث لكل من دوتار سوجات وراس ثافاس، قد نعرف ماذا حدث لفور داج».

سألتني: «أنت تعني أنك لا تعرف أين فور داج؟ هناك شيء غريب في هذا الموضوع يا تور-دور-بار. أريد أن أثق بك، لكنك كنت مراوغًا للغاية حول فور داج منذ أن جئتني بداية. أشعر أنك تحاول منعي من رؤيته. لماذا؟».

قلت: «هذا غير صحيح. عليكِ أن تثقي بي، جاناي. وسوف أجمع بينكِ وبين فور داج ثانية عندما أتمكن من ذلك. هذا كل ما يمكنني قوله. ولكن، لماذا تحرصين هكذا على رؤية فور داج؟».

فكرت أن أفاجئها بقول شيء قد يعطي تلميحًا عن مشاعرها تجاه فور داج. لم أكن أعرف ما إذا كنت أتمنى أم أخشى أن تعطيني بعض مؤشرات عن مودتها تجاهه؛ فقد كنت في حيرة من ردود فعل شخصيتي المزدوجة. لكن خدعتي لم تكن مجدية، ولم يطرح ردها شيئًا.

قالت: «لقد وعد بمساعدتي على الهرب». هذا كل ما في الأمر، كان اهتمامها بفور داج أنانيًّا بحتًا. على أي حال، هذا أفضل من عدم اهتمامها على الإطلاق. وهكذا فكرت أن الأسباب المتعلقة بالحب تجعل الرجل أحمق، إلى أن تبادر إلى ذهني أن اهتمامي بجاناي ربما كان أنانيًا بحتًا أيضًا. الاختيار بينهما ضئيل. هي تريد حريتها؛ وأنا أريدها هي. والسؤال هو، هل سأخاطر بكل شيء، حتى حياتي؛ لأفوز لها بحريتها، مع معرفتي أنني سأفقدها هي؟ حسنًا، أعرف أنني قد أفقدها، ولذا ربما لم يكن حبي لها أنانيًّا تمامًا. وأسعدني ذلك.

لاحظت، خلال حديثنا، أن اثنين من الخدم الهورماد يراقباننا عن كثب، ويقتربان أكثر في محاولة لسماع ما نقول. كنت على يقين أنهما من جواسيس آي-ماد؛ لكن طريقتهما الفجة جعلتهما غير مؤذيين. حذّرت جاناي منهما بصوت منخفض؛ وعندما زاد اقترابهما قلت لها: «كلا، ما من فائدة؛ لن أسمح لكِ بمغادرة المسكن، فلا تطلبي مني ذلك مرة أخرى. أنتِ أكثر أمانًا هنا. أنتِ تنتمين لي الآن، ولديَّ الحق أن

أقتل أي شخص قد يهدد بإيذائكِ. وسوف أفعل ذلك أيضًا». هذا كان من أجل الجواسيس.

تركتها وأخذت تون جان معي. عُدت إلى غرفة المكتب، وتوصلت إلى قرار. يجب أن أحيط نفسي وأحيط جاناي بأتباع مُخلصين، ولتحقيق ذلك يجب أن أغتنم بعض الفرص. تحدثت مع تون جان؛ فقال إنه يدين بكل شيء لفور داج وراس ثافاس، وبما أنهما صديقاي، فإنه سيخدمني بأي طريقه ممكنة. لم يكن يحب أي جِد من الجِدود.

وتحدثت خلال اليومين التاليين مع سايتور، وباندار، وجان هاد، وتيايتان-أوف؛ وأصبحت مُقتنعًا أن بإمكاني الاعتماد على إخلاصهم. ونجحت في نقلهم جميعًا، باستثناء تيايتان-أوف، إلى العمل في مبنى المختبر؛ حيث الحاجة إلى المزيد من الضباط لمحاولة وقف انتشار النمو المروع الذي يخرج من غرفة الأحواض رقم ٤. وكان تيايتان-أوف يعمل بمثابة جاسوسي في القصر. وسايتور هو الضابط الذي قاد مجموعة الهورماد التي ألقت القبض علينا، أنا وأمير الحرب. كنت مُعجبًا به، وبعد أن تحدثت معه مطولًا، أصبحت مقتنعًا أنه رجل أحمر عادي يمتلك مخه نفسه؛ إذ كان على دراية بأماكن وأحداث العالم الخارجي التي لا يمكن أن يعرفها أي هورماد. كان من دوسار، ومتلهف على الفرار من موربوس والعودة إلى بلده.

أما باندار من فوندال، وجان هاد من تونول، فقد كانا زملائي السجناء، ولذا أعرف عنهما بعض الأشياء. وأكد لي كلاهما أنني إذا

كنت أعمل حقًّا لصالح فور داج ودوتار سوجات، فسوف يعملان معي عن طيب خاطر.

يعتقد هؤلاء الرجال جميعًا، بطبيعة الحال، أنني مجرد هورماد؛ لكن رتبتي أكدت لهم أن لديَّ نفوذًا وأنني شخص مهم. شرحت لهم أن لديَّ وعدًا بالحصول على جسم رجل أحمر بمجرد تحديد مكان راس ثافاس، وعندئذ سأصبح واحدًا منهم وأحرص على مغادرة موربوس.

أصبح نمو الأنسجة في غرفة الأحواض رقم ٤ يملأ تقريبًا الفناء الكبير الآن. قمنا بإغلاق جميع فتحات النوافذ والأبواب بمتاريس مُحكَمة، بحيث لا تتمكن الكتلة من دخول المبنى. لكنها أصبحت تهدد بالارتفاع إلى أعلى والتدفق عبر أسطح المنازل، بحيث تجد طريقها في النهاية إلى شوارع المدينة. لقد توقف عمليًّا إنتاج هورماد جُدد، وأفرغتُ جميع الأحواض حتى لا يتكرر ما حدث في غرفة الأحواض رقم ٤. وقد استلزم ذلك زيارتي لكل مبنى يضم أحواض استزراع، وهناك العديد منها. وعند عودتي من أحد المباني، تلقيت استدعاء للمثول أمام آي-ماد.

جاء تيايتان-أوف لمقابلتي عندما دخلت القصر، وقال لتحذيري: «كن حريصًا؛ هناك شيء ما يحدث. أنا لا أعرف ما هو، لكن أحد خدم آي-ماد أخبرني أنه دائم الغمز واللمز عنك وعن المرأة. فبعد أن فقدها، أصبح الآن يرغبها أكثر من ذي قبل. وإذا أردت أن توفر على نفسك المتاعب، فمن الأفضل أن تعيدها له؛ لأنك إذا لم تفعل، فسوف يقتلك ويأخذها على أي حال، ولا توجد امرأة تستحق ذلك».

شكرته وتوجهت إلى القاعة العامة، حيث تجمع ضباط آي-ماد الرئيسين أمام العرش. حيّاني الجيداك بوجه متجهم وأنا أتخذ مكاني بين الضباط الآخرين؛ وكنت الوحيد الذي ليس لديه جسم رجل أحمر. تُرى مَن منهم لديه مخ هورماد؛ ليس لديَّ وسيلة لمعرفة ذلك. لكني خمنت، مما سمعته منذ وصولي موربوس، أن أمخاخ معظمهم مزروعة. من المؤكد أنهم كانوا ليُفاجئون، وعلى رأسهم أي-ماد، إذا عرفوا أن داخل رأس هذا الجسد القبيح والوجه البشع يوجد مخ نبيل من هيليوم ومساعد موثوق به لأمير الحرب في برسوم.

أشار نحوي آي-ماد بإصبعه، قائلًا: «لقد وثقت بك، ووضعتك المسؤول عن المختبرات؛ فماذا فعلت؟ لقد توقفت إمدادات المحاربين».

قلت لتذكيره: «أنا لست راس ثافاس».

- لقد سمحت بوقوع كارثة في غرفة الأحواض رقم ٤، وهي كارثة تهدد باكتساحنا.

قاطعته: «اسمح لي أن أُذكِرك مرة أخرى أنني لست العقل المدبر في المريخ».

لم يهتم بكلامي وواصل قائلًا: «هذه الأمور تهدد بانهيار كل خططنا لقهر العالم، وتجعل قواتنا غير كافية للبدء في محاولة تنفيذ هذه الخطط. أنت فشلت في المختبر، وأنا الآن أعفيك من واجباتك هناك، لكني أعطيك فرصة أخرى للتعويض عن ذلك. أنوي الآن غزو فوندال على الفور، لاكتساب أسطول للسفن يتيح لنا نقل محاربينا

إلى تونول. وسوف يمنحنا الاستيلاء على تونول سفنًا إضافية تتيح لنا التحرك للاستيلاء على مدن أخرى. وقد وضعتك في قيادة الحملة ضد فوندال. ولا يتطلب إخضاع تلك المدينة قوة كبيرة. لدينا ٥٠٠ مالاجور، ويمكنهم القيام برحلتين ذهابًا وإيابًا في اليوم. وهذا يعني أن بإمكانك نقل ألف محارب يوميًّا إلى موقع بالقرب من فوندال؛ أو قد يصل العدد إلى ٢٠٠٠ محارب إذا كان بإمكان الطيور أن تحمل ضعف العدد. كما يمكنك، بالطريقة نفسها، وضع ألف محارب داخل أسوار المدينة للاستيلاء على البوابات وفتحها أمام كيان قواتك الرئيس. وعليك أولًا نقل الأحواض ومادة الاستزراع اللازمة لإنتاج المواد الغذائية لمحاربيك. يمكنك الهجوم ومعك ٢٠٠٠ محارب؛ وسوف أواصل إرسال ٢٠٠٠ محارب يوميًّا إلى أن تنتهي الحملة؛ لأنك سوف تخسر الكثير من المحاربين. والآن، عليك أن تترك فورًا مسكنك في مبنى المختبر وتتخذ مسكنًا هنا في القصر، سأقوم بتخصيصه لك ولحاشيتك».

أدركت على الفور ما يحاول تحقيقه. سوف ينقل جاناي إلى القصر، ثم يرسلني إلى الحملة ضد فوندال.

– سوف تنتقل إلى القصر فورًا، وتبدأ في نقل قواتك في الحال. لقد تحدثت.

❊ ❊ ❊

الفصل (١٧)

الهروب المستحيل

وجدتني الآن أواجه مشكلة تبدو بلا حل. لو كنت أسكن جسدي، لكان يمكنني الهرب مع جاناي عبر النفق إلى الجزيرة، حيث يختبئ جون كارتر وراس ثافاس، وننتظر عودتهما هناك؛ لكني لا أستطيع التخلي عن جسدي والمخاطرة بالخروج إلى العالم كهورماد. كما شعرت أيضًا أن من واجبي كرجل أحمر أن أبقى وأحاول بشكل ما إحباط خطة آي-ماد لغزو العالم. توجهت إلى مسكن جاناي لأخبرها بما حل بنا، وكانت معنوياتي في الحضيض.

قابلت تون جان خلال سيري على طول ممر في مبنى المختبر، وبدا شديد الانزعاج. قال: «تجاوزت الكتلة سقف غرفة الأحواض رقم ٤ من موضع فيه، وتفيض على جانب المبنى إلى الشارع. لقد تسارع النمو فجأةً؛ وإذا لم نوقفها، ليست سوى مسألة وقت قبل أن تغلف المدينة بأكملها».

قلت: «والجزيرة كذلك، لكني لا أستطيع أن أفعل أي شيء حيال ذلك؛ لقد أعفاني آي-ماد من واجباتي في المختبر، وتعود المسؤولية الآن إلى مَن يخلفني».

سألني تون جان: «ولكن ماذا يمكننا أن نفعل لإنقاذ أنفسنا؟ سنضيع جميعًا إذا لم يتوقف النمو. لقد استولت الكتلة على الموقع بالفعل والتهمت العديد من المحاربين الذين أُرسِلوا في محاولة لتدميرها. تمتد أيدٍ من الكتلة وتمسك بهم، ثم تلتهمهم الرؤوس. سوف تأكلنا جميعًا في النهاية».

نعم، ماذا يمكننا أن نفعل لإنقاذ أنفسنا؟ للحظة، كانت كلمة أنفسنا لا تشمل سوى جاناي والشخصيتين الماثلتين في أفكاري؛ لكني فكرت الآن في الآخرين- في باندار، وجان هاد، وسايتور، نعم، وحتى تون جان قاتل أمهور الذي يحمل مخ هورماد. كان هؤلاء الرجال قريبين مني كأي أصدقاء في موربوس، وهناك أيضًا تيايتان-أوف المسكين. كان صديقي. يجب أن أنقذهم جميعًا.

قلت: «تون جان، كنت ترغب في الهرب؟».

- بالطبع.

- هل تقسم أن تخدمني بإخلاص إذا ساعدتك على الابتعاد عن موربوس، وتنسى أنك من الهورماد؟

قال: «أنا لست من الهورماد الآن. أنا رجل أحمر، وسوف أخدمك بإخلاص إذا ساعدتني على الهرب من براثن الرعب الذي يخرج إلى المدينة».

- حسنًا، توجه حالًا إلى باندار وجان هاد وسايتور وتيايتان-أوف، وأخبرهم أن يأتوا إلى مسكن جاناي. عليك تحذيرهم بضرورة السِّرّية.

لا تدعْ أحدًا يسمع ما تقوله لهم. أسرع، تون جان!

ذهبت على الفور إلى مسكن جاناي، التي بدت سعيدة لرؤيتي؛ وأخبرتها بأوامر آي-ماد أن ننتقل إلى جناح في القصر. سمعنا الخادمان اللذان كنت أشتبه فيهما، وكنت أقصد أن يسمعا حديثي. أمرتهما بجمع أمتعة سيدتهما في الحال، مما أعطاني فرصة للتحدث مع جاناي على انفراد. أخبرتها بمغزى أوامر آي-ماد، وأن لديَّ خطة تطرح أملًا طفيفًا في الهرب.

قالت: «أنا مستعدة لأي مخاطرة، وليس البقاء في قصر آي-ماد بعد أن يبعدك. أنت الشخص الوحيد في موربوس الذي أستطيع الوثوق به، أنت صديقي الوحيد؛ على الرغم من أنني لا أعرف لماذا تصادقني».

قلت: «لأن فور داج صديقي، وفور داج يحبكِ». شعرت أنني جبان، لاتباعي هذه الطريقة للاعتراف بحب قد لا أملك شجاعة الاعتراف به لو كنت في هويتي الأصلية. وبعد أن فعلت ذلك، قلت لنفسي ليتني ما فعلت. ماذا لو سخرت من حب فور داج؟ فهو ليس هنا بشخصه للدفاع عن قضيته، وبالتأكيد لا يمكن أن يقوم هورماد قبيح بشع بهذه المهمة بدلًا منه. كتمت أنفاسي وأنا أنتظر ردها.

ظلت صامته للحظة، ثم سألتني: «ماذا يجعلك تعتقد أن فور داج يحبني؟».

- أعتقد أن هذا واضح تمامًا. فهو لم يكن ليقلق على مصير أي امرأة إذا لم يكن يحبها.

- أنت مخطئ على الأرجح. كان فور داج ليقلق على مصير أي

امرأة حمراء سجينة في موربوس. كيف يوجد حب بيننا؟ نحن بالكاد ما نعرف بعضنا؛ لم نتحدث معًا سوى بضع كلمات.

كنت على وشك مواصلة الحديث حول هذه النقطة عندما وصل باندار وجان هاد وسايتور، مما أنهى الحديث وتركني في نفس حالة الشك من مشاعر جاناي نحو فور داج. تمكن تون جان من إيجادهم بسرعة، نظرًا لأنهم يعملون في مبنى المختبر. أرسلتهم إلى غرفة المكتب لانتظاري، فلم أكن أرغب أن أتحدث معهم في أي مكان يسمعنا فيه أحد جواسيس آي-ماد.

عاد تون جان بعد بضع دقائق ومعه تيايتان-أوف، وهكذا اكتملت قائمة مَن كنت آمل أن يساعدوني بإخلاص. انتهى الخدم الآن من جمع متعلقات جاناي، وأمرتهم أن يأخذوها إلى مسكننا الجديد في القصر، وبهذه الطريقة تخلصت منهم.

أسرعت بمجرد ذهابهم إلى غرفة المكتب مع جاناي، وتون جان، وتيايتان-أوف؛ حيث وجدنا باقي المجموعة في انتظارنا. نحن جميعًا معًا الآن. أوضحت أنني وضعت خطة للهرب من موربوس، وسألت كلًّا منهم إذا كان على استعداد لمرافقتي. أكد كل منهم رغبته في مرافقتي؛ على أن سايتور أعرب عن شكه في إمكانية الهرب - وهو الشك الذي أتصور أنهم جميعًا يشتركون فيه.

سألني: «ما خطتك؟».

قلت: «لقد اكتشفت ممرًّا تحت الأرض يؤدي إلى جزيرة أمام شاطئ موربوس. وقد ذهب دوتار سوجات وراس ثافاس إلى هذه

الجزيرة عند اختفائهما من المدينة. وهما الآن في طريقهما إلى هيليوم. ويمكنك أن تطمئن إلى أن دوتار سوجات سوف يعود مع أسطول من السفن الحربية وقوة كافية من المحاربين لإنقاذي من موربوس.

تساءل تياتان-أوف متشككًا: «ولماذا يرغب دوتار سوجات في إنقاذ هورماد من موربوس؟».

وتساءل سايتور: «وكيف يأمل دوتار سوجات، وهو بانتان فقير، في إقناع جيداك هيليوم بإرسال أسطول من السفن الحربية إلى المستنقعات التونولية من أجل هورماد؟».

أجبت: «أعلم أن الفكرة تبدو خيالية؛ ويرجع ذلك إلى أنكم لا تعرفون كل الحقائق، وهناك أسباب تجعلني لا أرغب في الإفصاح عنها كلها الآن. مع ذلك، ولكي تستريح عقولكم، سوف أخبركم بشيء واحد. يملك دوتار سوجات القدرة على إحضار أسطول من السفن الحربية من هيليوم؛ لأن دوتار سوجات هو، في واقع الأمر، جون كارتر، أمير الحرب في المريخ».

أذهلهم هذا التصريح؛ وصدقوني بعد أن شرحت لماذا جاء جون كارتر إلى موربوس. كان تياتان-أوف لا يزال متعجبًا لعدم فهمه لماذا يهتم أمير الحرب العظيم بهورماد، إلى حد إحضار أسطول عظيم من هيليوم البعيدة لينقذه.

أدركت أنني أخطأت عندما تحدثت بهذه الطريقة، بيد أنه كان يصعب أحيانًا أن أفصل بين شخصيتي المزدوجة. فقد كنت أرى نفسي دائمًا فور داج، أحد نبلاء إمبراطورية هيليوم. لكني بالنسبة إلى الآخرين

كنت تور–دور–بار، مجرد هورماد من موربوس.

قلت محاولًا تفسير الأمر: «ربما بالغت في أهميتي عندما قلت إنه سيعود لإنقاذي. فهو سيعود لإنقاذ فور داج؛ لكنه سينقذني أيضًا لأن كليهما – هو وفور داج – أصدقائي».

سألني باندار من فوندال: «وماذا يجعلك تعتقد أنه سينقذ أيًّا منا؟».

– سوف ينقذ أيضًا أي شخص يطلب فور داج إنقاذه؛ وهذا يعني أي شخص أقترحه؛ لأن فور داج صديقي.

قال جان هاد من تونول: «لكن فور داج اختفى، ولا أحد يعرف مكانه. ومن المُعتَقد أنه مات».

صاحت جاناي: «لم تخبرني بذلك يا تور–دور–بار»، ثم التفتت إلى سايتور.

– ربما هذه خدعة من جانب الهورماد، حتى نظل تحت سيطرته لسبب ما.

قلت: «لكني أخبرتكِ يا جاناي أنه اختفى».

– لم تخبرني أن الجميع يعتقدون أنه مات. تقول إنك لا تعرف مكانه، وتقول في الوقت نفسه إن جون كارتر سيعود من أجله. ماذا أصدق؟

قاطعتها: «إذا كنتم تأملون في العيش والهروب، عليكم أن تصدقوني. سوف ترون فور داج خلال بضع دقائق، وتفهمون لماذا لا يستطع أن يأتي إليكم». كنت بدأت أفقد صبري معهم جميعًا، فقد

تشابكت الشكوك في لحظه تتطلب أكبر سرعة إذا كنا لنهرب قبل إثارة شكوك آي-ماد.

سألتني جاناي: «ماذا أصدق؟ أنت لا تعرف مكان فور داج، لكنك تقول إننا سنراه خلال بضع دقائق».

- كان هناك وقت لم أعرف خلاله أين هو. وعندما وجدته، كان من الأفضل لكِ، وأنتِ تعتمدين عليه، ألا أخبركِ بالحقيقة. فور داج عاجز عن مساعدتك. لا يستطيع مساعدتكِ سواي. ومع الأسف، يؤدي تنفيذ خطتي للهرب إلى معرفتكِ ما حدث لفور داج. والآن، لقد أهدرنا وقتًا كافيًا دون جدوى. أنا ذاهب، وأنتِ قادمة معي. أنا مدين لفور داج بمساعدتكِ. ويفعل الآخرون ما يرونه مناسبًا.

قال بادار: «سأذهب معك. لن نكون في أي مكان آخر أسوأ حالًا من هنا».

قرروا جميعًا مرافقتي، ووافق سايتور على مضض. ذهب ووقف بالقرب من جاناي وهمس لها شيئًا.

أخذت تيايتان-أوف معي وذهبت إلى المختبر الصغير، وجمعت كل الأدوات اللازمة لإعادة نقل مخي إلى جسمي. أعطيت الأدوات إلى تيايتان-أوف؛ ثم فصلت الموتور وجميع وصلاته؛ إذ من دونه لا يمكن إعادة ضخ دمي في عروقي وشراييني. استغرق ذلك بعض الوقت، وأخيرًا أصبحنا مستعدين للرحيل.

كنت على يقين أننا لن نتمكن من تجنب أي ملاحظة أو شكوك.

وكان أفضل ما أتمناه أن نصل إلى الزنزانة رقم ٣-١٧ قبل أن يلحق بنا مطاردونا. لفت مشهدنا الانتباه على الفور: اثنان من الهورماد، وأربعة رجال حُمر، وجاناي، بالإضافة إلى الأحمال التي نحملها أنا وتيايتان-أوف. وكان المسؤول الجديد لمبنى المختبر من بين مَن شاهدونا.

سألني: «إلى أين تذهبون؟ وماذا ستفعلون بتلك الأدوات؟».

قلت: «سوف أضعها في الحُفر، حيث تكون في أمان. إذا عاد راس ثافاس، سوف يحتاجها».

أجاب: «إنها في أمان كاف حيث كانت. أنا المسؤول هنا الآن، وإذا أردت نقلها، سأهتم شخصيًّا بالأمر. عليك إعادتها إلى حيث كانت».

سألته: «منذ متى يصدر الدوار أوامر إلى أودوار؟ قف جانبًا!"، ثم واصلت سيري ثانية مع رفاقي نحو السلم الحلزوني المؤدي إلى الحُفر.

قاطعني: «انتظر! لن تذهب إلى أي مكان بتلك المعدات والفتاة دون أمر من آي-ماد. تقضي الأوامر التي لديك بأن تأخذ الفتاة إلى القصر، وليس إلى الحُفر؛ وتقضي الأوامر التي تلقيتها من آي-ماد مباشرة أن أشرف على طاعتك للأوامر التي صدرت لك"؛ ثم رفع صوته صارخًا طلبًا للمساعدة. أعرف أن المحاربين سرعان ما يحاصروننا؛ ولذا طلبت من رفاقي الاستعجال في اتجاه الحُفر.

ركضنا أسفل السلم الحلزوني الطويل ومسؤول مبنى المختبر في أعقابنا، وهو يستمر في الصياح طلبًا للمساعدة. سمعنا وراءنا الآن صيحات المحاربين الذين استجابوا، وجاءوا لمطاردتنا.

الفصل (١٨)

جزيرة الخيانة

بدت خطتي برمتها الآن محكومًا عليها بالفشل؛ فحتى إذا نجحنا في الوصول إلى الزنزانة ٣-١٧، لن أجرؤ على دخولها والكشف عن طريق هروبنا.

بيد أن العودة إلى الوراء مستحيلة، بعد أن وصلنا إلى هذا الحد. لا يوجد سوى حل واحد لمشكلتنا: يجب ألا يبقى أي شاهد ليعود لإبلاغ آي-ماد.

وصلنا إلى الحُفر، وأخذنا نتحرك على طول الممر الرئيس. كان مسؤول مبنى المختبر يخطو خلفنا، مع الحفاظ على مسافة آمنة منا. وكانت صيحات المحاربين تدل على أنهم لا يزالون في أثرنا. طلبت من تون جان أن يأتي إلى جواري، حيث أبلغته تعليماتي بصوت منخفض، وبعدها توجه إلى تيايتان-أوف وباندار وتحدث معهما بإيجاز، ثم استدار ثلاثتهم إلى ممر جانبي. تردد مسؤول مبنى المختبر للحظة، لكنه

لم يتبعهم. كان اهتمامه منصبًّا على تتبع مساري أنا وجاناي، وهكذا استمر وراءنا. وعندما وصلنا إلى ممر متقاطع، قُدت بقية المجموعة نحو اليمين، ثم توقفت فورًا وأنزلت أحمالي جانبًا.

قلت: «سنقابلهم هنا. علينا أن نتذكر شيئًا واحدًا فقط: إذا أردنا أن نهرب ونعيش، يجب ألا نترك أحدًا من مطاردينا حيًّا حتى لا يقود آخرين خلفنا».

وقف سايتور وجان هاد بجانبي، وبقيت جاناي على بعد خطوات قليلة وراءنا. توقف مسؤول مبنى المختبر على مسافة بعيدة عن متناول السيف، انتظارًا لمحاربيه. لا توجد أسلحه نارية لدينا جميعًا؛ ذلك أن المواد اللازمة لتصنيع المتفجرات إما غير موجودة في المستنقعات التونوولية وإما لم تُكتشف هناك بعد. كنا مسلحين فقط بالسيوف الطويلة، والسيوف القصيرة، والخناجر.

لم ننتظر طويلًا قبل وصول المحاربين. كانوا تسعة، وجميعهم من الهورماد. وكان مسؤول مبنى المختبر له جسم رجل أحمر ومخ هورماد. كنت أعرفه جيدًا في القصر؛ فهو ماكر وقاسٍ، لكنه يفتقر إلى الشجاعة الجسدية. أوقف محاربيه، ووقف العشرة في مواجهتنا.

قال: «من الأفضل أن تستسلموا، وتعودوا معي. ليس أمامكم فرصة. نحن عشرة وأنتم ثلاثة فقط. إذا أتيتم بهدوء، لن أخبر آي-ماد بهذا الأمر».

أدركت أنه حريص على تجنب القتال، لكن المعركة هي فرصتنا الوحيدة للهرب. سوف نضيع، أنا وجاناي، إذا عدنا إلى قصر آي-ماد.

تظاهرت بالتفكير في اقتراحه، على أمل كسب الوقت؛ لا احتاج إلا إلى لحظه؛ لأني رأيت الآن تون جان وباندار وتيايتان-أوف يقتربون بصمت وراء المسؤول ومجموعته.

صحت: «الآن!»، وعندئذ أطلق الثلاثة الذين يقفون صيحة جعلت العشرة يستديرون في وقت واحد؛ فهجمنا عليهم، أنا وسايتور وجان هاد، بسيوفنا. كانت جميع الاحتمالات في صالحهم من زاوية العدد؛ لكن فرصهم كانت معدومة في الواقع. فقد أربكهم الهجوم المفاجئ، لكن العاملين اللذين منحانا أعظم ميزة كانا قوتي الخارقة وذراعي الممسكة بالسيف الطويل. وسرعان ما أدركوا أنهم يقاتلون من أجل حياتهم؛ ومثل الفئران المحاصرَة، حاربوا بشراسة.

رأيت تيايتان-أوف المسكين يسقط بجمجمة مشقوقة، وباندار يُصاب بجراح، ولكن ليس قبل أن يتخلص من أحد الخصوم؛ بينما تخلص تون جان من خصمين. أما سايتور، فقد تراجع -لدهشتي وخيبة أملي- حتى لا يعرض نفسه للخطر؛ لكننا لم نكن في حاجة إليه. أخذت أشق الجماجم واحدة تلو الأخرى، من الرأس إلى الذقن، بسيفي الطويل، حتى أصبح مسؤول مبنى المختبر هو الخصم الوحيد المتبقي، ولم يكن قد شارك كثيرًا في هذه المعركة القصيرة. وهو يصرخ الآن، ساعيًا للهرب؛ لكن تون جان وقف في طريقه. اشتبكا بالسيوف للحظة، ثم دوت صرخة؛ وبعدها سحب تون جان سيفه من قلب مسؤول مبنى المختبر، ومسحه في شعر خصمه الذي سقط.

كان الممر في حالة مروعة من الفوضى، تتناثر فيه أجساد فظيعة بلا

رؤوس وغارقة في الدماء. أكره سرد ما حدث بعد ذلك؛ وإنما كان من الضروري تدميرهم تمامًا، وخاصة أمخاخهم، حتى نشعر بالأمان ونحن نواصل طريقنا.

أصدرت تعليماتي إلى تون جان ليحمل المواد التي كنت قد عهدت بها إلى تيايتان-أوف، ثم حملت الموتور وقدتُ الطريق إلى زنزانة ٣-١٧. لاحظت أن سايتور يسير بالقرب من جاناي، ويتحدث معها بصوت منخفض؛ لكن ذهني كان مشغولًا في هذه اللحظة بأمور أخرى بحيث لم أُوْلِ أهمية خاصة لحديثهما. حققنا نجاحًا حتى الآن. أما ماذا يحمل لنا المستقبل، فمَن ذا الذي يمكنه أن يتنبأ؟ لا أعرف ما سُبُل العيش على الجزيرة؛ كما ليس لديَّ أكثر من خطط مبهمة حول كيفية الهروب من المنطقة المجاورة لموربوس ومن المستنقعات التونولية الكبرى في حال فشل جون كارتر في العودة من أجلي. كنت على يقين أن وفاته فقط هي ما يمكن أن يمنعه من العودة، ولا يمكنني تصور أن أمير الحرب العظيم قد يموت. كان يبدو خالدًا، سواء بالنسبة لي أو للعديد من الآخرين. ولكن، لنفترض أنه عاد من دون راس ثافاس؟ ملأتني هذه الفكرة بالرعب، ولم تترك لي أي بديل آخر -إن تحققت- سوى تدمير نفسي. فالموت أفضل كثيرًا من الحياة في شكلي الحالي البشع والبغيض. الموت أفضل من أن تضيع مني جاناي إلى الأبد. كانت هذه هي أفكاري عندما وصلنا إلى باب الزنزانة ٣-١٧. فتحت بابها، وقُدت مجموعتي إلى داخلها.

عندما رأت جاناي جسم فور داج ممددًا على لوح الإرسايت البارد،

صرخت من الرعب والتفتت نحوي بشراسة. «لقد كذبت عليَّ، تور-دور-بار»، قالت بهمس مكبوت، «كنت تعرف طوال الوقت أن فور داج مات. لماذا تصرفت معي بهذه القسوة؟».

قلت: «فور داج لم يمت. إنه ينتظر فقط عودة راس ثافاس لاسترداد حياته».

سألتني: «ولكن لماذا لم تخبرني؟».

- لم أكن أعرف سوى مكان إخفاء جسم فور داج. ولم يكن من المفيد، سواء لكِ أو له، معرفة ذلك؛ فكلما قل عدد مَن يعرفون، كان ذلك أكثر أمانًا لجسم فور داج. لم أكن لأكشف لأحد، حتى لكِ وأنا أعرف أن بإمكاني الوثوق بكِ، عن سر مكان مخبئه. تعرفين مكانه الآن فقط، أنتِ وهؤلاء الآخرون؛ لأنه لا توجد أي وسيلة أخرى للهروب من موربوس إلا من خلال هذه الغرفة التي يرقد فيها فور داج. أعتقد أنني أستطيع أن أثق بكم جميعًا في ما يتعلق بهذا السر، ومع ذلك لا أستطيع أن أعدكم بأن أيًّا منكم سيعود حيًّا إلى موربوس بينما جسم فور داج هنا وأظل أنا على قيد الحياة.

اقترب سايتور من اللوح الذي يرقد فوقه الجسم، وأخذ يفحصه بدقه. رأيته يومئ برأسه، وتمس نصف ابتسامة شفتيه وهو يُلقي نظرة سريعة في اتجاهي. تساءلت عما إذا كان اشتبه في الحقيقة؛ ولكن ما الفارق ما دام يُبقي فمه مغلقًا. لم أكن أريد أن تعرف جاناي أن مخ فور داج يسكن في جمجمة تور-دور-بار البشعة. تصورت، ربما بحماقة، أنها إذا عرفت، قد لا تتمكن من نسيان هذه الحقيقة حتى بعد إعادة مخي

إلى جسده. بدت غارقة في التفكير لبضع لحظات بعد أن شرحت لها لماذا لم أخبرها بالمأساة التي حلت بفور داج؛ ثم التفتت نحوي ثانية وتحدثت بلطف. قالت: «أنا آسفة لأني تشككت بك، تور-دور-بار. تصرفت بشكل صحيح بعدم كشفك لأي شخص عن مكان جسم فور داج. كان تدبيرًا احتياطيًّا حكيمًا، ينم عن الولاء».

❊ ❊ ❊

الفصل (١٩)

رحلة ليلية

توليت قيادة مجموعتي الصغيرة، بشعور من الراحة، خلال نفق طويل إلى الجزيرة الصخرية أمام شاطئ موربوس. كانت المشكلة التي تواجهنا تتمثل في كيفية الهروب من الجزيرة. وبطبيعة الحال، كان في ذهني دائمًا الأمل في أن يعود جون كارتر من هيليوم مع أسطول للإنقاذ؛ لكن شبح الخوف كان يكمن وراء هذا الأمل، الخوف الذي يولده الشك في ما إذا كان سيتمكن هو وراس ثافاس من عبور الامتداد البشع للمستنقعات التونولية الكبرى والوصول إلى طائرته السريعة التي أخفاها وراء فوندال.

تضم الجزيرة الطيور والقوارض، كما تنمو فيها الأشجار والشجيرات التي تحمل ثمار الجوز والتوت. هذا بالإضافة إلى الأسماك التي استطعنا صيدها، وزودتنا بما يكفي من الغذاء بحيث لم نُعانِ من الجوع بل كانت لدينا وفرة. بنيت مأوى لجاناي حتى تتمتع بالخصوصية؛ على أن بقيتنا كان ينام في العراء؛ لأن الجو كان لطيفًا.

توجد العديد من التلال في الجزيرة الصغيرة، ولذا أقمنا مخيمنا على جانب بعيد عن موربوس بحيث تخفينا التلال من اكتشاف المدينة لنا. بدأت في هذه البقعة المنعزلة بناء قاربين خفيفين، يقدر كل منهما على حمل ثلاثة منا ومجموعة من الإمدادات؛ على أن يكون أحدهما أكبر حجمًا من الآخر بغرض استيعاب جسم فور داج. فقد قررت أخذه معنا إن لم يعُد جون كارتر في غضون فترة زمنية معقولة، ويصبح من الضروري أن نحاول القيام برحلة محفوفة بالخطر في قاربنا الضعيف.

لاحظت خلال هذه الفترة أن سايتور يمضي الكثير من وقت فراغه في صحبة جاناي. كان ودودًا ومتحدثًا ذكيًّا؛ ولذا لم أتعجب من أنها استمتعت بصحبته. لكني يجب أن أعترف أنني عانيت الكثير من آلام الغيرة. كان سايتور ودودًا أيضًا للغاية مع باندار الفوندالي؛ بحيث بدا طبيعيًّا، من زاوية اجتماعية، أن ننقسم إلى مجموعتين: باندار وسايتور وجاناي في مجموعة، وأنا وجان هاد وتون جان في مجموعة أخرى. لم يكن بيننا أي نفور، إلا أن هذا التقسيم كان طبيعيًّا بشكل ما. كان جان هاد تونولي، وتونول وفوندال تتوارثان العداء، وبالتالي لا يوجد شيء مشترك بين جان هاد وباندار. وكان تون جان يمتلك جسم رجل أحمر ومخ هورماد، وأنا أسكن جسم هورماد، ولذا ربما تقاربنا لأننا نعرف أن الآخرين يعتبروننا – في أعماق قلوبهم – وحوشًا، وأقل بشرية من أدنى الحيوانات. وأستطيع أن أقول لك إن جسمًا بشعًا مثل جسمي يثير شعورًا بالدونية لا يمكن التغلب عليه؛ وأعتقد أن تون جان يشعر بالمثل، رغم ما يُبديه من مظهر جسور في جسم قاتل أمهور.

بعد أن أكملنا الزورقين، اللذين تطلبا عدة أسابيع من العمل المتواصل، أثقل الخمول علينا بشدة، كما أطل الشقاق بوجهه القبيح. أصر سايتور أن نبدأ رحلتنا فورًا، لكني كنت أرغب في الانتظار لفترة أطول قليلًا لأني أعرف أن جون كارتر إذا ظل حيًّا ووصل إلى هيليوم، فسوف يعود من أجلي. اتفق باندار مع سايتور، بينما عارض جان هاد؛ فقد كانت الخطة هي محاولة الوصول إلى فوندال، وكان يخشى إلقاء القبض عليه هناك ثم اعتباره عبدًا. كان تون جان يدعمني في العديد من الحجج التي تلت. وشعرت بارتياح هائل لدعم جاناي أيضًا، عندما أدركت تصميمي على الانتظار لفترة أطول قليلًا.

قالت: «يجب ألا نغادر ما لم نتمكن من أخذ جسم فور داج معنا، ويرفض تور-دور-بار الرحيل إلا عندما يتأكد من عدم وجود أمل في الإنقاذ من هيليوم. ومع ذلك أعتقد»، قالت لي، «إنك ترتكب خطأً، وعليك أن ترضخ لحكمة وخبرة سايتور المتميزين، فهو رجل أحمر ولديه مخ رجل أحمر».

حضر سايتور هذا الحديث، ورأيته يلقي نظرة سريعة نحوي؛ وتساءلت ثانية ما إذا كان يشتبه في أن مخ فور داج يسكن في رأسي البشع. وتمنيت ألا ينقل شكوكه إلى جاناي.

قلت: «قد يكون لدى سايتور مخ رجل أحمر، لكنه يعمل الآن لمصلحة سايتور فقط. ومخي، مهما كان أدنى، فهو مُشبع برغبة واحدة، تفوق أي اعتبار آخر غير رفاهك أنت وفور داج. ولن أترك هذه الجزيرة إلى أن يعود جون كارتر إلا إذا اضطررت لذلك، وإلى أن أقتنع بانعدام

أدنى أمل في عودته. كما لن أسمح لكِ يا جاناي بالمغادرة؛ قد يغادر الآخرون إذا أرادوا، لكنني وعدت فور داج بحماية جاناي، ولن أحميها إذا سمحت لها بالقيام برحلة محفوفة بالمخاطر في المستنقعات التونولية الكبرى إلى فوندال، وهو بلد غير مضياف، إلا إذا لم أستنفد كل البدائل الأخرى».

ردت جاناي بغضب: «أنا سيدة نفسي، وسوف أرحل عندما أريد؛ لن يُملي عليَّ هورماد ما أفعل».

قال سايتور: «جاناي على حق تمامًا، ليس لديك الحق في التدخل».

أجبت: «ومع ذلك سوف أتدخل، وسوف تبقى جاناي معي هنا حتى لو اضطررت أن أبقيها بالقوة، وأعتقد أنكم تعرفون جميعًا أنني قادر جسمانيًّا على ذلك».

حسنًا، لم يكن الوضع سارًّا بعد ذلك. أمضت جاناي وسايتور وباندار وقتًا أطول معًا، وكانوا يتحدثون في كثير من الأحيان بصوت منخفض لا يمكن سماعه. اعتقدتُ أنهم كانوا فقط يتذمرون معًا ويكيلون لي السِّباب. حزنت بطبيعة الحال لاعتقادي أن جاناي تحولت ضدي؛ وكنت تعيسًا للغاية؛ لكني لم أتوقع أي نتيجة أخرى لتذمرهم، وكنت على ثقة تامة بضرورة مواصلة طريقي الذي رأيت ببصيرتي أنه الطريق الآمن.

وجد سايتور وباندار مكانًا للنوم بعيدًا عن المكان الذي اخترته مع جان هاد وتون جان، كما لو كانوا يريدون إبلاغنا عدم وجود شيء مشترك معنا. وقد راقني ذلك تمامًا، حيث أصبحت أشتبه فيهما وأنفر منهما.

وفي إحدى الليالي، خلال استعدادي للنوم بعد قضاء اليوم في الصيد، جاء تون جان وجلس بجانبي. قال: «لقد سمعت اليوم شيئًا وأعتقد أنه يهمك. كنت أغفو تحت شجيرة عند الشاطئ بعد ظهر اليوم، عندما جاء سايتور وجاناي وجلسا بجانب الشجيرة التي أغفو خلفها. كان من الواضح أنهما يتحدثان عنك، وسمعت جاناي تقول: 'أنا على يقين أنه مُخلص حقًّا لفور داج ولي. لكن بصيرته فقط خاطئة؛ فماذا يمكن أن نتوقع من مخ مشوه لهورماد لديه مثل هذا الجسم المشوه'؟

«أجابها سايتور: 'أنتِ مخطئة تمامًا. لا يوجد في ذهنه سوى فكرة واحدة، وهي امتلاكِ. وهناك شيء عرفته منذ فترة طويلة، لكني ترددت في إخبارِكِ لأني لم أكن أرغب في أن أجرحكِ. إن فور داج الذي عرفتيه لن يعيش أبدًا مرة أخرى، حيث تمت إزالة مخه وتدميره، وأخفى تور-دور-بار جسمه وتولى حمايته انتظارًا لعودة راس ثافاس الذي سينقل مخ الهورماد تور-دور-بار إلى جمجمة فور داج. وبعدها سوف يأتي لكِ في جسمه الجديد والجميل، على أمل أن يفوز بكِ؛ لكنه لن يكون فور داج الذي يأمل في امتلاكِ، وإنما سيكون مخ هورماد في جسم رجل'.

«صاحت جاناي: 'يا للهول! هذا غير صحيح. كيف لك أن تعرف شيئًا كهذا؟'».

«أجاب سايتور: 'أخبرني آي-ماد أن جسم فور داج سيكون مكافأة لتور-دور-بار على الخدمات التي قدمها له؛ ولزيادة تأكيد الأمر، تمكن تور-دور-بار من إقناع آي-مادن بتدمير مخ فور داج'».

سألته: «وماذا كان رد جاناي؟ لم تصدقه، أم أنها صدقته؟».

قال تون جان: «نعم، صدقته؛ لأنها قالت إن ذلك يفسر العديد من الأشياء لم تكن حتى الآن قادرة على فهمها، وإنها تعرف الآن لماذا تُبدي، وأنت هورماد، هذا الولاء الملحوظ نحو رجل أحمر».

شعرتُ بالاشمئزاز والغضب والجُرح، وتساءلت ما إذا كانت فتاة مثل جاناي تستحق الحب والتفاني اللذين أشعر بهما تجاهها؛ بيد أن بصيرتي أنقذتني عندما أدركت أن كلام سايتور كان، من حيث الظاهر، بمثابة تفسير منطقي لموقفي تجاه الفتاة؛ إذ لماذا يدافع هورماد بشع عن رجل أحمر إلا إذا كان يرغب في اكتساب جسمه، ليفوز في الوقت نفسه بفتاة جميلة، أو على الأقل بفرصة معقولة للفوز بها ويحول شكله البشع دون تحقيق ذلك الآن.

قال تون جان: «عليك أن تحترس من هذا الجرذ».

قلت: «لن أُضطر إلى ذلك طويلًا. سأجعله يتراجع غدًا عما قاله؛ لأني سأخبرهم جميعًا بالحقيقة، التي أعتقد أن سايتور يشك فيها بالفعل، لكنها سوف تُفاجئ جاناي».

بقيت مستيقظًا لفترة طويلة في تلك الليلة، أفكر في رد فعل جاناي عندما تعرف الحقيقة، ماذا يمكن أن تقول أو كيف يمكن أن تفكر أو تتصرف عندما أخبرها أن وراء وجهي هذا البشع يوجد مخ فور داج. تمكنت أخيرًا من النوم. ونظرًا لأنني بقيت مستيقظًا لفترة طويلة قبل أن يغلبني النوم، صحوت متأخرًا في صباح اليوم التالي. وكان جان هاد التونولي هو مَن أيقظني. كان يهزني بقوة، وعندما فتحت عيني رأيته

شديد التوتر.

سألته: «ما الأمر، يا جان هاد؟».

«سايتور!»، أوضح قائلًا، «أخذ سايتور وباندار أحد القاربين وهربا مع جاناي».

قفزت واقفًا وركضت بسرعة إلى حيث أخفينا القاربين. لم أجد سوى قارب واحد. لكن ذلك لم يكن أسوأ شيء؛ فقد وجدت ثقبًا كبيرًا في قاع القارب الآخر، ما يعني تأخير مطاردتنا لهم لعدة أيام.

هذه إذَنْ مكافأتي على حبي وولائي وإخلاصي. شعرت بقلبي ينفطر. لا يهمني كثيرًا الآن إذا عاد جون كارتر أو لم يعُد؛ فحياتي الباقية ستخلو من كل شيء إلا البؤس. ابتعدت بحزن عن القارب. وضع جان هاد يده على كتفي.

قال: «لا تحزن. إذا ذهبت بمحض إرادتها، فلا تستحق أن تحزن عليها».

وجدت في كلماته أملًا، أملًا ضعيفًا وإنما يكفي في حالتي اليائسة لتخفيف معاناتي الذهنية. إذا ذهبت بمحض إرادتها! ربما لم تذهب بمحض إرادتها. ربما أخذها سايتور بالقوة. هناك أمل على الأقل، وقررت التشبث به إلى النهاية المريرة. ناديت تون جان، وبدأ ثلاثتنا العمل لإصلاح القارب التالف. عملنا بهمة، لكن عملنا استغرق ثلاثة أيام كاملة ليصبح القارب جاهزًا للإبحار مرة أخرى؛ فقد نجح سايتور في إتلافه بشدة.

ونظرًا لأن باندار كان معهم، فقد خمنت أنهم ذهبوا مباشرة إلى فوندال، حيث قد ينجح في استقبالهم هناك كأصدقاء. وهكذا خططت متابعتهم إلى فوندال، مهما كلفني ذلك. شعرت في داخلي بقوة مائة رجل، والقدرة على إبادة جيش كامل بمفردي، وهدم أسوار أقوى مدينة.

أصبحنا أخيرًا على استعداد للرحيل. وقبل مغادرتنا، اتخذت احتياطًا واحدًا. أخفيت، تحت الصخور والأغصان والوحل، مدخل النفق المؤدي إلى الغرفة التي يرقد فيها جسم فور داج.

استولى سايتور على القارب الكبير، الذي يسع أكثر من ثلاثة أشخاص، لكنه كان أيضًا أثقل ويمكن لرجلين فقط التجديف، في حين كان قاربنا أخف ويتيح لثلاثة رجال التجديف. وعلى الرغم من أن الآخرين رحلوا قبلنا بثلاثة أيام، فقد شعرت – ومعي جان هاد وتون جان – أن بإمكاننا اللحاق بهم قبل أن يصلوا إلى فوندال. بيد أنه كان مجرد أمل، فقد يكون من قبيل المصادفة أن نتبع نفس المسار الذي اتخذوه خلال متاهة الممرات المائية المتعرجة التي تقع بيننا وبين وجهتنا. وقد نتجاوزهم دون أن ندري. وقد يتبع أي طرف مسارًا مائيًّا ليكتشف أنه وصل إلى طريق مسدود، مما يستلزم العودة لأميال مرهقة؛ حيث لا توجد خريطة لامتدادات مستنقعات تونول، كما أنها غير مألوفة على الإطلاق لأفراد الطرفين. ونظرًا لاعتيادي مراقبه التضاريس من الجو، فقد تكونت في ذهني صورة معقولة عن المنطقة التي طرنا فوقها ثم أخذنا الهورماد على المالاجور محلقين إلى موربوس، ولم يكن لديَّ

شك أن سايتور طار فوق المنطقة عدة مرات. ومع ذلك، لم يكن لديَّ سبب يُذكر للاعتقاد بأن هذه الحقائق سوف تفيد أيًّا منا إلى حد كبير؛ ذلك أن الرؤية من سطح الماء تعرقلها على الدوام النباتات التي تنمو على سطح المستنقع والعديد من الجزر الكبيرة والصغيرة.

كان قلبي ثقيلًا عندما شرعت في مطاردة سايتور؛ أولًا بسبب شكوكي في ولاء جاناي، وثانيًا لأني اضطررت إلى التخلي عن جسمي والخروج إلى العالم على شكل هورماد بشع. لماذا أسعى وراء جاناي، التي هجرتني بعد أن استمعت إلى سايتور وصدقته ولم تصدقني؛ يكمن التفسير الوحيد في أنني أحبها، وهذا الحب يجعل الرجل أحمق.

انطلقنا بعد حلول الظلام حتى لا تكشفنا موربوس. لا يوجد في السماء سوى القمر الأصغر والأبعد كلوروس، لكنه أضاء طريقنا بما يكفي، ومنحتنا النجوم اتجاهنا. وكانت قوتي المذهلة بمثابة إضافة قوة رجلين على الأقل إلى المجاديف. قررنا مواصلة طريقنا ليلًا ونهارًا، على أن ينال كل منا القسط المطلوب من النوم على التناوب في قاع القارب. أحضرنا معنا الكثير من المؤن، وكانت سرعة دفعنا للقارب تمنحنا الأمل أن نتمكن من الهروب من هجوم أي مواطنين غير وديين قد يكتشفون وجودنا.

طار سرب من المالاجور فوقنا في اليوم الأول، في اتجاه فوندال. اختبأنا منهم أسفل الأغصان التي تتدلى أعلى قناة ضيقة كنا نعبرها؛ لكن الطيور كانت واضحة لنا، وكان كل منها يحمل على ظهره محاربًا من الهورماد.

قال جان هاد: «هذه غارة أخرى».

قلت: «من المرجح أنها مجموعة بحث أرسلها آي-ماد للبحث عنا، فلا بد أنه اكتشف هروبنا من موربوس».

قال تون جان: «لكننا هربنا منذ أسابيع».

قلت موافقًا: «نعم، وليس لديَّ شك أنه كان يرسل خلال هذه الفترة مجموعات البحث في جميع الاتجاهات».

أومأ جان هاد: «ربما كنت على حق. دعنا نأمل ألا يكتشفوا أيًّا منا؛ لأننا في هذه الحالة سنذهب إلى الأحواض أو إلى المحرقة».

في اليوم الثاني، وبعد أن دخلنا بحيرة متوسطة الحجم، اكتشفنا بعض الهمج الذين يسكنون على شواطئها. ركبوا عددًا من الزوارق وانطلقوا لاعتراضنا. انحنينا على مجاديفنا، وانزلق قاربنا الصغير بخفة على سطح الماء؛ لكن الهمج انطلقوا من نقطة أمامنا على الشاطئ، وبدا من المؤكد تقريبًا أنهم سيصلون إلينا قبل أن نتمكن من تجاوزهم. كانت مجموعة وحشية؛ ورأيت مع اقترابهم أنهم عُراة تمامًا، ويبرز شعرهم الكثيف في جميع الاتجاهات، وتبدو وجوههم وأجسادهم التي لونوها أكثر بشاعة مما منحته لهم الطبيعة. كانوا مسلحين برماح وهراوات بدائية؛ لكن طريقة تعاملهم مع الزوارق الطويلة، التي أسرعت فوق الماء بسرعة مذهلة، لم تكن بدائية.

قلت بإلحاح: «أسرعوا!». والآن، مع كل ضربة مجداف، بدا قاربنا يغادر المياه لأنه كان يقفز إلى الأمام مثل كائن حي.

يصرخ الهمج الآن ابتهاجًا، حيث بدا من المؤكد أنهم سيدركوننا؛ ولكن الطاقة التي بذلوها في صرخاتهم الوحشية كان من الأفضل أن يوجهوها إلى التجديف؛ لأننا تجاوزنا حاليًا قاربهم الرئيس وبدأنا نبتعد عنهم. ألقوا غاضبين رماحهم وهراواتهم علينا من قاربهم الرئيس، لكنها سقطت بعيدًا عنا، وسرعان ما أصبح من الواضح أننا نجونا منهم، ولن يمكنهم إدراكنا. بيد أنهم واصلوا لبضع دقائق، ثم عادوا بلعنات غاضبة ووجوه متجهمة إلى الشاطئ. وهو ما كان حسن حظنا؛ لأن قدرة جان هاد وتون جان على التحمل قد وصلت إلى أقصاها، وغاص كلاهما في حالة إرهاق شديدة في قاع الزورق لحظة أن كف الهمج عن مطاردتنا. لم أشعر بالتعب، وواصلت التجديف في اتجاه نهاية البحيرة. دخلنا هنا إلى قناه متعرجة، وواصلنا لحوالي ساعتين دون أي مغامرات أخرى. كانت الشمس على وشك الغروب عندما سمعنا رفرفة أجنحة كبيرة تقترب أمامنا.

«طيور المالاجور»، قال تون جان.

قال جان هاد: «لقد عاد فريق البحث؛ وأتساءل بأي نجاح».

قلت: «إنهم يطيرون منخفضين جدًّا. هيا، لنتوجه إلى الشاطئ تحت تلك الشجيرات. وحتى مع ذلك، سنكون محظوظين إذا لم يرونا».

تنمو الشجيرات عند حافة جزيرة مسطحة منخفضة، ترتفع بضع بوصات فوق سطح الماء. طار المالاجور منخفضًا فوقنا، ثم عاد أدراجه.

قال تون جان: «سوف يهبطون. لا يحب الهورماد الطيران في الليل؛

لأن المالاجور لا يبصرون جيدًا بعد حلول الظلام، كما أن انطلاق القمر ثوريا بسرعة على انخفاض فوقهم، يخيفهم ويربكهم».

نظرنا جميعًا إلى أعلى نحوهم عندما كانوا يحلقون فوقنا، ولاحظت أن ثلاثة من طيور المالاجور تحمل شخصين.

لاحظ الآخرون ذلك أيضًا، وقال جان هاد إن لديهم سجناء.

قال تون جان: «أعتقد أن من بينهم امرأة».

– ربما ألقوا القبض على سايتور وباندار وجاناي.

قال جان هاد: «سوف يهبطون على هذه الجزيرة. وإذا انتظرنا حتى حلول الظلام، يمكننا تجاوزهم بأمان».

أجبت: «يجب أن أعرف أولًا إذا كانت جاناي من بين السجناء».

قال تون جان: «إذا اكتشفونا، سيعني ذلك موتنا جميعًا. لدينا فرصة للهرب، ولا يمكننا مساعدة جاناي إذا أمسكوا بنا».

قلت: «يجب أن أعرف. سوف أذهب إلى الشاطئ لأتأكد؛ إذا لم أرجع بعد حلول الظلام بفترة وجيزة، واصلا أنتما طريقكما، وأتمنى لكما حظًّا سعيدًا».

سأل جان هاد: «وإذا وجدتها هناك؟».

– عندئذ سأعود إليكم، وسوف نتوجه إلى موربوس على الفور. إذا أعادوا جاناي إلى هناك، يجب أن أعود أيضًا.

قال جان هاد بإصرار: «لكنك لن تستطيع تحقيق أي شيء. ستضحي بحياتنا وبحياتك دون جدوى. لا يحق لك أن تفعل بنا ذلك، عندما لا

يوجد أمل في النجاح. سوف يختلف الأمر إذا كان هناك حتى أدنى أمل؛ عندئذ أنا عن نفسي سوف أرافقك. لكني أرفض تمامًا لعدم وجود أمل؛ لست مستعدًّا لأن أخسر حياتي في مهمة حمقاء».

قلت: «سوف أعود إذا كانت جاناي هناك، حتى إذا عُدت بمفردي. ويمكنكما أن ترافقاني أو تبقيا في هذه الجزيرة. هذا القرار متروك لكما».

تجهم كلاهما ولم يرد أي منهما. تسللت إلى الشاطئ، مختفيًا بين الشجيرات. لم أفكر ثانية في تون جان وجان هاد؛ فقد كان ذهني منشغلًا كلية بمشكلة اكتشاف ما إذا كانت جاناي من بين السجناء الذين يأخذهم الهورماد إلى موربوس. منحتني الشجيرات المنخفضة التي تنمو على الجزيرة غطاء ممتازًا. زحفت بينهم على بطني في الاتجاه الذي سمعت أصواتًا تصدر منه. كنت أتحرك ببطء، وهبط الظلام تقريبًا قبل أن أصل إلى نقطة تمكنني من مراقبة المجموعة. رأيت دزينة من المحاربين وضابطين. زحفت إلى مسافة أقرب، واكتشفت بعض الأشخاص يرقدون، وتعرفت فورًا على أقربهم مني، كان سايتور. كان مُقيدًا من يديه وقدميه؛ وبوجوده عرفت أن جاناي هناك أيضًا. لكني كنت أرغب في التأكد، ولذا تحركت بحذر إلى موقع آخر، حيث يمكنني رؤية الاثنين الآخرين. كانت جاناي أحدهما.

يصعب وصف ما اجتاحني من انفعال، فقد رأيت المرأة التي أحبها مُقيدةً وراقدةً على الأرض، وسجينة للمرة الثانية لدى أتباع آي-ماد البشعين، ومحكوم عليها أن تُعاد إليه. كانت قريبة جدًّا مني، لكني لم

أتمكن من إبلاغها أنني هنا وأبحث عن وسيلة لخدمتها بإخلاص كما لو أنها لم تتخلَّ عني. بقيت فترة طويلة أنظر إليها. وعندما حل الظلام، استدرت وابتعدت زاحفًا بحذر. ونظرًا لعدم وجود القمرين حاليًا في السماء، سرعان ما نهضت دون خوف من الكشف، ومشيت بسرعة نحو البقعة التي تركت فيها جان هاد وتون جان. كنت أحاول معرفة كيفية العودة إلى موربوس بسرعة أكبر من سرعة تركنا المدينة؛ لكني أعرف صعوبة زيادة سرعتنا، واستسلمت إلى حقيقة عدم تمكني من الوصول إلى المدينة قبل يومين، وفي الوقت نفسه، ماذا قد لا يحدث لجاناي؟ ارتجفت وأنا أفكر في مصيرها؛ وأقنعت نفسي بفكرة أنني إن لم أتمكن من إنقاذها، فعلى الأقل سوف أنتقم لها. كرهت التفكير في إجبار تون جان وجان هاد على العودة معي؛ وإنما لا توجد أي وسيلة أخرى. أحتاج إلى قوة المجاديف لتسريع عودتي. لا أستطيع حتى أن أقدم البديل، أن يبقيا على الجزيرة. هذا ما كنت أفكر فيه عندما وصلت إلى المكان الذي تركت فيه القارب. لم أجد القارب. هجرني جان هاد وتون جان، وأخذا معهما وسيلة مواصلاتي الوحيدة إلى موربوس.

انتابني ذهول للحظة من ضخامة المصيبة التي أصابتني؛ لأنها تستبعد أي إمكانية لقدرتي على مساعدة جاناي بأي شكل؛ فهي الوحيدة التي تهمني. جلست على حافة القناة، وغرق وجهي بين راحتي يديَّ، في جهد يبدو عقيمًا للتخطيط للمستقبل. خططتُ وألغيت عشرات المشاريع المجنونة، ثم قررت أخيرًا الإقدام على المشروع الوحيد الذي لا يبدو أنه يطرح أي فرصة للنجاح. قررت العودة إلى

مخيم الهورماد وتسليم نفسي. يمكنني على الأقل أن أكون بالقرب من جاناي، وعندما نعود إلى موربوس قد تمنحني بعض الظروف الجيدة الفرصة التي أتطلع إليها، على الرغم من أن بصيرتي تخبرني أن الموت سيكون مكافأتي الوحيدة.

نهضتُ وبدأت بجرأة خطوات العودة إلى المخيم. وعندما اقتربت منه، وقبل أن يكتشفوني، تبادرت خطة أخرى إلى ذهني. إذا عُدت إلى موربوس سجينًا، مُقيد اليدين والقدمين، سيقتلني آي-ماد دون شك وأنا عاجز لأنه يعرف قوتي الهائلة ويخشاها؛ لكني إذا وصلت إلى موربوس دون أن يكتشفوني، ربما أتمكن من إنجاز شيء أكثر قيمة. وإذا تمكنت من الوصول إلى موربوس قبل أن تعود جاناي إلى آي-ماد، فإن فرصتي في إنقاذها منه ستزداد ألف مرة. وهكذا، أخذت أتحرك بمزيد من الحذر حول المخيم إلى أن وصلت عند طيور المالاجور. كان بعضها نائمًا، ورؤوسها تحت أجنحتها العملاقة، في حين كان البعض الآخر يتحرك بقلق. لم تكن الطيور مربوطة بأي شكل من الأشكال؛ لأن الهورماد يعرفون أنها لن تطير بمحض إرادتها بعد حلول الظلام.

ما زلت أتحرك، واقتربت من الطيور من الجانب البعيد من المخيم. ونظرًا لأنني هورماد، لم يثر وجودي بينهم أي شك. مشيت إلى أول طائر قابلته، وأمسكت برقبته وقدته بعيدًا بهدوء، ثم قفزت فوق ظهره عندما شعرت بالأمان لابتعادي بما يكفي عن المخيم. أعرف كيفية السيطرة على الطيور الكبيرة؛ لأني راقبت تيايتان-أوف بعناية عندما أمسك بي وأخذني إلى من منطقة مجاورة لفوندال إلى موربوس؛ كما

كنت أتحدث كثيرًا مع الضباط والمحاربين الهورماد عن تلك الطيور، واكتسبت بالتالي المعرفة الضرورية للسيطرة عليها وتوجيهها.

عارض الطائر التحليق في البداية وحاول مقاومتي، إلى حد أنني خشيت من الضوضاء التي يمكن أن تجذب انتباه المخيم؛ وقد حدث بالفعل؛ لأنني سمعت شخصًا يصيح «ماذا يجري هناك؟». ورأيت الآن، في ضوء القمر الأبعد، ثلاثة هورماد يقتربون.

قمت بحثِّ الطائر ثانية للتحليق، وركلته بكعبي بعنف. يركض الهورماد نحوي الآن، واستيقظ المخيم بأكمله. توتر الطائر من ركلاتي وضجيج المحاربين المقتربين خلفنا، وبدأ يهرب منهم. فرد أجنحته الكبيرة، ورفرف بقوة للحظة واحدة، ثم ارتفع من فوق الأرض وحلّق في الليل.

وجهت الطائر إلى موربوس، وكانت النجوم دليلي؛ وكان ذلك كل المطلوب مني؛ لأن غريزته نحو بيته سوف تبقيه على المسار الصحيح. كانت الرحلة سريعة ومؤكدة، على الرغم من انفعال المالاجور عندما قفز القمر ثوريا من تحت الأفق واندفع عبر السماء.

يرتفع القمر ثوريا بمسافة تقل عن ٦٠٠٠ ميل من سطح برسوم، ويدور حول الكوكب في أقل من ثماني ساعات، مُقدمًا مشهدًا رائعًا وهو يندفع عبر السماء. يا له من مشهد محسوب جيدًا لغرس الرعب في قلوب الحيوانات الأدنى مرتبة التي حياتها نهارية تمامًا. بيد أن طائري حافظ على اتجاهه، على الرغم من تحليقه منخفضًا كما لو أنه يحاول أن يبتعد قدر الإمكان عن كرة النار العملاقة التي بدت تتابعه.

آآه، يا ليالينا المريخية! مشهد رائع لا يتوقف أبدًا عن فتن خيال أي بارسومي. كيف تبدو الليالي شاحبة وقاتمة على كوكب الأرض، مع قمر واحد يتحرك بسرعة الحلزون عبر السماء على مسافة كبيرة من ذلك الكوكب؛ لا بد أنه [قمر كوكب الأرض] لا يبدو أكبر من طبق. لا يزال مشهد هذه الليلة المجيدة يثير تشويقي، حتى في ظل الإجهاد الذي يعانيه ذهني.

قطع طائر المالاجور السريع المسافة في بضع ساعات، وهي التي تطلبت من موربوس يومين وليلتين من الجهد المضني. أجبرت الطائر بصعوبة على الهبوط فوق الجزيرة التي انطلقنا منها قبل يومين؛ فقد كان الطائر يرغب الهبوط في مكانه المعتاد أمام بوابات موربوس. لكني نجحت أخيرًا، وتنفست الصعداء وأنا أنزلق من الجزء الخلفي لطائري العنيد.

لم يرغب الطائر في التحليق ثانية، لكني أجبرته على ذلك؛ فلم يكن بمقدوري أن أتحمل فرصة أن يشاهدوه إذا طار من الجزيرة بعد شروق الشمس، وبالتالي يقود أعدائي إلى ملاذي الوحيد عندما تُثار شكوكهم بالقصة التي أعرف أن مجموعة البحث سترويها عند عودتها.

وبعد أن نجحت في إبعاد الطائر، ذهبت على الفور إلى مدخل النفق الذي يقود إلى مبنى المختبر، وأزلت ما يكفي من الحطام كي أتمكن من الزحف داخل النفق. وقبل أن أزحف، حطمت شجيرة كبيرة، وتسللت كالدودة داخل الفتحة، ثم سحبت الشجيرة ورائي على أمل أن تملأ الثقب وتخفي الفتحة؛ ثم أسرعت خلال النفق الطويل إلى زنزانة رقم ٣-١٧.

شعرت بارتياح كبير عندما وجدت جسدي لا يزال آمنًا في القبو الذي يشبه القبر. وقفت للحظه أتطلع إليه، وفكرت أنني لم أكن أتوق إلى شيء آخر غيره، باستثناء جاناي. قد توجد عيوب في وجهي وجسدي، لكنهما -مقارنة بالمسخ البشع الذي يوجهه ذهني الآن- من بين أجمل الأشياء في العالم؛ لكنهما هنا، خسرتهما كما لو أنهما ذهبا إلى المحرقة ما لم يرجع راس ثافاس.

راس ثافاس! جون كارتر! أين هما؟ ربما قُتلا في فوندال؛ وربما قُتلا منذ فترة طويلة في المستنقعات التونولية الكبرى؛ وربما كانا ضحايا في حادث خلال رحلة العودة إلى هيليوم، هذا إن نجحا في الوصول إلى طائرة جون كارتر خارج فوندال. لقد تخليت عمليًّا عن أمل عودتهما من أجلي؛ لأن الوقت الذي انقضى يكفي لوصول جون كارتر إلى هيليوم وعودته بسهولة منذ فترة طويلة. على أن الأمل لا يموت.

* * *

الفصل (٢٠)

جِد جوولي الجبار

أدركت أن خططي يجب أن تعتمد من الآن فصاعدًا على الظروف التي تواجهني. أملي أن أصل إلى قصر آي-ماد دون أن أُكتشف، وأختبئ في غرفه العرش لحين مثول جاناي أمامه. ويجب عندئذ أن أحاول قتل آي-ماد؛ وإذا نجحت، وليس لديَّ شك في ذلك، سوف أقاتل لأشق طريقي مع جاناي نحو الحرية. من المحتمل أن أفشل؛ لكني على الأقل يجب أن أقتل أسوأ عدو لها، وربما أجد ما حتى يكفي من أنصار بين الهورماد الساخطين دائمًا على حكامهم، وننجح في الاستيلاء على المدينة وجزيرة موربوس. كان هذا هو حلمي؛ وإنما لم يكن مصيره إلى التحقق أبدًا. فقد كنت أقوم بحساباتي دونما اعتبار لغرفة الأحواض رقم ٤.

اقتربت من الباب الذي يفتح على الممر، واعتقدتُ أنني أسمع أصواتًا وراء الألواح الثقيلة؛ ولذا فتحت الأبواب تدريجيًّا بأقصى قدر من الحذر. وعندئذ تناهى الصوت إلى أذني بوضوح أكبر. كان صوتًا لا

يوصف – صوتًا عاصفًا غريبًا، يختلف عن أي صوت آخر في العالم، ويختلط بأصوات بشرية غريبة تتكلم على نحو مبهم.

عرفت الصوت حتى قبل أن ألقي نظرة إلى الخارج. خطوت إلى الممر ورأيت على يميني، وليس بعيدًا عن الباب، كتلة منتفخة من أنسجة بشرية لزجة تزحف نحوي تدريجيًّا. كانت تبرز منها قطع بشرية لا علاقة لها بتركيب الجسم البشري – يد وساق مكتملتان، قدم، رئة، قلب، وتتناثر هنا وهناك رؤوس فظيعة تتكلم. صرخت الرؤوس في وجهي، وامتدت يد في محاولة للإمساك بي؛ لكني كنت بعيدًا عنها بما يكفي. لو كنت وصلت بعد ساعة وفتحت هذا الباب، لكانت تلك الكتلة البشعة قد اندفعت نحوي، ولكان جسم فور داج ضاع إلى الأبد.

وكان الممر الذي يقع على يساري مهجورًا تمامًا؛ وهو الممر الذي يفتح على السلم الحلزوني الذي يؤدي إلى الطوابق العليا. أدركت أن الكتلة التي كانت في غرفة الأحواض رقم ٤ قد وجدت مدخلًا في أقصى نهاية الحُفر، من خلال بعض الفتحات دون حراسة تحت مستوى الشارع. سوف تملأ في النهاية كل صدع، وتشق طريقها أعلى السلم الحلزوني، إلى الطوابق العليا من مبنى المختبر.

تساءلت، كيف ستكون النهاية؟ نظريًّا، لن تتوقف الكتلة عن النمو والانتشار إلا إذا دُمِّرت تمامًا. وسوف تنتشر خارج مدينة موربوس وعبر المستنقعات التونولية الكبرى. سوف تبتلع المدن؛ أو تحيط بها وتعزلها إذا فشلت في تسلق أسوارها، وبالتالي تحكم على سكانها بالموت البطيء جوعًا. وسوف تتدفق عبر قيعان البحر الميت إلى مزارع قنوات

المريخ الكبيرة. وفي نهاية المطاف، ستغطي كامل سطح الكوكب، وتدمر كل أشكال الحياة الأخرى. ومن المتصور أنها تظل تنمو إلى الأبد، وتقتات وتعيش على نفسها. يا له من تفكير بشع، لكنه محتمل؛ فقد أخبرني راس ثافاس نفسه بالكثير.

أسرعت على طول الممر نحو السلم الحلزوني، متوقعًا ألا أجد أحدًا في الخارج في هذا الوقت من الليل، حيث يكون الانضباط وحراسة مبنى المختبر في حالة تراخٍ شديدة عند ترك مسؤوليتها للهورماد، كما حدث بعد تخفيض رتبتي؛ لكنني وجدت الطوابق العليا تموج حيوية بالمحاربين والضباط، ما أثار كدري وقلقي. سادت حالة من الذعر الحقيقي، لدرجة عدم انتباه أي شخص لوجودي. كان الضباط يحاولون الحفاظ على شكل من أشكال النظام والانضباط؛ لكنهم فشلوا تمامًا في مواجهة الذعر الذي كان واضحًا في كل مكان. عرفت مما سمعته من أحاديث خاطفة أن الكتلة التي خرجت من غرفة الأحواض رقم ٤ قد دخلت القصر، وأن آي-ماد وحاشيته يفرون إلى جزء آخر من الجزيرة خارج أسوار المدينة. عرفت أيضًا أن الكتلة تنتشر عبر طرقات المدينة، ويخشى المحاربون الهورماد من عدم قدرتهم على الفرار؛ فقد أصدر آي-ماد أوامره ببقائهم لمحاولة تدمير الكتلة ومنع انتشارها عبر أنحاء المدينة. حاول بعض الضباط بفتور تطبيق الأوامر، لكن أغلبهم كان حريصًا على الهرب مثل المحاربين العاديين.

وفجأةً صاح أحد المحاربين بصوت أعلى من الجلبة قائلًا لزملائه: «لماذا نبقى هنا لنموت، بينما يهرب آي-ماد مع مَن يفضلهم؟ هناك

شارع واحد لا يزال مفتوحًا؛ هيا، اتبعوني!».

كانت كلماته كافية؛ دفعت الوحوش البشعة، كموجة ضخمة، الضباط إلى جانب، وقتلوا بعضهم وداوسوا فوق البعض الآخر، وهم يهرعون نحو المخرج الذي يؤدي إلى الطريق الوحيد للهروب الذي لا يزال مفتوحًا أمامهم. ما من شيء كان يمكن أن يصمد أمامهم، ووجدتني معهم في اندفاعهم الجنوني نحو الأمان.

لن يحضروا جاناي إلى المدينة، إذا كان آي-ماد يغادرها.

خف التزاحم بمجرد وصولنا إلى الشارع، وتحركنا في اتجاه ثابت نحو البوابة الخارجية؛ لكن الرحلة لم تتوقف هنا، حيث انتشر الهورماد المذعورون عبر أنحاء الجزيرة في محاولة للابتعاد أقصى ما يمكن عن المدينة. ولذا وجدتني واقفًا بمفردي تقريبًا في الفضاء المفتوح أمام المدينة، حيث تهبط طيور المالاجور ويركبها الهورماد في رحلة الهروب. سوف يصل خاطفو جاناي إلى هذه البقعة. سوف أنتظر هنا على أمل أن تطرح بعض الظروف الجيدة خطة تمكنني من إنقاذها من أهوال هذه المدينة.

لم يسبق لي أن انتظرت لفترة طويلة هكذا حتى طلوع الفجر، ووجدتني تقريبًا بمفردي على امتداد السهل المفتوح الذي يقع بين بوابات المدينة وشاطئ البحيرة. بقي عدد قليل من الضباط والمحاربين عند البوابة، وكان المستطلعون يدخلون المدينة باستمرار للإبلاغ عن مدى تقدم الكتلة. أعتقد أنهم لم يلاحظوا وجودي، لكن أحد الضباط اقترب مني الآن.

سألني: «ماذا تفعل هنا؟».

أجبت: «أرسلني آي-ماد إلى هنا».

قال الضابط: «وجهك مألوف. أنا متأكد أنني رأيتك من قبل. هناك شيء يثير شكوكي».

هززت كتفي. قلت: «تفكيرك لا يشكل فارقًا كبيرًا. أنا رسول آي-ماد، وأحمل أوامر للضابط المسؤول عن الفريق الذي خرج يبحث عن الهاربين».

قال: «أوه، هذا ممكن. مع ذلك، أشعر أنني أعرفك».

أجبت: «أشك في ذلك. فقد عشت منذ البداية في قرية صغيرة تقع في نهاية الجزيرة».

قال: «ربما. ما من فارق، على أي حال. وما الرسالة التي تحملها إلى قائد فريق البحث؟».

- لديَّ أوامر لقائد البوابة أيضًا.

قال الضابط: «أنا قائد البوابة».

أجبت: «جيد. أوامري هي أن آخذ المرأة، إذا أمسكوا بها، وأطير بها مباشرة فوق مالاجور إلى آي-ماد، ويتولى كابتن البوابة مسؤولية تنفيذ ذلك. أشعر بالأسف من أجلك، إذا كانت هناك عقبات».

قال: «لن توجد عقبات. لا أتصور لماذا قد توجد عقبات».

قلت مؤكِّدًا: «قد توجد عقبات؛ فقد قال أحد المُخبرين لآي-ماد إن قائد فريق البحث يريد جاناي لنفسه. وفي ظل كل الارتباك والعصيان

والتمرد التي أعقبت إخلاء المدينة، لم يعُد آي-ماد متأكدًا من نفسه أو سلطته؛ ولذلك فهو يخشى أن يستغل هذا الضابط الظروف ويتحداه، ويحتفظ بالفتاة لنفسه عندما يعرف ما حدث هنا خلال غيابه».

قال كابتن البوابة: «حسنًا، سأهتم بذلك».

قلت: «ربما من الأفضل ألا يعرف الضابط قائد الفريق ما يدور في ذهنك. وسوف أختبئ خلف بوابات المدينة حتى لا يراني؛ ويمكنك أن تأتيني بالفتاة، ثم لاحقًا بطائر مالاجور، بينما تتحدث مع الضابط وتصرف انتباهه. ويمكنك إخباره بعد أن أطير».

قال: «هذه فكرة جيدة. أنت لست أحمقَ كما يبدو مظهرك».

قلت: «أنا متأكد من أنك لم تُخطئ في تقديرك لي».

قال: «انظر! أعتقد أنهم قادمون الآن». وبالفعل، كانت هناك مجموعة صغيرة من النقاط تبدو مرئية على بُعد عالية في السماء، وسرعان ما أصبحت أكبر حجمًا، ثم ظهر أخيرًا أحد عشر مالاجور يحملون المحاربين والأسرى.

اقترب الفريق واستعد للهبوط، فعبرتُ البوابة حيث لا يستطيع أي منهم ملاحظتي أو التعرف عليَّ. تقدم كابتن البوابة واستقبل قائد فريق البحث العائد. تحدثا لبضع لحظات، ثم رأيت جاناي تقترب من البوابة، ويتبعها محارب يقود أحد طيور المالاجور الكبيرة. ألقيت نظرة فاحصة على المحارب وهو يقترب، ولم أتعرف عليه؛ وهكذا تأكدت أنه لن يعرفني. دخلت جاناي ووقفت أمامي وجهًا لوجه.

صاحت: «تور-دور-بار!».

همست: «أخفضي صوتكِ. أنتِ في خطر جسيم، وأعتقد أن بإمكاني إنقاذكِ إذا وثقتِ بي؛ فمن الواضح أنكِ لم تثقي بي سابقًا».

قالت: «لم أكن أعرف بمَن أثق، لكني وثقت فيك أكثر من أي شخص آخر».

وصل المحارب الآن إلى البوابة ومعه المالاجور. وضعت جاناي فوق ظهر الطائر وقفزت خلفها؛ ثم انطلقنا. وجهت رحلة الطائر نحو الطرف الشرقي من الجزيرة، حتى يعتقد الضابط ومَن معه أنني آخذ جاناي إلى آي-ماد. وبعد أن عبرنا بعض التلال المنخفضة، واختفت المجموعة عن بصري، استدرت نحو الجانب الجنوبي من الجزيرة لأتجه إلى فوندال.

عندما بدأنا الطيران من الجزيرة، واجهت صعوبة في السيطرة على الطائر الكبير؛ حيث حاول العودة إلى زملائه ثانية. اضطررت إلى مقاومته باستمرار لإبقائه في الاتجاه الذي أريده. أدى هذا الإجهاد، الذي أضاف إلى رحلة الطائر الطويلة، إلى أنه تعب بسرعة بحيث استسلم في النهاية ورفرف ببطء وخوف على طول الطريق الذي اخترته. واستطعنا، أنا وجاناي أن نتحدث أخيرًا.

سألتني: «كيف حدث أن أجدك عند البوابة عندما وصلت؟ وكيف أنك الرسول الذي اختاره آي-ماد لإحضاري؟».

أجبت: «لا يعرف آي-ماد شيئًا عن ذلك. إنها قصة خيالية اخترعتها

لخداع كابتن البوابة وقائد الفريق الذي أمسك بكِ».

– ولكن كيف عرفت أنهم أمسكوا بي، وأنهم سيعودون بي اليوم إلى موربوس؟ يثير الأمر برمته الإرباك والحيرة؛ لا يمكنني فهمه.

سألتها: «ألم تسمعي بسرقة مالاجور من مخيمكم الليلة الماضية؟».

صاحت: «تور–دور–بار! لقد كنت أنت؟ ماذا كنت تفعل هناك؟».

– شرعت في البحث عنكِ، وكنت بجانب الجزيرة عندما هبط فريقكم.

قالت: «فهمت. يا لك من ذكي وشجاع».

قلت: «لو كنتِ صدقتني ووثقتِ بي، لكنا هربنا؛ ولا أعتقد أنني أحمق مثل سايتور ليمسكوا بي».

قالت: «أصدقك وأثق بك أكثر من أي شخص آخر».

سألتها: «لماذا إذَنْ هربتِ مع سايتور؟».

– لم أهرب مع سايتور. لقد حاول إقناعي، وأخبرني العديد من القصص عنك ولم أرغب في تصديقها. وأخيرًا قلت له بوضوح إنني لن أذهب معه، لكنه جاء في الليل ومعه باندار وأخذني بالقوة.

قلت: «أنا سعيد لعدم ذهابك معه عن طيب خاطر». يمكنني أن أخبرك مدى سعادتي لأنها لم تذهب معه بإرادتها؛ أحبها الآن أكثر من ذي قبل. وإنما لن يفيدني ذلك ما دمت أسكن هذا الجسم البشع والوجه المتوحش غير الإنساني.

سألتني: «وماذا عن فور داج؟».

– علينا أن نترك جسمه حيث هو، إلى أن يعود راس ثافاس. ليس هناك بديل.

سألتني بصوت مرتعش: «وإذا لم يرجع راس ثافاس؟».

أجبت: «سوف يظل فور داج راقدًا حيث هو إلى الأبد».

قالت لاهثة: «يا للفظاعة. كان وسيمًا جدًّا، ورائعًا جدًّا».

«فكرتكِ عنه جيدة؟»، سألتها، وخجلت فورًا من اقتناص هذه الفرصة غير العادلة.

«فكرتي عنه جيدة»، قالتها بنبرة عادية، وهو الرد الذي لم يكن مثيرًا ولا مشجعًا. ربما كانت لتتحدث بنفس الطريقة عن ثوات أو كالوت.

أصبح من الواضح، في وقت ما بعد الظهيرة، أن المالاجور وصل إلى أقصى قدرته على التحمل. بدأ في الانخفاض تدريجيًّا نحو المستنقعات، وهبط الآن على أحد أكبر الجزر التي رأيتها. كانت جزيرة جذابة جدًّا، تضم التل والوادي وأراضي الغابات، فضلًا عن جدول مائي صغير يسير متعرجًا إلى البحيرة. وهو مشهد غير معتاد في برسوم. ما إن هبط المالاجور، حتَّى أخذ يتدحرج على جانبه وألقانا على الأرض. تصورت أنه على وشك الموت؛ لأنه رقد هناك يقاوم ويلهث.

قالت جاناي: «يا له من طائر مسكين! ظل يحمل ضعف حمولته لثلاثة أيام، مع طعام غير كافٍ، يكاد يكون بلا طعام عمليًّا».

قلت: «حسنًا، أبعدنا على الأقل عن موربوس. وإذا تعافى، سيأخذنا إلى هيليوم».

سألتني: «لماذا إلى هيليوم؟».

– لأنه البلد الوحيد الذي أتأكد أنكِ ستجدين فيه اللجوء الآمن.

سألتني: «ولماذا سأجد الأمان هناك؟».

– لأنكِ صديقة لفور داج. وسوف يضمن جون كارتر، أمير الحرب في برسوم، استقبالًا حسنًا ومعاملة جيدة لأي صديق لفور داج.

سألتني: «وأنت؟». لا بد أنني ارتجفت بوضوح عندما فكرت في دخول هيليوم بهذا المظهر المروع؛ لأنها قالت بسرعة: «أنا على يقين أنك ستحظى باستقبال جيد أيضًا؛ لأنك بالتأكيد تستحق ذلك أكثر مني بكثير». صمتت للحظة تفكر، ثم سألتني: «هل تعرف ماذا حدث لمخ فور داج؟ أخبرني سايتور أنهم دمروه».

أردت أن أقول لها الحقيقة، لكني لم أستطع؛ فقلت: «لم يُدمَّرْ. وراس ثافاس يعرف مكانه. وإذا وجدت راس ثافاس، سوف يستعيد فور داج مخه».

قالت بحزن: «يبدو أننا لن نتمكن من العثور على راس ثافاس».

هذا ما كان يبدو لي أيضًا، لكني لن أتخلَّى عن الأمل. يجب أن يعيش جون كارتر! ويجب أن يعيش راس ثافاس! ويجب أن أجدهما في يوم ما.

ولكن ماذا عن جسدي الذي يرقد هناك تحت مبنى المختبر في موربوس؟ ماذا لو وجدت الكتلة التي خرجت من غرفة الأحواض رقم ٤ طريقها إلى الزنزانة ٣-١٧؟ أصابتني هذه الفكرة بالدوار؛

على أنها لم تكن مستحيلة. إذا امتلأ المبنى والممر بالكتلة، قد يؤدي ضغط الكتلة الكبير إلى كسر باب الزنزانة ٣-١٧ رغم ضخامته. وقد تلتهمني تلك الرؤوس البشعة؛ أو إذا انتشرت الكتلة خارج الجزيرة نحو المستنقعات، قد يستحيل على الإطلاق أن أسترد جسدي وأن يظل إلى الأبد دون مساس. لم يكن توقعًا مبهجًا، بل كان محبطًا للغاية. بيد أن أفكاري اتخذت فجأه اتجاهًا آخر عندما صرخت جاناي.

صاحت: «انظر!».

التفتُ في الاتجاه الذي كانت تشير إليه، ورأيت عددًا من المخلوقات الغريبة القادمة نحونا في قفزات مذهلة. كان واضحًا أنهم نوع بشري ما، على أن هناك اختلافات تجعلهم لا يماثلون أي حيوانات أخرى على المريخ. كانت سيقانهم طويلة وقوية، والركبتان مثنيتان دائمًا باستثناء ما يلي إحدى القفزات المذهلة مباشرة، ولدى كل منهم ذيل طويل قوي؛ وغير ذلك، يبدون كالبشر تمامًا من حيث البنية. لاحظت عند اقترابهم أنهم عراة تمامًا، باستثناء عتاد بسيط يدعم سيفًا قصيرًا في إحدى جانبيه وخنجرًا في الجانب الآخر. وبالإضافة إلى هذه الأسلحة، يحمل كل منهم رمحًا في يده اليمنى. حاصرونا بسرعة، بينما احتفظوا بمسافة قليلة منا، وجلسوا القرفصاء مع ثني ركبهم ودعم أنفسهم بأقدامهم العريضة المسطحة وذيولهم.

سأل أحدهم: «مَن أنتم؟ وماذا تفعلون هنا؟»؛ واندهشت لقدرته على الحديث.

أجبت: «كنا نطير فوق جزيرتكم عندما نال التعب من طائرنا

المالاجور، واضطررنا إلى الهبوط للراحة. وسوف نواصل طريقنا بمجرد أن نتمكن من ذلك».

هز الزميل رأسه وقال: «لن تغادروا جوولي أبدًا». كان يفحصني عن كثب، وسألني: «ما أنتم؟».

قلت: «أنا رجل»، وسحبت سيفي قليلًا.

هز رأسه. وسأل وهو يشير إلى جاناي: «وما هذا؟».

أجبت: «إنها امرأة».

هز رأسه مرة أخرى.

قال: «إنها ليست سوى نصف امرأة. ليس لديها وسيلة لتربية صغارها أو تدفئتهم. سيموت صغارها بمجرد أن يفقس البيض».

حسنًا، لم أجد سببًا للخوض في هذا الموضوع، فبقيت صامتًا. بدا الأمر مُسليًا لجاناي؛ فأنوثتها واضحة للغاية.

سألته: «ماذا تنوي أن تفعل معنا؟».

– سوف نأخذك إلى الجِد، وهو سيقرر. ربما يسمح لك بالعيش والعمل؛ وربما يدمرك. أنت قبيح جدًّا، لكنك تبدو قويًّا؛ لا بد أنك عامل جيد. أما المرأة، فتبدو عديمة الفائدة؛ إذا كان يمكن تسميتها امرأة.

كنت في حيرة ولا أعرف ما يجب أن أفعله. كان يحاصرنا ٥٠ محاربًا، بتسليح بدائي. يمكنني تدمير العديد منهم بقوتي الهائلة؛ لكني متأكد أنهم سيتمكنون مني في النهاية ويقتلونني. من الأفضل أن نذهب معهم إلى الجِد، وننتظر فرصه أفضل للهرب. قلت: «حسنًا، سنذهب معكم».

قال: «بالطبع؛ فماذا يمكنك أن تفعل غير ذلك؟».

قلت: «يمكنني أن أقاتل».

سألني: «هاااا، أترغب في القتال؟ حسنًا، إن كان الأمر كذلك، سوف يستضيفك الجِد. تعالوا معنا».

قادونا على طول النهر، ثم إلى مرتفع صغير، رأينا بعده غابة تقع عند حافتها قرية أكواخها من القش.

أشار إليها القائد قائلًا: «هذه هي جوولي، أكبر مدينة في العالم. هنا يسكن أناتوك، جِد جوولي وكل جزيرة أومبت، في قصره العظيم».

اقتربنا من القرية، وجاء بضع مئات من الناس لمقابلتنا: الرجال والنساء والأطفال. وعندما تفحصت النساء، أدركت لماذا كان قائد المجموعة التي أمسكت بنا يعتقد أن جاناي ليست أنثى كلية. وجدت سكان جزيرة أومبت جرابيين، والنساء جرابيات تبيض. تضع الإناث البيض في حقيبة بالجزء السفلي من بطونهن. ويفقس البيض في هذه الحقيبة، ويعيش فيها الصغار ويتخذونها مأوى إلى أن يتمكنوا من إعالة أنفسهم. كان مثيرًا أن نرى رؤوسًا صغيرة تبرز من حقائب أمهاتهم، وينظرون نحونا بأعين متسائلة. كنت أعتقد أن نوعًا جرابيًّا واحدًا فقط يوجد في برسوم، وهو من الزواحف؛ لذلك كان لافتًا للنظر أن أرى هؤلاء الناس الذين يبدون كالبشر ويحملون صغارهم في حقائب بالبطن.

تعاملت معنا المخلوقات التي خرجت من القرية لمقابلتنا بخشونة

شديدة، حيث كانوا يجذبوننا ويسحبوننا في محاولة لتفحصنا عن قرب. كنت أطول منهم جميعًا، وكانوا خائفين مني بعض الشيء، لكن تعاملهم مع جاناي كان سيئًا للغاية؛ فتدخلت ودفعت العديد منهم بعيدًا بقوة إلى حد سقوطهم على الأرض، وعندئذ سحب اثنان أو ثلاثة منهم سيوفهم متوجهين نحوي، لكن المجموعة التي أمسكت بنا تصرفت كحراس شخصيين لنا ودافعت عنا ضد الهجوم. أبعدوا الغوغاء عنا واقتادونا داخل القرية، إلى كوخ من الأعشاب أكبر كثيرًا من الأكواخ الأخرى. ولذا افترضت أنه القصر الرائع للجِد أناتوك. وقد اتضح أنه قصره بالفعل، حيث خرج الجِد نفسه من الكوخ ومعه العديد من الرجال والنساء وحشد من الأطفال. كانت النساء زوجاته وخدمهن؛ وكان الرجال مستشاريه.

بدا أناتوك شديد الاهتمام بنا، وطرح علينا أسئلة كثيرة حول القبض علينا، ثم سألنا من أين جئنا.

قلت: «جئنا من موربوس، ونحن في طريقنا إلى هيليوم».

قال: «موربوس... هيليوم. لم أسمع بهما أبدًا. لا بد أنها قرى صغيرة يسكنها الهمج. كم نحن محظوظون للعيش في مدينة رائعة مثل جوولي. أليس كذلك؟».

أجبت بصدق: «أعتقد أنك أكثر سعادة بكثير في جوولي من موربوس، وأكثر راحة بكثير من هيليوم».

واصلت قائلًا: «بلادنا لم تضرك أبدًا. ونحن لسنا في حالة حرب. لذلك عليك أن تدعنا نمضي في طريقنا بسلام».

وعندئذ ضحك، وصاح: «يا لبساطة الناس الذين يأتون من القرى الأخرى! أنتم عبيدي. وعندما تنتهي خدمتكم، سأدمركم. هل تعتقدون أننا نريد أن يغادر الغرباء أومبت، ثم يقودون الأعداء إلى هنا لتدمير مدينتنا الرائعة وسرقة ثرواتنا الشاسعة؟».

قلت: «شعبنا لن يزعجك أبدًا. وبلدنا بعيد جدًّا عن هنا. وإذا أراد أحد أفراد قومك أن يأتي إلى بلدنا، سوف نعامله بلطف. نحن لا نقاتل سوى أعدائنا».

فقال قائد المجموعة التي أمسكت بنا: «هذا يُذَكِّرُني بأن هذا الزميل هو في الواقع عدونا بحكم كلماته، فقد قال إنه يرغب في قتالنا».

صاح أناتوك: «ماذا! حسنًا؛ إذا كان الأمر كذلك، سنحقق له رغبته. لا نحب شيئًا أكثر من القتال الجيد. بأي أسلحة تود أن تقاتل؟».

أجبت: «سأقاتل بأي شيء يختاره خصمي».

❊ ❊ ❊

الفصل (٢١)

مبارزة حتى الموت

سرعان ما ظهر أن القتال الشخصي يمثل أهمية كبيرة بالنسبة لأهالي الجُزر. دخل الرئيس ومستشاروه في مناقشة مطولة لاختيار خصم لي. ناقشوا صفات عدد من المحاربين، بل قاموا أيضًا بتقييم ومقارنة أسلاف هؤلاء المحاربين لما يعود إلى الجيل الخامس والسادس. ربما كانت مسألة بالغة الأهمية بالنسبة إلى الدولة، فقد كانوا يتحدثون بجدية شديدة. وكثيرًا ما قُوطع اجتماعهم باقتراحات وتعليقات من أعضاء القبيلة الآخرين؛ لكنهم اختاروا أخيرًا شابًّا قويًّا. ولشعور الشاب بالأهمية التي ترتبط به الآن، شرع في خطاب طويل وطنّان يسرد فيه فضائله وفضائل أسلافه العديدة، بينما يستخف بي ويتفاخر بأنه سينجز عمله معي في فترة قصيرة. واختتم أخيرًا خطابه العدواني باختيار السيوف كأسلحة في قتالنا. ثم سألني أناتوك إذا كان لديَّ أي شيء لأقوله. يبدو أن إلقاء خطاب كان جزءًا من الحفل الذي يسبق المبارزة.

أجبت: «لديَّ سؤال فقط».

سألني أناتوك: «وما هو؟».

سألته: «ما مكافأتي إذا هزمت محاربك؟».

ارتبك أناتوك للحظات، ثم قال: «لم تتبادر إلى ذهني هذه النتيجة؛ لكن الأمر لا يمثل أهمية، بطبيعة الحال؛ لأنك لن تفوز».

قلت بإصرار: «ولكن قد يحدث ذلك. وإذا حدث، ما مكافأتي؟ هل تمنحنا حريتنا أنا ورفيقتي؟».

ضحك أناتوك، وقال: «بالتأكيد. يمكنني أن أعدك مطمئنًا بأي شيء تطلبه؛ لأنك ستكون ميتًا بعد انتهاء القتال».

أجبت: «جيد جدًّا؛ ولكن، لا تنسَ وعدك».

سألني أناتوك: «هل هذا كل ما تريد قوله؟ ألن تخبرنا عن مدى مهارتك، وعدد الرجال الذين قتلتهم، وكيف أنك مقاتل رائع؟ أم أنك لست مقاتلًا جيدًا؟».

أجبت: «هذا هو الشيء الذي لا يقرره سوى السيف. لقد تفاخر خصمي كثيرًا، وقد يستمر في التفاخر إلى أجل غير مسمى دون أن يتمكن من إسقاط قطرة من دمي أو إلحاق الأذى بي بأي شكل من الأشكال. إنه حتى لم يُخفني؛ لأني سمعت رجالًا يتباهون من قبل؛ وأولئك الذين يتفاخرون بأعلى الأصوات، لديهم عادة أقل ما يمكنهم للتباهي به».

قال أناتوك: «من الواضح أنك لا تعرف شيئًا عن محاربي جوولي. نحن أشجع شعب في العالم، ومحاربونا هم أعظم المبارزين. وبسبب

هذه الصفات، نحن أقوى أمة في العالم، وهو ما يتجلى واضحًا في حقيقة أننا بنينا هذه المدينة الرائعة وحميناها لأجيال، ونجحنا خلال كل تلك الفترة في حماية كنوزنا الهائلة».

نظرت حولي في القرية الصغيرة المتواضعة، المبنية من أكواخ عشبية، وتساءلت عن مكان إخفاء كنوز أناتوك الهائلة، ومم تتكون. ربما كان مخزنًا شاسعًا من الأحجار النادرة والمعادن الثمينة.

قلت: «لا أرى أي دليل على وجود ثروة أو كنوز كبيرة. ربما أنت تتباهى أيضًا».

وعندئذ غضب أناتوك وقال: «أتجرؤ على التشكك في كلامي، أيها الوحشي البشع؟»، ثم صاح: «ماذا تعرف من الثروة أو الكنوز؟ ربما لم تقع عيناك أبدًا على أي شيء يمكن مقارنته بثروات جوولي».

صاح محارب: «أره الكنز قبل أن يموت. وسيدرك عندئذ لماذا نحن شعب شجاع ومُحب للحرب من أجل حماية ثروتنا والاحتفاظ بها».

قال أناتوك: «هذه ليست فكرة سيئة. فليشهد بعينيه أننا شعب جوولي لا نتباهى بثروتنا، كما سيعرف أيضًا بالتجربة أننا لا نتباهى بشجاعتنا ومهارتنا في المبارزة. تعال، أيها الزميل، يجب أن ترى الكنوز».

قاد الطريق إلى داخل قصره. سرت خلفه وحولي عشرات المحاربين يضغطون. كان الكوخ العشبي فارغًا من الداخل، باستثناء بقايا أعشاب ميتة حول الجدران يبدو أنها الأسرّة التي ينامون عليها،

وبعض الأسلحة، وعدد قليل من أواني الطبخ البدائية، وصندوق كبير في وسط المبنى تحديدًا. قادني أناتوك إلى هذا الصندوق، وبتفاخر كبير رفع غطاءه ليعرض محتوياته، وهو يقول: «ليس لديك شيء أكثر في العالم الآن لتراه؛ لقد رأيت كل شيء».

أضاف: «هنا ثروات جوولي».

كان حوالي ثلاثة أرباع الصندوق مملوءًا بالأصداف البحرية. راقبني أناتوك والآخرون عن كثب لمشاهدة ردة فعلي.

سألته: «أين الكنز؟ هذه ليست سوى أصداف».

ارتجف أناتوك بغضب مكبوت، وصاح: «يا لك من متوحش مسكين جاهل. كان يجب أن أعرف أنك لن تستطيع تقدير قيمة وجمال كنز جوولي. هيا إلى القتال؛ سيصبح العالم أفضل حالًا كلما كان تدميرك أسرع. لا يمكننا، نحن شعب جوولي، أن نتحمل الجهل والغباء؛ فنحن أذكى شعوب العالم وأكثرها حكمة».

قلت: «هيا، كلما أسرعنا في الانتهاء من هذه المسألة، كان أفضل».

اتضح أن التحضير للمبارزة كان مسألة احتفالية تمامًا. تشكل موكب، على رأسه أناتوك ومستشاريه. يليهم خصمي، وسار وراءه حرس شرف يضم حوالي عشرة محاربين. وجئت أنا خلفهم؛ وكان يمكن أن أسير وحدي لكني أخذت جاناي معي، ولم يعترضوا على ذلك. وسار خلفنا باقي أفراد القبيلة، بما فيهم المحاربون والنساء والأطفال. لم يكن موكبًا عاديًّا، حيث كان مجرد موكب وبلا جمهور.

سرنا حول القصر مرة واحدة، ثم توجهنا إلى الشارع الرئيس، وخرجنا من القرية. شكَّل القرويون دائرة، وقفت في وسطها، وكذا وقف خصمي ومجموعته من حرس الشرف. وبكلمة من أناتوك سحبت سيفي؛ وفعل خصمي والمحاربون العشرة نفس الشيء؛ ثم تقدمنا نحو بعضنا.

التفتُّ إلى أناتوك، وسألته: «ماذا يفعل هؤلاء المحاربون الآخرون؟».

أجاب: «إنهم مساعدو زوكي».

سألته: «وهل من المفترض أن أقاتلهم جميعًا؟».

أجاب أناتوك: «أووه، كلا. سوف تقاتل زوكي، وسوف يقدم له معاونوه يد المساعدة إذا وقع في ورطة».

– هذا يعني أنني سوف أقاتل –في واقع الأمر– أحد عشر رجلًا.

صاح أناتوك: «قاتِل يا جبان! نريد أن نشهد قتالًا جيدًا».

التفتُّ ثانية نحو زوكي ومعاونيه. كانوا يتقدمون نحوي ببطء شديد؛ وكانوا يصنعون أشكالًا بوجوههم كما لو كانوا يحاولون إخافتي. أدهشني الموقف كله وكان مثيرًا للسخرية، بحيث لم أتمكن من الامتناع عن الضحك؛ على أنني أعرف مدى خطورته؛ لأن احتمالات أحد عشر إلى واحد كانت ضدي بشدة، على الرغم من أن مستوى الأحد عشر مساعدًا في المبارزة قد يكون متدنيًا.

كان وجهي في حد ذاته بشعًا للغاية، ولويت قسماته فجأة في تكشيرة رهيبة، وقفزت نحوهم وأنا أطلق صيحة عاصفة. كان رد الفعل

مدهشًا؛ حيث كان زوكي أول مَن استدار وهرب، واصطدم بزملائه الذين حاولوا بدورهم الهروب من هجومي. لم أسعَ خلفهم؛ وعندما رأوا ذلك، توقفوا وواجهوني مره أخرى.

سألتُ أناتوك: «هل هذا مثال على الشجاعة التي تتفاخرون بها في جوولي؟».

أجاب أناتوك: «لقد شهدت للتو طريقة استراتيجية جيدة؛ لكن جهلك الشديد يجعلك لا تستطيع تقديرها».

تحركوا نحوي ثانية، وببطء شديد أيضًا؛ وكانوا يطلقون هذه المرة نوعًا من صيحات الحرب، إلى جانب صناعة أشكال بوجوههم.

كنت على وشك الهجوم مره أخرى، عندما صرخت امرأة وهي تشير إلى الوادي. استدرتُ مع الآخرين لرؤية ما جذب انتباهها، وشاهدت نصف دزينة من الهمج مثل الذين هاجموا قاربنا عندما كنت مع جان هاد وتون جان نسعى وراء سايتور وجاناي. ارتفع عويل هائل من القرويين عند رؤيتهم. ركض النساء والأطفال والجميع، ما عدا حفنة من المحاربين، إلى الغابة. لم أستطع أن أحدد ما إذا كان مَن بقوا قد شلّهم الخوف فأصبحوا غير قادرين على الركض، أم أصابتهم نوبة مفاجئة من الشجاعة. لم يكن زوكي، خصمي، من بينهم، بل كان هو وأناتوك يتسابقان نحو الغابة قبل كل الآخرين.

سألت المحارب الذي يقف بالقرب مني: «مَن هؤلاء؟».

أجاب: «إنهم من أكلة لحوم البشر. بعد آخر غارة لهم، اختارونا

لنكون القربان عندما يتطلب الأمر مجيئهم ثانية».

سألته: «ماذا تعني بقولك 'القربان'؟».

أجاب: «نعم، إنه قربان. إذا لم نسلمهم طوعًا خمسة محاربين عند مجيئهم، فسوف يهاجمون القرية ويحرقونها، ويأخذون كنزنا، ويسرقون نساءنا، ويقتلون أكبر عدد ممكن يجدونه من رجالنا. الأمر أبسط بهذه الطريقة، لكنه صعب على المُختارين. ومع ذلك، ليس لدينا بديل سوى الطاعة، وإلا ستعذبنا القبيلة حتى الموت».

سألته: «ولكن لماذا نستسلم لهم؟ إنهم ستة أفراد فقط، ونحن ستة؛ دعونا نقاتلهم. فرصتنا للفوز مثل فرصتهم».

تطلعوا نحوي في دهشة. قالوا: «لكننا لا نحارب أحدًا أبدًا، ما لم نكن متفوقين عدديًّا: عشرة إلى واحد. وإلا لن تكون استراتيجية جيدة».

قلت آمرًا: «عليكم نسيان استراتيجيتكم، والوقوف معي ضد هؤلاء الرجال».

سأل أحدهم شخصًا آخر: «هل تفترض أن بإمكاننا القيام بذلك؟».

وكان الرد: «لم يحدث هذا من قبل».

قاطعت قائلًا: «هذا ليس سببًا يمنع حدوثه الآن. إذا ساعدتموني ولو قليلًا، يمكننا قتلهم جميعًا».

قالت جاناي: «أعطني سيفًا، سوف أساعد أنا أيضًا».

قال أحد محاربي جوولي: «فلنحاول ذلك».

وقال آخر: «ولِمَ لا؟ سنموت على أي حال».

أصبح الهمج الآن على مسافة قريبة منا. كانوا يضحكون ويتحدثون معًا، وينظرون بازدراء إلى الجووليين. قال أحدهم: «هيا، ألق سلاحك وتعال معنا».

وكإجابة، قفزت إلى الأمام وبضربة واحدة شققت أحدهم من أعلى رأسه إلى عظام صدره. تقدم الجووليون الخمسة ببطء. لم يكن لديهم قدرة على تحمل القتال، لكنهم تشجعوا عندما رأوا نجاح ضربتي الأولى؛ وبالمثل فُوجئ الهمج. لم أتوقف، بل اندفعت نحو باقي الهمج. واجهت منافسة قليلة؛ لكن امتداد يدي الطويلة وقوتي الهائلة أعطياني ميزة لم يتمكنوا من التغلب عليها. وأسفرت النتيجة عن سرعة سقوط ثلاثة منهم، وهروب الثلاثة الآخرون بأسرع ما يمكن.

عندما رأى الجووليون العدو يتراجع -وهو الشيء الذي ربما لم يروه في حياتهم من قبل- تملكتهم الشجاعة وشرعوا في مطاردة خصومهم. كان يمكنهم إدراكهم بسهولة؛ لأنهم يتحركون بقفزات كبيرة تنقلهم كل قفزة عشرين قدمًا؛ لكنهم تركوهم يهربون عند حافة الهضبة؛ ثم عادوا قافزين، وصدورهم منتفخة، ويشع الرضى الذاتي والغرور من تعبيرات وجوههم.

من الواضح أن بعض المختبئين في الغابة رأوا المشهد، حيث أتت القبيلة بأكملها الآن نحونا بتثاقل. بدا الخزي قليلًا على وجه أناتوك، لكن كلماته الأولى أخفت تعبيره. قال: «رأيت قيمة استراتيجيتنا. يبدو أننا نهرب خائفين، فنجذبهم ثم ندمرهم».

قلت: «أنت لا تخدعني ولا تخدع نفسك. أنتم عِرق متفاخر جبان. لقد أنقذت الرجال الخمسة الذين كنتم ستتخلون عنهم كقربان، دون بذل أي مجهود للدفاع عنهم. لقد سمحت لستة من الهمج بالإملاء عليك أنت وكل محاربيك. يمكنني أن أقتلكم جميعًا بمفردي، وأنت تعرف ذلك. وأطالبك الآن بمكافأتي على ما قمت به، بالسماح لي ولرفيقتي بالبقاء هنا في أمان إلى أن نتمكن من التخطيط لمواصلة رحلتنا. وإذا رفضت، ستكون أول مَن يشعر بحافة سيفي».

قال وهو يرتجف: «لا تهددني. كان في نيتي أن أعطيك حريتك كمكافأة على ما قمت به. وأنت حر في البقاء معنا، والذهاب والمجيء كما تريد. يمكنك أن تبقى أي فترة تريدها، إذا كنت ستقاتل ضد أعدائنا عندما يأتون».

* * *

الفصل (٢٢)

التوجه إلى فوندال

ذهبت في اليوم التالي مع جاناي لنرى ما إذا كان المالاجور قد تعافى، لكننا لم نجد له أي أثر. ولذا افترضت أنه إما طار بعيدًا وإما استولى عليه الهمج، الذين قال لي أناتوك إنهم يأتون من جزيرة أخرى بعيدة عن جوولي.

بدأت العمل على الفور لبناء قارب، وساعدني الجووليين قليلًا على الرغم من أنهم كُسالى للغاية ويتعبون بسرعة. كانوا بلا شك أكثر عِرق عديم الفائدة رأيته من قبل، ويبذلون كل طاقاتهم عمليًّا في التفاخر، ولا ينجزون إلا قليلًا، أو لا شيء على الإطلاق. فبعد ساعات قليلة من المواجهة مع الهمج، بدأوا يتفاخرون بانتصارهم العظيم ويمنحون الفضل كله لأنفسهم، ويزعم أناتوك أن معظم هذا النصر يعود إلى استراتيجيته الرائعة، كما وصفها. هناك شعوب كثيرة في العالم مثل الجووليين، وإنما لن يعثر أحد على بعضهم.

أصبحت علاقتي حميمة مع زوكي في الأسابيع التي تلت، خلال بناء القارب. وجدت ذكاءه أعلى من المتوسط، ويتمتع بحس بدائي من

الفكاهة يفتقده تمامًا الجوولیون الآخرون. سألته في أحد الأيام لماذا يعتبرون الأصداف كنزًا ثمينًا.

أجاب: «يجب أن يوجد كنز لدى أناتوك ليعطيه شعورًا بالتفوق؛ وأن الوضع كان مماثلًا مع الحُكّام الذين سبقوه، بل ومع كل واحد منا في واقع الأمر. وجود كنز يجعلنا نشعر بأهمية كبيرة؛ لكننا شعب يتوخى الحذر، ولذا اخترنا الكنز الذي لا يريده أحد آخر، وإلا ستأتي الشعوب المحبة للحرب باستمرار لسرقة كنزنا. أشعر أحيانًا أنها مسألة سخيفة بعض الشيء، لكنني لن أجرؤ على قول ذلك لأناتوك أو للآخرين. فقد ظلوا طوال حياتهم يسمعون عن القيمة الكبيرة لكنز جوولي الهائل، وهكذا أصبحوا يؤمنون به، ولا يتشككون؛ لأنهم لا يرغبون في التشكيك فيه».

سألته: «وهل يشعرون بنفس الطريقة تجاه شجاعتهم التي يتفاخرون بها، وتجاه استراتيجية أناتوك؟».

أجاب زوكي: «أووه، هذا شيء مختلف؛ فهذه الأشياء حقيقية. نحن حقًّا أشجع شعب في العالم، وأناتوك أعظم الاستراتيجيين».

حسنًا، لقد تجاوز حسه الفكاهي الحدود بالتشكيك في الكنز؛ لكنه لا يمكن أن يصمد أمام التشكيك في بسالة الجوولیين أو استراتيجية أناتوك. ربما كان الجوولیون أفضل حالًا هكذا؛ لأن غرورهم السخيف يمنحهم روحًا معنوية كانوا ليفتقرون إليها كليًّا لو اعترفوا بالحقيقة.

ساعدتني جاناي في بناء القارب، وهكذا أمضينا وقتًا كثيرًا معًا؛ لكني كنت دائم الشعور بأنني أثير اشمئزازها. لم تلمسني أبدًا، ما دام بإمكانها تجنب ذلك؛ كما لم تنظر في كثير من الأحيان في وجهي

مباشرة، ولا يمكنني أن ألومها؛ على أنني كنت على يقين أنها أصبحت مولعة بي، كشخص يصبح مولعًا بكلب قبيح لكنه مخلص. وهو ما جعلني أتمنى حقًّا أن أكون كلبًا، على الأقل لتداعبني؛ لكنني كنت أقبح كثيرًا من أي كالوت مريخي، بحيث كنت أثير اشمئزازها دائمًا بغض النظر عن مدى شعورها باللطف تجاهي.

جعلتني هذه الأفكار أتساءل عن جسدي المسكين. هل لا يزال في مخبئه بأمان في الزنزانة ٣-١٧، أم أن الباب انفتح وتمكنت الكتلة البشعة التي خرجت من غرفة الأحواض رقم ٤ من اجتياح الزنزانة والتهمته؟ هل سأراه ثانية؟ هل سأمتلكه ثانية وأتمكن من تحريكه بمخي هذا الذي ظل موجودًا من أجل جاناي فقط دون أن تدرك هي ذلك أبدًا؟ شعرت باليأس. والآن، بعد أن فقدنا المالاجور، يبدو النجاح في الرحلة إلى هيليوم أقل قليلًا من الاستحالة.

انتهينا أخيرًا من بناء القارب، وساعدني الجووليون على حمله إلى البحيرة. وقد زودوه بالمؤن، وأعطوني رماحًا إضافية، وأعطوا جاناي سيفًا وخنجرًا.

لقد تفاخروا ببناء القارب، وأخبرونا أنه أفضل قارب بُني على الإطلاق، ولم يكن يمكن لأحد أن يبنيه سوى الجووليين. وتفاخروا بالأسلحة التي أعطوها لنا، وبالمؤن. تركناهم وهم لا يزالون يفتخرون، وشرعنا نحو الغرب في رحلتنا المحفوفة بالمخاطر، خلال المستنقعات التونولية الكبرى.

الفصل (٢٣)

أسرى في أمهور

تضم المستنقعات الكبرى مساحات شاسعة غير صالحة لسُكنى البشر. وقد مررنا لمدة أسبوع خلال أراض قفر كئيبة يتعذر حتى على السكان الأصليين المتوحشين العيش فيها. كما واجهنا تهديدات أخرى على شكل زواحف كبيرة، فضلًا عن حشرات عملاقة يتسم بعضها بأبعاد هائلة ويزيد طول جناحها المفرود على أكثر من ثلاثين قدمًا. يمكن بسهولة أن تبيدنا هذه الوحوش؛ حيث إنها مزودة بفكين قويين أو إبر حادة كالسيف، وأحيانًا بكليهما؛ لكننا لحسن الحظ لم نتعرض أبدًا لهجومها. وكانت الزواحف الأصغر في المستنقعات بمثابة فرائسها الطبيعية، وقد شهدنا العديد من المواجهات التي تنتهي دائمًا بانتصار الحشرات.

وفي أحد الأيام، بعد أسبوع من مغادرتنا جوولي، كنا نجدف عبر واحدة من البحيرات العديدة التي تنتشر في المستنقعات، عندما

شاهدنا فوق الأفق أمامنا سفينة حربية كبيرة تتحرك بانخفاض وببطء في اتجاهنا. قفز قلبي فرحًا على الفور.

صحت: «جون كارتر! لقد جاء أخيرًا. لقد أُنقِذتِ يا جاناي».

قالت: «وسيكون معه راس ثافاس، ويمكننا العودة إلى موربوس واستعادة جسم فور داج».

قلت: «وسوف يعيش ثانية، ويتحرك، ويحب»؛ وكنت مأخوذًا بالراحة والسعادة التي ولَّدها هذا التوقع.

سألتني: «ولكن، لنفترض أنه ليس جون كارتر؟».

– يجب أن يكون جون كارتر، يا جاناي، فلماذا يطير إنسان متحضر آخر فوق هذه الأراضي القفر البشعة؟

أوقفنا التجديف، وشاهدنا السفينة الكبيرة تقترب. كانت تطير بانخفاض شديد، تبعُد بالكاد مئات الأقدام فوق الأرض وتتحرك ببطء شديد. وعندما زاد اقترابها، وقفت في الزورق ولوحت جذبًا للانتباه، على الرغم من معرفتي أنهم لا يمكن إلا أن يرونا؛ لأنهم كانوا يتجهون نحونا مباشرة.

لم تكن السفينة تحمل أي شارة تعلن عن جنسيتها، لكن هذة مسألة عادية في الأساطيل البحرية المريخية عندما تدخل سفينة منفردة إلى بلد عدو محتمل.

كما كانت خطوط السفينة أيضًا غير مألوفة تمامًا بالنسبة لي؛ ولذا لم أتمكن من تحديد هويتها. يبدو أنها إحدى السفن عتيقة الطراز، التي

لا يزال العديد منها يعمل على حدود هيليوم. لم أفهم لماذا اختار جون كارتر مثل هذه السفينة، وفضّلها على أنواع السفن الجديدة السريعة. لكني كنت أعرف أن هناك بالتأكيد سببًا وجيهًا لهذا الاختيار.

زاد انخفاض السفينة مع اقترابها؛ ولذا تأكدت من أنهم شاهدونا. وتوقفت أخيرًا فوقنا مباشرة. ألقوا إلينا بأحبال من خلال كوة في عارضة السفينة، وسرعان ما ربطتها بجسم جاناي لتصعد بشكل مريح إلى السفينة. وفي غضون ذلك، ألقوا بحبل آخر لي؛ وسرعان ما رفعونا إلى السفينة.

وبمجرد رفعنا إلى السفينة، أُتيحت لي فرصة لرؤية البحارة الذين أحاطوا بنا. وأدركت أنها ليست سفينة من هيليوم، حيث ارتدى الرجال عتاد بلد آخر.

التفتت جاناي نحوي بعينين خائفتين، وهمست: «لا جون كارتر ولا راس ثافاس على هذه السفينة. إن السفينة ليست من هيليوم، وإنما هي إحدى سفن جال هاد، أمير أمهور. وإذا اكتشفوا هويتي، لن يختلف وضعي في موربوس عن وضعي الآن».

قلت: «يجب ألا يعرفوا. أنتِ من هيليوم، تذكري ذلك». أومأت موافقة.

كان الضباط والبحارة الذين أحاطوا بنا أكثر اهتمامًا بي من جاناي، وأخذوا يعلقون صراحة على بشاعتي.

اقتادونا على الفور إلى الطابق العلوي، أمام الضابط المسؤول عن القيادة.

تطلع نحوي وجهي باشمئزاز واضح.

سألني: «مَن أنتما؟ ومن أين أتيتما؟».

أجبت: «أنا هورماد من موربوس، ورفيقتي فتاة من هيليوم، من أصدقاء جون كارتر، أمير الحرب في المريخ».

تطلع نحو جاناي طويلًا وبإمعان للحظة، ثم مست ابتسامة شريرة صغيرة شفتيه وقال: «متى غيّرتِ جنسيتك يا جاناي؟ لا تحاولي إنكار هويتكِ يا جاناي، أنا أعرفكِ. يمكنني التعرُّف على وجهكِ في أي مكان بين ملايين الوجوه؛ فصورتكِ معلقة في مقصورتي، وفي مقصورة قائد كل سفينة أمهورية. وهناك مكافأة عظيمة لمَن يعود بكِ إلى الأمير جال هاد».

قلت: «إنها تحت حماية أمير الحرب في المريخ. ومهما كانت المكافأة التي يعرضها عليك جال هاد، فإن جون كارتر سوف يعطيك أكثر إذا أعدت جاناي إلى هيليوم».

«مَن هذا الشيء؟»، سأل القائد جاناي وهو يومئ برأسه نحوي، «ألست سجينته؟».

أجابت: «كلا. إنه صديقي. لقد خاطر بحياته عده مرات لينقذني، وكان يحاول إعادتي إلى هيليوم عندما ألقيتم القبض علينا. أرجوك لا تَعُدْ بي إلى أمهور. وأنا على يقين من أن جون كارتر سيدفع لك جيدًا إذا أخذتنا إلى هيليوم، ما دام تور-دور-بار يقول ذلك».

قال القائد: «ويقوم جال هاد بتعذيبي حتى الموت عندما أعود

إلى أمهور؟ لا يا سيدي! سنعود إلى أمهور؛ وربما أحصل على مكافأة إضافية عندما أُسلم هذا المسخ إلى جال هاد؛ لأنه سيكون إضافة قيمة لمقتنياته، ويقدم تسلية وترفيهًا إلى حد كبير لمواطني أمهور. إذا أحسنتِ التصرف يا جاناي، سيعاملكِ جاد هاد جيدًا. لا تكوني حمقاء كما كنتِ في السابق؛ فليس سيئًا على الإطلاق أن تصبحي أميرة أمهور».

قالت الفتاة: «يسعدني ذلك مثلما يسعدني الزواج من آي-ماد؛ لكني سأموت قبل ذلك».

هز القائد كتفيه، وقال: «هذا شأنكِ الخاص. لديكِ متسع من الوقت للتفكير في الأمر قبل أن نصل إلى أمهور، وأنصحكِ بالتفكير فيه جيدًا وتغيير رأيكِ». ثم أعطى تعليمات بتخصيص مكان لنا، ومراقبتنا بعناية، وعدم حبسنا إذا أحسنّا التصرف.

خلال اقتيادنا نحو درج يؤدي إلى الطابق الأدنى في السفينة، رأيت رجلًا أسرع فجأة عبر سطح السفينة وقفز منها. وقد فعل ذلك بسرعة مذهلة بحيث لم يتمكن أحد من اعتراضه. وعلى الرغم من أن القائد رأى المشهد، لم يبذل أي جهد لإنقاذه، واستمرت السفينة في طريقها.

سألت الضابط المرافق لنا عن هذا هوية هذا الرجل وأسباب قفزه من سطح السفينة.

أوضح الضابط قائلًا: «كان سجينًا، ويفضل الموت على العبودية في أمهور».

كنا لا نزال نطير بانخفاض فوق سطح البحيرة. وقال أحد البحارة،

الذين ركضوا نحو الدرابزين عندما قفز الرجل من السفينة: «إن السجين يسبح نحو زورقنا المهجور».

وقال الضابط، ونحن ننزل متوجهين إلى كبائننا: «لن يتمكن من البقاء طويلًا في المستنقعات الكبرى».

خصصوا لجاناي أفضل كابينة على السفينة؛ لأنهم توقعوا أنها ستصبح أميرة أمهور، وأرادوا معاملتها بشكل جيد والاعتناء بها. أراحني أن أعرف أنها ستحظى بكل رعاية واعتبار، على الأقل حتى نصل إلى أمهور.

اقتادوني إلى كابينة صغيرة تسع شخصين، وبالفعل كان يشغلها رجل آخر. كان ظهره نحوي عندما دخلت، حيث كان ينظر من الكوة. أغلق الضابط الباب خلفي وغادر. أصبحت بمفردي مع رفيقي الجديد. وعندما انغلق الباب، التفت وواجهني؛ وأعرب كل منا عن دهشته. كان شريكي في السكن هو تون جان. وظهر عليه الخوف قليلًا عندما تعّرف عليَّ، فلا بد أن ضميره كان يؤنبه بسبب تخليه عني.

قلت: «إنه أنت إذَنْ؟».

أجاب: «نعم، وأفترض أنك تريد أن تقتلني الآن. ولكن لا تلمني كثيرًا. ناقشنا الأمر، أنا وباندار، ولم نكن نرغب في التخلي عنك. لكننا كنا نعرف أننا سنموت جميعًا إذا عدنا إلى موربوس، في حين كانت لدينا فرصة للهرب باستخدام الزورق».

قلت: «أنا لا ألومك. ربما كنت لأفعل نفس الشيء في ظروف

مماثلة. وقد اتضح أن هروبكما كان أفضل بالنسبة لي؛ لأنني بسببه تمكنت من الوصول إلى موربوس في بضع ساعات وأنقذت جاناي عند وصولها مع المجموعة التي كانت قد ألقت القبض عليها. ولكن، كيف حدث أن توجد على متن هذه السفينة؟».

– لقد أُلقي القبض علينا، أنا وباندار، منذ حوالي أسبوع؛ وربما كان هذا جيدًا؛ لأن أهالي المنطقة كانوا يطاردوننا وأخافتهم هذه السفينة عند هبوطها، وأبعدتهم، وإلا كانوا أمسكوا بنا وقتلونا دون شك. كنت سعيدًا لصعودي على متن السفينة، لكن باندار لم يكن سعيدًا. وقال إنه لا يريد الذهاب إلى أمهور، ثم المعاناة من العبودية. كل ما كان يعيش من أجله هو العودة إلى فوندال.

سألته: «وأين باندار الآن؟».

– لقد قفز من السفينة؛ وكنت أراقبه عندما دخلت أنت. رأيته يسبح إلى الزورق، وأعتقد أنه الزورق الذي أخذوك منه، ويجدف الآن في طريقه إلى فوندال.

قلت: «آمل أن يصل إليها».

تنبأ تون جان: «لن يصل. فلا أعتقد أن أي رجل يمكنه العبور بمفرده خلال أهوال هذا المستنقع الجهنمي».

قلت لتذكيره: «لقد قطعت أنت شوطًا طويلًا بالفعل».

– نعم، ولكن مَن يدري ماذا يكمن في المستقبل؟

سألته: «وأنت، ألا تكره الذهاب إلى أمهور؟».

سألني بدوره: «لماذا أكره الذهاب إليها؟ إنهم يعتقدون أنني جانتون جور، قاتل أمهور؛ ويعاملونني باحترام كبير».

صحت: «رائع! فقد نسيت أنك تسكن جسم جانتون جور. هل تعتقد أن بإمكانك التعامل على هذا الأساس والاستمرار في خداعهم؟».

أجاب: «أعتقد أنني أستطيع. مخي ليس غبيًّا مثل معظم الهورماد. وقد أخبرتهم أنني تعرضت لإصابة في رأسي جعلتني أنسى قدرًا كبيرًا من حياتي الماضية؛ وهم لا يشكون في صحة كلامي حتى الآن».

قلت: «لن يتشككوا أبدًا؛ لأنهم لا يستطيعون تصور وضع مخ مخلوق آخر في جمجمة جانتون جور».

قال: «لن يعرفوا إذا لم تخبرهم أنت؛ لأنني بالتأكيد لن أخبرهم؛ ولذا تذكر أرجوك أن تناديني باسمي الجديد. لماذا تبتسم؟».

– الوضع مُسلٍّ للغاية. لا أحد منا هو نفسه. لديَّ جسمك، ولديك جسم رجل آخر.

سألني: «ولكن مَن أنت؟ لمَن المخ الذي في جسمي؟ تساءلت كثيرًا عن ذلك».

أجبت: «استمر في تساؤلك؛ فقد لا تعرف أبدًا».

تطلع في وجهي للحظات، ثم أشرق وجهه فجأة وقال: «أعرف الآن. يا لغبائي لأني لم أخمن من قبل».

قاطعته: «أنت لا تعرف شيئًا. وإذا كنت مكانك، لا ينبغي حتى أن أُخمن».

أومأ، ثم قال: «حسنًا، تور-دور-بار، سيكون الأمر كما تريد».

ولتغيير الموضوع سألته: «لماذا تطوف هذه السفينة من أمهور بمفردها فوق المستنقعات التونولية الكبرى؟».

- جال هاد، أمير أمهور، لديه هواية جمع الوحوش البرية. يقولون إن لديه عددًا كبيرًا منها، وهذه السفينة تبحث في المستنقعات التونولية الكبرى عن عينات جديدة».

- إذَنْ، لم يكن بحثهم عن جاناي؟

- لا. هل كانت جاناي معك عندما ألقوا القبض عليك؟ لم ألمح سوى شخصين عندما مرت سفينتنا أعلاكما.

- نعم، جاناي على متن السفينة؛ وأواجه الآن مشكله إخراجها من السفينة قبل أن نصل إلى أمهور.

قال: «حسنًا، ربما تتمكن من تحقيق ذلك. إنهم يهبطون بالسفينة من حين لآخر لاصطياد عينات جديدة، ويتسم النظام بالتراخي. وفي واقع الأمر، لا يحرسوننا على الإطلاق. وهذا هو السبب في سهولة هروب باندار».

لم تُتح لنا فرصة للهروب؛ لأن السفينة أدارت مقدمتها نحو أمهور مباشرة عندما عرف القائد أن جاناي على متنها. لم تلمس السفينة الأرض ولو لمرة واحدة، ولم تُحلق ثانية بالقرب من الأرض.

تقع أمهور على مسافة حوالي ٧٥٠ ميل، بمقاييس كوكب الأرض، شمال البقعة التي ألقوا عندها القبض علينا، وهي المسافة التي قطعتها

السفينة في حوالي سبع ساعات ونصف.

لم أر جاناي خلال تلك الفترة؛ لأنها بقيت في كابينتها.

وصلنا فوق أمهور في منتصف الليل، وظلت السفينة تطفو فوق المدينة حتى الصباح، وتحيط بها زوارق الدورية كحماية، ولحراسة حمولتها الثمينة. كان جال هاد نائمًا عندما وصلنا، ولم يجرؤ أحد على إزعاجه. ويمكنني القول من الأشياء الصغيرة التي تناهت إلى سمعي إن لديه سُمعة شريرة ويخشاه الجميع للغاية.

وصلت طائرة ملكية إلى جوارنا، عند حوالي الزود الثاني، وأخذت جاناي على متنها، وكنت عاجزًا عن منع ذلك لأنهم أخذوني من كابينة جانتون جور عند وصولنا فوق المدينة وحبسوني في كابينة أخرى كسجين. غمرني اليأس، لشعوري أن الأمر لا يقتصر الآن على أنني لن أتمكن أبدًا من استعادة جسدي، وإنما لن أرى جاناي ثانية أبدًا. لم أهتم بما حل بي، وصليت فقط طلبًا للموت.

* * *

الفصل (٢٤)

الحبس في قفص

هبطت السفينة على منصة الهبوط بعد أن أخذوا جاناي، وبعد ذلك بفترة وجيزة فُتِح باب سجني ووجدتني في مواجهة كتيبة من المحاربين بقيادة ضابط. كانوا يحملون سلاسل ثقيلة، قيدوا يديَّ بها. لم أقاوم؛ لأنني لم أعُد أهتم.

أخرجوني إلى منصة الهبوط، ثم ركبنا مصعدًا لنصل إلى الأرض. لم يكن المحاربون الذين أخذوني من السفينة قد رأوني من قبل.

لقد أثرت اهتمامهم كثيرًا، لكنهم كانوا خائفين بعض الشيء. وعندما وصلنا إلى الشارع، أثار مظهري انتباهًا كبيرًا، قبل أن يحشروني في طائرة أرضية تحركت عبر شارع واسع يؤدي إلى أرض القصر.

تُعد هذه الطائرات الأرضية وسيلة نقل خاصة، شائعة في العديد من مدن المريخ. يصل ارتفاعها إلى حوالي ١٠٠ قدم، وتبلغ أقصى سرعتها ٦٠ ميلًا في الساعة. في أمهور، تسير حركة المرور الشمالية والجنوبية على مستوى الأرض في تقاطعات؛ بينما تحلق فوقها خطوط المرور

الشرقية والغربية. وتضطر حركة المرور الشرقية والغربية إلى الارتفاع فوق حركة المرور الشمالية والجنوبية عند كل تقاطع، نظرًا لوجود مسار قصير يميل إلى الارتفاع حوالي عشرة أقدام عند كل تقاطع، وينتهي بانخفاض مفاجئ عند التقاطع. وهذ المناطق المرتفعة تُجبر جميع حركات المرور الشرقية والغربية على الارتفاع فوق التقاطعات المرورية الشمالية والجنوبية. وتسير جميع المركَبات في اتجاه واحد فقط على أي طريق، مع تناوب اتجاه التدفق بحيث يحمل نصف الطريق حركة مرور في اتجاه واحد ويحمل النصف الآخر الحركة في الاتجاه المضاد. ولا يتطلب الأمر تقليل السرعة عند المنعطفات اليسرى، وذلك من خلال وسيلة بسيطة تتمثل في الارتفاع فوق مساري حركة المرور. والنتيجة هي تدفق حركة المرور باطراد في جميع الاتجاهات بسرعة متوسطة، تصل إلى حوالي ٥٠ ميلًا في الساعة. ويتكرر وجود أماكن وقوف السيارات، حيث توجد داخل المباني على مستوى يرتفع بحوالي ٦٠ مترًا فوق الرصيف. تتواصل حركة مرور المشاة شمالًا دون انقطاع في أي من الاتجاهين على جانبي الشوارع الشمالية والجنوبية على المستوى الأرضي. وبالمثل، في الشوارع الشرقية والغربية من خلال ممرات سفلية عند تقاطعات الشوارع.

لقد تناولت مسألة التحكم في حركة المرور في إحدى المدن المريخية ببعض التفصيل، وربما كان مملًّا، بسبب ما قاله لي جون كارتر عن ازدحام وارتباك حركة المرور في مدن كوكب الأرض؛ وعلى أمل تشجيع المخترعين في كوكبكم الشقيق على تطوير طائرات أرضية

مماثلة لتلك التي يشيع استخدامها في مدن المريخ.

تغطي أرض القصر، التي كانت وجهتنا، مساحة تبلغ حوالي ٨٠ فدانًا. وتصطف قصور النبلاء على الطرق المؤدية إليه، التي توجد خلفها مباشرة أفضل مستويات المحال التجارية والفنادق. أمهور مدينة صغيرة، وهي الوحيدة في المقاطعة وتستحق لقب مدينة بجدارة؛ حيث تتكون باقي المقاطعة من قرى صغيرة تتناثر على نطاق واسع. يتمثل عمل المقاطعة الرئيس في تربية حيوانات الثوات والزيتيدار(٤٦). تُستخدم حيوانات الثوات في الركوب، بينما تُستخدم حيوانات الزيتيدار الضخمة في الجر. كما يُربون كليهما أيضًا للطعام؛ حيث تقوم أمهور بتصدير اللحوم المحفوظة والجلود وغيرها من المنتجات الثانوية، إلى دوهور وفوندال وتونول.

وأمهور هي مدينة رجال المال في البلد، والرجال المولعين بالقتال، الذين ينفقون كثيرًا ولديهم الكثير من المال. وهي، علاوة على ذلك، مدينة مثيرة للاهتمام؛ على الرغم من أن المرء لا يسعه الاستمتاع بها من داخل قفص في حديقة حيوان، حيث هبطت بالضبط بعد دقائق من دفعي خلال البوابة الخلفية لأرض القصر.

هنا، على جانبي الطريق، امتدت الأقفاص والحُفر والأوكار التي تحتوي على عينات من مجموعة واسعة من الحياة الحيوانية المريخية.

---

(٤٦) الزيتيدار: حيوان مريخي يشبه الفيل، ويُعتبر من حيوانات الجر الثقيلة حيث يُستخدمه المريخيون غالبًا في حمل الأحمال الكبيرة لمسافات شاسعة وجر المركبات الضخمة .http://barsoom.wikia.com/wiki/Zitidar – المترجمة.

كان معرضًا لحيوانات الكوكب، ولا بد أنه مفيد، وبالتأكيد ممتع ومُسلٍّ للجماهير التي تمر في الشارع يوميًّا؛ فقد كان مسموحًا للجمهور حرية دخول هذا الجزء من القصر خلال ساعات النهار.

وكان إدراج أنواع مختلفة من بشر المريخ من السمات الفريدة لهذا المعرض الحيواني الذي يحتفظ به جال هاد، أمير أمهور. ضم القفص الذي يقع على يساري رجلًا أخضر ضخم الجثة، لديه أنياب من العاج وأربع أذرع. وكان على يميني رجل أحمر من بتارث. هناك أيضًا حيوانات الثوات والزيتيدار، فضلًا عن القرود البيضاء الكبيرة في برسوم وهي وحوش شرسة مكسوة بالشَّعر وتشبه الإنسان إلى حد بعيد، وربما هي أكثر وحوش المريخ إثارة للخوف. ويوجد أيضًا بالقرب مني اثنان من حيوانات الأبت[٤٧]، وهي وحوش القطب الشمالي في أوكار[٤٨]. وهذه الوحوش الكبيرة مُغطاة بفراء أبيض ولديها ست أرجل، أربعة منها قصيرة وثقيلة وتحملها على الثلوج والجليد. ويمتد الاثنتان الأخريان إلى الأمام من الكتفين على جانبي رقبة الوحش الطويلة القوية، وتنتهي كل منهما بيد بيضاء خالية من الشَّعر يمسك بها فريسته. وقد أخبرني جون كارتر أن رأس وفم هذا الوحش تشبه نظيرتها لدى فرس النهر في كوكب الأرض، باستثناء بروز قرنين قويين، من الجانبين المسطحين

(٤٧) الأبت: مخلوق وحشي، يسكن القطب الشمالي في المريخ – http://barsoom.wikia.com/wiki/Apt – المترجمة.

(٤٨) أوكار: مملكة تضم المريخيين الصُّفر الذين يعيشون في المناطق الشمالية المتجمدة من المريخ – https://barsoom.fandom.com/wiki/Okar – المترجمة.

لعظام الفك السفلي، ينحنيان إلى أسفل قليلًا نحو الجبهة. وتمتد عيناه الضخمتان على شكل بقعتين بيضاوين كبيرتين في وسط الجزء العلوي من الجمجمة، أسفل جانبي الرأس، إلى أسفل جذور القرنين، بحيث تبرز هذه الأسلحة بالفعل من الجزء السفلي للعينين التي تتكون كل منهما من عدة آلاف من العوينات. وكل عين من هذه العوينات مزودة بجفن، بحيث يمكن لحيوان الأبت إغلاق العديد منها كما يشاء. وكان هناك أيضًا حيوانات البانث[٤٩]، والكالوت، والدارسين[٥٠]، والأورلوك[٥١]، والسيث[٥٢]، والسوراك، والأولسيو، والعديد غيرها من الوحوش والحشرات والرجال، بما في ذلك حتى رجل كلديني[٥٣] وهو واحد من رجال العنكبوت الغريبة في بانتوم. وما إن وضعوني في

---

(٤٩) البانث: حيوان مفترس شرس متعدد الأرجل، أصلع تقريبًا مثل جميع الحيوانات المريخية إلا من شعر كثيف خشن كبير كالأسد حول رقبته السميكة. جسده طويل ورشيق، ويعتمد على عشر أرجل قوية؛ وفكاه الضخمان مجهزان بعدة صفوف من أنياب طويلة تشبه الإبرة، مثله مثل حيوانات الكالوت أو الكلاب المريخية؛ وفمه يصل إلى نقطة بعيدة خلف أذنيه الصغيرتين، بينما عيناه الخضراوان هائلتان وجاحظتان وتضيفان لمسة الرعب الأخيرة إلى مظهره الفظيع – http:// barsoom.wikia.com/wiki/Banth – المترجمة.

(٥٠) دارسين: نوع من الزواحف الصغيرة على كوكب المريخ، يُغير ألوانه لتتواءم مع الخلفية، تمامًا كما تفعل الحرباء على كوكب الأرض – https://barsoom.fandom.com/wiki/Darseen – المترجمة.

(٥١) أورلوك: هو وحش شرس يشبه الفيل، يوجد على وجه الحصر تقريبًا في مناطق أقصى شمال المريخ – http://barsoom.wikia.com/wiki/Orluk – المترجمة.

(٥٢) سيث: حشرة مفترسة ضخمة موطنها منطقة كاول على المريخ، ويستخدم الرجال الحُمر في كاول أكياسها المسممة في الأسلحة – http://barsoom.wikia.com/wiki/Sith – المترجمة.

(٥٣) الكلدينيون: عِرق مريخي شديد الذكاء، يسكن في منطقة صغيرة في برسوم تُعرف باسم بانتوم وغير معروفه للعالم خارجها – https://barsoom.fandom.com/wiki/Kaldane – المترجمة.

قفصي، حتى أصبحت على الفور غنيمة المعرض. ولا بد أن أعترف أنني كنت إلى حد بعيد أبشع مخلوق في حديقة الحيوان هذه. وربما يجب أن أفتخر بهذا التميُز؛ لأنني جذبت اهتمامًا أكثر بكثير من أكثر الوحوش البشعة ترويعًا التي نجح جال هاد في جمعها.

وقفت حشود تحملق أمام قفصي، نكزني كثيرون منهم بالعصي أو ألقوا نحوي بالحصى أو بقطع من الطعام. وجاء الآن أحد الخدم ومعه لوحة، أتيحت لي فرصة قراءتها قبل أن يعلقها بالقرب من أعلى قفصي لإفادة الجمهور عني: هورماد من موربوس، وحش شبيه بالإنسان أمكن العثور عليه في المستنقعات التونولية الكبرى.

وبعد ساعتين تقريبًا من وجودي في قفصي، دخلت كتيبة من حرس القصر إلى الشارع وطردت جميع المتفرجين من حديقة الحيوان. وسمعت بعد بضع دقائق أصوات أبواق تأتي من أقصى نهاية الشارع. نظرت، ورأيت عددًا من الرجال والنساء يقتربون.

سألت الرجل الأحمر في القفص المجاور: «ماذا الآن؟».

تطلع نحوي الزميل كما لو أنه فُوجئ بقدرتي على الكلام، وقال: «سيأتي جال هاد ليراك. وسيفخر بك جدًّا؛ فلا يوجد شيء آخر مثلك في العالم».

قلت: «قد يعرف بمرور الوقت أن الأمر ليس كذلك، وعندئذ قد يأسف لأن هناك الملايين مثلي ويخطط زعماؤهم لاجتياح برسوم كلها والاستيلاء عليها».

ضحك الرجل الأحمر على ذلك، لكنه لم يكن ليضحك لو كان يعرف ما أعرفه.

كانت المجموعة الملكية تقترب، ويسير جال هاد أمام الآخرين بعدة خطوات. كان بدينًا، يتسم فمه بالوحشية وتتسم عيناه بالمراوغة. جاء وتوقف أمام قفصي. اقترب الآخرون وتوقفوا وراءه، ورأيت أن جاناي كانت واحدة منهم. تطلعت نحوي، ورأيت الدموع تتشكل في عينيها. قال جال هاد، بعد أن ظل يتفحصني للحظات: «رائع. أراهن أنه لا توجد عينة أخرى مثله في أي مكان في العالم». ثم التفت نحو مرافقيه، وسألهم: «ما رأيكم فيه؟».

«إنه مدهش»، أجابوا جميعًا – في تناغم تام عمليًّا – ما عدا جاناي؛ فقد بقيت صامتة.

ركز جال هاد نظرته على جاناي، وسألها: «ما رأيكِ فيه يا حبيبتي؟».

أجابت: «أفكر فيه كثيرًا. تور–دور–بار صديقي، وأعتقد من العار الشديد حبسه في قفص هكذا».

سألها: «هل تريدين إذَنْ أن تتجول الوحوش البرية في جميع أنحاء المدينة؟».

– تور–دور–بار ليس وحشًا بريًّا؛ إنه صديق شجاع ومخلص. ولولاه، لكنت في عِداد الموتى منذ فترة طويلة؛ وعلى الرغم من أن موتي ربما كان أفضل بالنسبة لي، فلن أكف أبدًا عن تقديري للمخاطر والمصاعب التي عانى منها من أجلي.

قال جال هاد بكرم: «ولهذا يجب مكافأته. سوف يحصل على فضلات الطعام من المائدة الملكية».

يا للعجب! أنا، نبيل من هيليوم، أحصل على الغذاء من بقايا طعام مائدة جال هاد، أمير أمهور. على أنني واسيت نفسي بفكرة أن بقايا طعام مائدته سيكون على الأرجح أفضل كثيرًا من الطعام الذي يقدمونه عادة إلى وحوش حديقة الحيوان؛ ويمكنني بسهولة ابتلاع كبريائي مع بقايا طعامه.

لم تتوفر لي فرصة، بطبيعة الحال، للتحدث مع جاناي، ولذا لم أتمكن من معرفة ماذا حدث لها، وما المستقبل المطروح أمامها، إذا كانت هي تعرف.

سألني جال هاد: «قل لي شيئًا عن نفسك. هل أنت مجرد شخص غريب المظهر، أم هناك كثيرون مثلك؟ كيف كان أبوك وأمك؟».

أجبت: «ليس لديَّ أب وأم، وهناك الكثير من أمثالي، الملايين منّا».

سألني: «لا أب ولا أم؟ لا بد أن مخلوقًا من نوع ما وضع البيضة التي خرجت منها».

أجبت: «لم أخرج من أي بيضة».

قال جال هاد: «حسنًا، أنت لست فقط أغرب شخص رأيته من قبل، لكنك أيضًا أكبر كاذب. ربما تتحسن أخلاقك عند ضربك، حتى لا تكذب على جال هاد».

قالت جاناي: «إنه لم يكذب، لقد قال لك الحقيقة».

سألها: «وأنتِ أيضًا، هل تظنين أنتِ أيضًا أنني أحمق؟ يمكنني أن أضرب نسائي أيضًا، مثل حيواناتي، إذا أسأن التصرف».

قلت: «أنت تثبت أنك أحمق بالتأكيد؛ لأنك سمعت الحقيقة من كلينا، وحتى الآن لا تصدقها».

صاح ضابط من الحرس: «صمتًا! هل أقتل هذا الوحش الوقح يا جال هاد؟».

أجاب الأمير: «لا. إنه ثمين جدًّا. ربما يُضرَب فيما بعد». تساءلت عمن سيجرؤ على الدخول إلى قفصي ليضربني، أنا الذي يمكنه تمزيق أطراف رجل عادي.

استدار جال هاد وابتعد، وخلفه أفراد مجموعته. وبعد خروجهم من الشارع، سُمِح للجمهور بالدخول ثانية؛ وبقيت، إلى أن حل الظلام، متحملًا تحديق وإهانات الرعاع الثرثارين. وأدركت الآن بأي ازدراء يجب على الوحوش في الأقفاص أن تنظر إلى البشر الذين يثرثرون ويحدقون فيهم.

بدأ إطعام الحيوانات بعد طرد الحشود من حديقة الحيوان؛ ذلك أن جال هاد اكتشف أن الوحوش المأسورة تزدهر بشكل أفضل إذا لم تكن الحشود المحدقة تراقبهم عندما يتناولون طعامهم، وبالتالي سمح لحيواناته أن تأكل في سلام وفي عزلة كما تتيح أقفاصهم. لم يقدموا لي الطعام مع الآخرين، وإنما جاء صبي عبد بعد فترة وجيزة من قصر جال هاد ومعه سلة مملوءة ببقايا مائدة الأمير.

جحظت عينا الصبي بانبهار ورهبة وهو يقترب من قفصي وينظر نحوي. كان هناك باب صغير في واجهة قفصي بالقرب من الأرض، ويمكن تمرير الطعام من خلاله؛ لكن الواضح أن الصبي خاف أن يفتح الباب، خشية أن أمسك به.

قلت: «لا تخف. لن أؤذيك. أنا لست وحشًا مسعورًا».

اقترب، ثم فتح الباب قليلًا بهدوء وقال: «أنا لست خائفًا»؛ لكني كنت أعرف أنه خائف.

سألته: «أنت من أين؟».

أجاب: «من دوهور».

قلت: «يعيش هناك صديق لصديقي».

– ومن هو؟

أجبت: «فاد فارو».

– آه، فاد فارو! رأيته كثيرًا. كنت سأعمل ضمن حرسه عندما أنهي تدريبي. لقد تزوج من فالا ديا، أميرتنا. إنه محارب عظيم. ومَن هو صديقك الذي هو صديقه؟

أجبت: «جون كارتر، أمير هيليوم وأمير الحرب في المريخ».

اتسعت عيناه وقال: «جون كارتر، هل تعرفه؟ مَن ذا الذي لم يسمع عنه، أعظم مبارز في برسوم كلها؟ ولكن كيف يمكن لمثلك أن يكون صديقًا لجون كارتر؟».

قلت: «قد يبدو غريبًا لك، لكن جون كارتر، في الحقيقة، هو أعز صديق لي».

سألني الرجل الأحمر في القفص المجاور: «وماذا تعرف عن جون كارتر؟ أنا من هيليوم، ولا يوجد في الإمبراطورية كلها مخلوق مثلك. أعتقد أنك كاذب كبير. كذبت عليَّ، وكذبت على جال هاد، وتكذب الآن على هذا العبد الصغير. ماذا تعتقد أنك ستكسبه بقول الكثير من الأكاذيب؟ ألم تسمع أبدًا أن المريخيين يفتخرون بصدقهم؟».

قلت: «أنا لم أكذب».

قال الرجل الأحمر ساخرًا: «أنت لا تعرف حتى شكل جون كارتر».

قلت: «لديه شعر أسود، وعينان رماديتان، ولون بشرته أفتح من بشرتك؛ وقد جاء من جاسوم، وتزوج من ديجاه ثوريس، أميرة هيليوم. وعندما وصل إلى برسوم، قبض عليه رجال ثارك الخُضر. وقد حارب في أوكار، أرض الرجال الصُّفر في أقصى الشمال؛ وحارب الثيرن[٥٤] في وادي دور؛ كما حارب على طول وعرض برسوم؛ وآخر مرة رأيته كنا معًا في موربوس».

فوجئ الرجل الأحمر وصاح: «باسم سلفي الأول، أنت تعرف الكثير عن جون كارتر. ربما كنت تقول الحقيقة».

نظر العبد الشاب نحوي باهتمام شديد. ورأيت أنني أثرت إعجابه كثيرًا. كان أملي أن أفوز بثقته، ثم أفوز بعد ذلك بصداقته؛ لأنني أردت صديقًا لي في قصر جال هاد، أمير أمهور.

---

(٥٤) الثيرنيون أو الثيرن: هم عِرق مريخي أبيض البشرة وأصلع، يرتدون باروكات شقراء، ويتمتعون بقوى عقلية خارقة http://barsoom.wikia.com/wiki/Thern – المترجمة

قال: «لقد رأيت جون كارتر إذَنْ، وتحدثت معه، ولمسته. آه، يا للروعة!».

قلت: «ربما يأتي إلى أمهور في يوم ما. وإذا جاء، قل له إنك تعرف تور-دور-بار، وإنك كنت لطيفًا معه، وعندئذ سيصبح جون كارتر صديقك أيضًا».

قال: «سأكون لطيفًا معك بقدر ما أستطيع، وإذا كان هناك أي شيء يمكنني أن أفعله لك، يسعدني القيام به».

قلت: «هناك شيء يمكنك أن تقوم به من أجلي».

سألني: «ما هو؟».

«اقتربْ أكثر، لكي أهمس لك»، تردد الشاب. «لا تخف. لن أؤذيك».

اقترب من القفص وسألني: «ماذا تريد؟».

ركعت وقربت شفتي منه: «أريد أن أعرف كل ما يمكن عن الفتاة جاناي؛ أعني، ما يحدث لها في قصر جال هاد، وما سيحدث لها».

قال: «سوف أخبرك بكل ما أستطيع معرفته»، ثم أخذ سلته الفارغة وابتعد.

* * *

الفصل (٢٥)

أمير في حديقة للحيوانات

جاءت وولت أيام رتيبة؛ لم يخفف وطأتها سوى الحديث مع الرجل الأحمر في القفص المجاور، وزيارتين يوميًّا من العبد الشاب من دوهور، وكان اسمه أورم-أو.

تطورت صداقة بيني وبين الرجل الأحمر من هيليوم. كان اسمه أور راج؛ وعندما أخبرني به، تذكرت أنني التقيت به منذ عدة سنوات. كان من هاستور، وهي مدينة تقع على حدود الإمبراطورية، كما كان يحمل رتبة بادوار ويعمل على متن إحدى السفن الحربية التي تتمركز هناك. سألته إذا كان يتذكر ضابطًا يُدعى فور داج، وقال إنه يتذكره تمامًا.

سألني: «هل تعرفه؟».

أجبت: «أعرفه معرفة حميمة. وفي الواقع، لا أعرف أحدًا في العالم معرفة جيدة مثلما أعرفه».

سألني: «وكيف عرفته؟».

أجبت: «كان في موربوس مع جون كارتر».

قال: «كان ضابطًا رائعًا. أتذكر حديثًا طويلًا معه عندما جاء الأسطول الكبير إلى هاستور».

– لقد تناقشتما حول اختراع كنت تعمل عليه، من شأنه أن يكشف ويحدد موقع سفن العدو على مسافة كبيرة، وذلك عن طريق صوت محركاتها. وأنت اكتشفت أنه لا يوجد محركان يُصدران نفس الاهتزازات، وتمكنت من تطوير أداة تسجل هذه الاهتزازات بدقة على مسافات كبيرة. كما قمت بتقديمه أيضًا إلى شابة جميلة جدًّا كنت تأمل أن تتزوجها.

اتسعت عينا أور راج في دهشة، وسألني: «وكيف تسنى لك أن تعرف هذه الأمور؟ لا بد أنكما صديقان حميمان بالفعل، حتى يحكي لك خلاصة الأحاديث التي جرت قبل سنوات مع غريب نسبيًّا».

أجبت: «لم يُخبرني أو يُخبر أي شخص آخر عن اختراعك؛ لأنه وعدك أنه لن يقول شيئًا حوله إلى أن تنتهي منه تمامًا وتعرضه على بحرية هيليوم».

سألني: «وإذا كان لم يخبرك، كيف عرفت هذه الأشياء؟».

أجبت: «هذا لن تعرفه أبدًا؛ ولكن عليك أن تطمئن أن فور داج لم يُسئْ أبدًا لثقتك فيه».

أعتقد أن أور راج كان مذعورًا مني بعض الشيء بعد ذلك، متصورًا أنني أتمتع بقوى خارقة للطبيعة أو غامضة. لاحظته أكثر من مرة محدِّقًا نحوي باهتمام وهو يجلس القرفصاء على أرضية قفصه، ولا شك أنه

كان يحاول فهم ما بدا لغزًا لا يجد له تفسيرًا.

أصبح الفتي العبد، أورم-أو، ودودًا جدًّا؛ ويخبرني بكل ما يمكن أن يعرفه عن جاناي، وكان قليلًا أو لا شيء. عرفت منه أنها لم تكن في خطر مباشر؛ لأن أقدم زوجة لجال هاد تولت حمايتها. كان لجال هاد عدة زوجات؛ لكنه كان يخشى هذه الزوجة الأولى أكثر من أي شيء على الأرض. وقد عارضت طويلًا مقاسمة محبة جال هاد مع نساء أخريات؛ ولم تكن ترغب في زيادة عددهن، وخاصة مع امرأة شابة وجميلة مثل جاناي. «هناك شائعات»، قال أورم-أو، «أنها سوف تبعد جاناي عن طريقه عند أول فرصة. وهي مترددة الآن بسبب خوفها من أن جال هاد قد يقتلها، في فورة غضبه، إذا فعلت ذلك؛ لكنها قد تجد وسيلة لتحقيق ذلك دون أن يشك فيها. وفي واقع الأمر، قابلت جانتون جور، قاتل أمهور، عدة مرات مؤخرًا، بعد أن عاد من الأسر. ويمكنني أن أقول لك إنني لا أود أن أكون في وضع جاناي، لا سيما إذا كان جانتون جور يستمع إلى فانوما ويقبل ما تود تكليفه به».

تسببت هذه المعلومات في قلقي كثيرًا على رفاه جاناي. كنت على يقين، بالطبع، أن جانتون جور لن يقتلها؛ لكن ذلك لن يمنع فانوما من العثور على وسيلة أخرى، إذا كانت قد قررت تدمير جاناي. وطلبتُ من أورم-أو تحذير جاناي، وقال إنه سيفعل إذا وجد أي فرصة.

كان الخطر الذي يهدد جاناي في ذهني باستمرار، وشعرت بارتباك بسبب قدرتي على مساعدتها. لو كان هناك شيء يمكنني فعله، ولكن لا يوجد. شعرت بأنني عاجز تمامًا، وأن وضع جاناي ميؤوس منه بالقدر نفسه.

كانت تمر علينا أحيانًا بعض الأيام المملة في حديقة الحيوان. وإنما كقاعدة، كان هناك تدفق مستمر من الناس يمر على طول الشارع بين الأقفاص، ويتجمع دائمًا حشد قليل أمام قفصي عندما لا يزدحم الشارع بأولئك الذين جاءوا ووقفوا يتطلعون نحوي لساعات طوال. هناك دائمًا وجوه جديدة؛ وهناك مَن أصبحت أتعرف عليهم لأنهم يأتون كثيرًا. وفي يوم من الأيام، رأيت جانتون جور بين الحشد. شق طريقه نحوي، مثيرًا الكثير من التذمر وبعض الكلمات القاسية؛ ولكن عندما يتعرف عليه شخص ويتداول البعض اسمه، يفتح الجمهور الطريق أمامه، فلا أحد يرغب في معاداة قاتل أمهور. يا لها من سُمعة اكتسبها القاتل الأصلي!

قال وهو يقترب من القفص: «كاور، تور-دور-بار».

أجبت: «كاور، جانتون جور. من الجيد أن أراك ثانية؛ وأود أن أتحدث معك على انفراد».

قال: «سوف أعود، بعد طرد الزوار. كما ترى، أنا أصبحت شخصية مميزة في أمهور وفي القصر. لا أحد يرغب في معاداتي، ولا حتى جال هاد».

اعتقدتُ أن اليوم لن ينتهي أبدًا، ولن يغادر الزوار أبدًا. مضت الساعات متثاقلة بلا نهاية؛ وأخيرًا قاد الحراس الجمهور إلى الخارج، وظهرت في الشارع العربات التي تحتوي على طعام الحيوانات. جاء أورم-أو ومعه بقايا الطعام؛ ولم تظهر أي علامة على وصول جانتون جور. وتساءلت عما إذا كان قد هجرني مرة أخرى، أم أن تفاخره

بالتميُّز كان مجرد أسطورة. كنت متلهفًا على رؤيته بشكل خاص؛ لأني وضعت أخيرًا خطة أعتقد أنها قد تفيد جاناي. سألت أورم-أو عن أي شيء عنها، لكنه هز رأسه وقال إنه لم يرها في القصر لعدة أيام.

قلت بتخوف: «ربما فانوما دمرتها».

قال: «ربما. آخر ما سمعته أنها لم تعامل جاناي جيدًا كما كانت في البداية. ويقول البعض إنها تجلدها الآن كل ليلة».

لم أستطع أن أتخيل فانوما أو أي شخص آخر يجلد جاناي، فهي ليست من النوع الذي يتلقى الجلد بخنوع.

كان الظلام قد حل تقريبًا وتخليت عن كل أمل في مجيء جانتون جور، عندما رأيته يقترب من قفصي. قال: «كاور، تور-دور-بار! لقد تأخرت؛ ليس لشخص أقل من جال هاد نفسه، فقد جاء للتحدث معي».

سأل أور راج: «مَن يريد أن يقتل الآن؟».

أجاب جانتون جور: «أراد فقط أن يتأكد أنني لا أخطط لقتله. هل تعرف أنني أفضل أن أكون ما أنا عليه - رئيس رابطة القتلة - من أن أكون أمير أمهور! قوتي غير محدودة، ويخشاني الجميع؛ فبينما أنا معروف، جميع القتلة الآخرين في الرابطة غير معروفين؛ وحتى مَن يريدون التآمر ضدي، يخافون من القيام بذلك لئلا يعلم جواسيسي بالأمر».

قلت مبتسمًا: «لقد قطعت شوطًا طويلًا من مبنى المختبر، جانتون جور. وإنما قل لي، هل جاناي ما زالت تعيش؟ هل هي بخير؟ هل هي آمنة؟».

– إنها تعيش وعلى ما يرام، لكنها ليست آمنة؛ ولا يمكن أن تكون آمنة في أمهور. ولن تكون حياتها آمنة على الأقل ما دامت فانوما تعيش. وأنا لست في حاجة بالطبع إلى أن أقول لك إنني وجميع قتلة الرابطة لن ندمر جاناي؛ لكن فانوما قد تجد شخصًا آخر يقوم بهذه المهمة، أو حتى تقوم بها بنفسها يأسًا. ولذلك توصلت إلى أن أفضل شيء يمكنني القيام به هو قتل فانوما.

اعترضتُ: «كلا، كلا. ففي اللحظة التي تخرج فيها فانوما من الطريق، لن يوجد مَن يحمي جاناي من جال هاد».

قال جانتون جور وهو يهرش في رأسه: «هذا صحيح. لم أضع هذه المرحلة من المسألة في الاعتبار. وفي الواقع، ليس الأمر سيئًا بالنسبة إلى جاناي؛ لأنها سوف تصبح أميرة أمهور؛ وما رأيته من زوجة جال هاد الأخرى، يجعلني أقول إن جاناي سوف تصبح الملكة بلا منازع».

قلت: «لكنها لا ترغب في الزواج من جال هاد. فور داج يحبها. وعلينا إنقاذها من أجله».

قال جانتون جور: «يرقد فور داج كرجل ميت في الحُفر تحت مبنى المختبر في موربوس، ومن المؤكد أن الرعب الذي خرج من غرفة الأحواض رقم ٤ قد أحاط به وربما التهمه منذ فترة طويلة. لا، لا، تور–دور–بار، على الرغم من إعجابي بولائك لفور داج، اعتقد أنه انتهى. ولا أنت، ولا أنا، ولا جاناي، سوف نراه ثانية أبدًا».

– ومع ذلك، علينا أن نفعل ما في وسعنا لإنقاذ جاناي من أجله؛ لأني لم أتخلَّ عن الأمل في إنقاذ فور داج في يوم ما.

سألني: «حسنًا، هل لديك خطة إذَنْ؟».

قلت: «نعم، لديَّ خطة».

سألني: «وما هي؟».

- يجب أن يصل إلى فانوما -حتى إن أبلغتها بنفسك- أن جال هاد عرف أنها تحاول توظيف القتلة لتدمير جاناي، وأنه أقسم إذا ماتت جاناي، بغض النظر عن السبب، فسوف يدمر فانوما فورًا.

قال جانتون جور: «ليست فكرة سيئة. يمكنني إيصال ذلك إلى فانوما فورًا من خلال إحدى إمائها».

قلت: «سأتنفس الصعداء عندما أعرف أنك فعلت ذلك».

نمت بالتأكيد في تلك الليلة أفضل من نومي منذ فترة طويلة؛ لأنني شعرت - مؤقتًا على الأقل - أن جاناي في أمان. وكان جيدًا لراحة بالي أنني لا أعرف ماذا سيحمله صباح اليوم التالي.

* * *

الفصل (٢٦)

لدغة الأفعى

قُسمت زنزانتي أفقيًّا بواسطة حاجز، بحيث أصبح الجزء الأمامي منها يطل على الشارع، بينما يضم الجزء الخلفي غرفة مظلمة بها نافذة واحدة صغيرة وباب ثقيل في الجدار الخلفي. وكانت هذه بمثابة غرفة نومي، وكان سريري عبارة عن كومة من النباتات الصفراء الشبيهة بالطحالب التي تغطي قيعان البحر الميت في برسوم. وترتبط الغرفتان بباب منزلق، يرتفع وينخفض عن طريق حبل يمر فوق بكرة تقع خارج القفص. عندما أكون في الغرفة الأمامية، يقوم الخدم بخفض الباب والدخول إلى الغرفة الخلفية لتنظيفها، والعكس صحيح؛ فلا يغامر أحد بالدخول إلى أي غرفة منها والوجود معي بمفرده. ولا بد لي من القول إن جال هاد كان يحرص على بقاء أقفاصنا نظيفة إلى حد معقول؛ إذ أدرك أن بإمكانه بهذه الطريقة الحفاظ على حالتنا الصحية، وليس بسبب امتلاكه لأي غريزة إنسانية.

في الصباح التالي لزيارة جانتون جور، أيقظتني أصوات قرع الطبول والنغمات الحزينة الصادرة من آلات النفخ التي تنتج موسيقى

أشبه بالموسيقى الجنائزية. أصبح النوم مستحيلًا، فخرجت إلى ضوء النهار في الغرفة الأمامية ورأيت أور راج يقف ضاغطًا وجهه على قضبان قفصه وينظر نحو القصر.

سألته: «لماذا الموسيقي؟ هل يحتفلون بشيء؟».

أجاب بابتسامة: «ربما، مع أن هذه الموسيقى تعني موت أحد أفراد العائلة الملكية».

قلت: «لنأمل أن يكون جال هاد».

أجاب أور راج: «ربما لسنا محظوظين إلى هذا الحد».

وصل الخدم إلى الشارع لإطعام الحيوانات، وسألناهم عندما وصلوا إلى قفص أور راج عن الشخص الذي مات؛ لكنهم قالوا إن الأمر ليس من شأننا، وتركونا. ما من سبب بالطبع لعدم إخبارنا إذا كانوا يعرفون، وإنما يبدو أن معاملتنا كوحوش برية وليس كرجال يعطيهم شعورًا بأهمية أكبر، فليس من المفترض أن تعرف الوحوش البرية أي شيء عن شؤون أسيادها.

لم يكن الرجل الأخضر في القفص المجاور جارًا ودودًا. وأعتقد أنه استاء لأنني جذبت اهتمامًا أكثر منه. لم يتوجه لي بحديث أبدًا، وكان يجيبني بكلمة من مقطع واحد أو لا يجيب على الإطلاق في الأوقات القليلة التي حادثته فيها. وربما يرجع ذلك إلى أنهم عِرق متجهم وقليل الكلام بطبعه؛ لكنه الآن، وبشكل غير متوقع تمامًا، خاطبني.

قال: «إذا كان جال هاد قد مات، سيحدث ارتباك لعدة أيام. أنا

هنا منذ فترة طويلة، وعرفت الكثير. وأعرف أن هناك العديد من الذين يرغبون في خلافة جال هاد؛ وإذا مات، ستدخل أمهور في حرب أهلية. وهذا هو الوقت المناسب لكي نحاول الهرب».

قلت: «لو كنت أتصور وجود أي فرصة للهرب، لم أكن لأنتظر موت جال هاد».

قال الرجل الأخضر: «لا توجد فرصة لنجاح أي خطة للهرب إلا عندما يحدث شيء يعطل انضباط الحرس ويلقي بالمدينة إلى حالة من الاضطراب. وإذا حدث ذلك، لديَّ خطة قد تنجح».

سألته: «ما هي؟».

«اقتربْ من القضبان لأهمس لك، فلا أريد أن يسمعني أحد. لا يستطيع رجل بمفرده إنجاز الأمر، وأعتقد أن بإمكاني الوثوق بك وبالرجل الأحمر في القفص المجاور لقفصك. لقد راقبتكما بعناية، وأعتقد أنكما تتمتعان بالشجاعة والذكاء لمساعدتي في تنفيذ خطتي بنجاح». ثم شرح لي همسًا وبالتفصيل خطته. لم تكن سيئة، وربما تضم عناصر النجاح. طلب مني الرجل الأخضر أن أشرح خطته لأور راج، وفعلت ذلك. استمع الرجل الأحمر باهتمام، ثم أومأ براسه.

وقال: «سواء فشلنا أو نجحنا، فهذا على الأقل أفضل من البقاء هنا في الأسر مدى الحياة».

قلت: «أتفق معك تمامًا، وإذا كانت حياتي فقط هي التي في خطر، لكنت على استعداد لهذه المحاولة في أي وقت؛ لكنني يجب أن أنتظر

الفرصة المناسبة لإنقاذ جاناي معي».

سألني أور راج: «ولماذا تهتم بالفتاة الحمراء جاناي؟ فهي بالتأكيد لن تنظر مرتين إلى أي شخص بشع مثلك».

قلت: «لقد وعدت فور داج أنني سأحميها؛ ولذا لا أستطيع الذهاب من دونها».

قال أور راج: «فهمت. وبقدر عدم نجاح أي خطة للهرب، علينا أن نخطط أيضًا لأخذ جاناي معنا. فعلى الأقل، لن يعقد ذلك الأمور. ومن حسن الحظ أنهم لا يستطيعون منعنا من الأحلام، يا تور-دور-بار. ونظرًا لأن الأحلام تمثل كل السعادة التي يحق لنا توقعها، علينا الاستفادة منها إلى أقصى درجة، وأن نحلم بما يستحق العناء بالفعل. سأحلم أننا سننجح؛ وأننا سندمر جال هاد، وأنني سأصبح أمير أمهور. وسوف أمنحك رتبة دوّار يا تور-دور-بار. وفي الواقع، أمنحك الرتبة من الآن». ضحك من قلبه على مزحته الصغيرة، وضحكت معه.

وقلت: «لكني كنت برتبة بادوار في موربوس».

- أوه، حسنًا، سأمنحك هنا رتبة بادوار. اعتبر أنك حصلت على ترقية.

لم يجد الرجل الأخضر شيئًا مضحكًا في ما نقول، حيث يأخذ كل شيء حرفيًّا. لا يتمتع عِرقه بحس الفكاهة كما نفهمه، ولا يبتسمون أو يضحكون إلا عندما يشاهدون معاناة الآخرين. لقد رأيتهم يقعون على الأرض من الضحك وهم يشاهدون معاناة بعض الضحايا التي

تفوح منهم رائحة أشد أنواع التعذيب وحشية. توقف حديثنا حول هذا الموضوع بوصول أورم-أو ومعه سلة فضلات الطعام لإفطاري.

سألته: «ماذا حدث، يا أورم-أو؟ لماذا هذه الموسيقى؟».

سألني: «أتعني أنك لم تسمع بالأمر؟ لقد ماتت فانوما. أخبرتني إحدى إمائها أنها بلا شك ماتت مسمومة؛ وهناك اشتباه في جال هاد».

- فانوما ماتت! ماذا سيحدث لجاناي الآن؟

تأثرنا قليلًا نحن نزلاء حديقة الحيوان بما حدث في القصر بعد وفاة فانوما، وذلك لسبب واحد. فقد ظلت أرض القصر مغلقة أمام الجمهور إلى أن انتهت مراسم الجنازة التي جرت بعد خمسة أيام من وفاتها، ولذا تطلعنا إلى فترة شعرت أنها قد تكون فاصلًا من البهجة والسلام والهدوء؛ لكنني سرعان ما اكتشفت أنها لم تكن ممتعة كما توقعت، حيث وجدت رتابتها لا تطاق. قد يبدو غريبًا أنني افتقدت ثرثرة الرعاع، وأدركت أنها أتاحت لنا قدرًا من التسلية والترفيه والإلهاء بمثل ما أتحناه لهم.

وعرفت خلال تلك الفترة من أورم-أو شيئًا أراح ذهني بقدر ما يتعلق الأمر بجاناي، لفترة من الزمن على الأقل. فقد أخبرني أن آداب البلاط تتطلب فترة حداد مدتها سبعة وعشرين يومًا، تمتنع خلالها الأسرة الملكية عن جميع الملذات؛ لكنه أخبرني أيضًا أن جال هاد يخطط للزواج من جاناي بعد انقضاء هذه الفترة مباشرة.

والشيء الآخر الذي عرفته منه هو أن عائلة فانوما تعتقد أن جال هاد

قد تسبب في تسميمها. كانت عائلتها من النبلاء الأقوياء ومن أصول ملكية، ويطمح أحدهم أن يصبح أمير أمهور. وقد كان - واسمه دور أجماد - أكثر شعبية بكثير من جال هاد، ونفوذه كبير في الجيش خارج قوات جال هاد الشخصية.

لولا أورم-أو، لم نكن نحن نزلاء حديقة الحيوان لنعرف أي شيء عن كل هذا؛ لكنه أبقانا على دراية جيدة، بحيث كنا قادرين على متابعة الأحداث في القصر والمدينة تمامًا مثل أي مواطن عادي في أمهور. وبمرور الأيام، رأيت أن مِزاج زوار حديقة الحيوان قد تغير. أصبحوا يتسمون بالتوتر والعصبية، ويلقون العديد من النظرات في اتجاه القصر. زاد ازدحام الناس في الشارع بين الأقفاص، لكني شعرت أنهم يأتون لمعرفة ما قد يحدث في أراضي القصر أكثر من مجرد النظر إلينا. تجمعت مجموعات تتحدث بهمس دون أي اهتمام بنا؛ ومن الواضح أن أشياء أكثر أهمية من الوحوش البرية كانت تشغلهم.

وفي أحد الأيام، قرب انتهاء فترة الحداد، سمعت في وقت مبكر من الصباح طنينًا متقطعًا لأسلحة المريخ النارية؛ فضلًا عن دعوات بالبوق وصيحات بأوامر. أغلق الحراس البوابات التي كانوا قد فتحتوها للتو لدخول الجمهور؛ وباستثناء الكتيبة التي بقيت لحراسة البوابة، ركض الخدم والمحاربون على حد سواء في اتجاه القصر.

كان الوضع مثيرًا للغاية؛ لكنني لم أنسَ خلال هذه الإثارة ما قد تعنيه لي ولجاناي، كما لم أنسَ الخطة التي ناقشناها معًا أنا والرجل الأخضر وأور راج. وهكذا، عندما رأيت واحدًا من آخر الخدم الذين يركضون

في الشارع نحو القصر، ألقيت نفسي على أرضية قفصي وتقلبت في معاناة واضحة، وصرخت طالبًا منه أن يأتي. لم أكن أعرف ما إذا كانت الحيلة ستنجح، فلا بد أن الرجل أراد أن يذهب مع الآخرين ليرى ماذا يحدث في القصر. لكني راهنت على حقيقة معرفته أنه إذا حدث أي شيء لأحد ممن يتولى مسؤوليتهم، لا سيما إن كان ذا قيمة كبيرة مثلي، فلا شك أن جال هاد سوف يعاقبه على تركه لموقعه؛ وعقوبات جال هاد مميتة في أغلب الأحيان.

تردد الزميل للحظة وهو يلتفت وينظر في اتجاهي. تحرك ثانية نحو القصر، لكنه استدار بعد بضع خطوات وركض إلى قفصي. صاح: «ما الأمر أيها الوحش؟».

صحت: «يوجد أحد الزواحف الغريبة في غرفة نومي، وقد لدغني. سوف أموت».

سألني: «أين لدغك؟».

صحت: «في يدي، تعال وانظر».

اقترب، وعندئذ مددت يدي بين القضبان بسرعة وأمسكته من حلقه. كنت سريعًا وأطبقت على قصبته الهوائية بإحكام بحيث لم تكن لديه فرصة للصياح. ضغط كل من أور راج والرجل الأخضر نفسه بين قضبان قفصيهما لمشاهدتي. لم يَرَ سوى ثلاثتنا الحارس يموت.

سحبت جسمه إلى أعلى حتى أتمكن من الاستيلاء على المفاتيح التي تتدلى من حلقة في عتاده، ثم تركته يسقط على الأرض. وصلت

بسهولة إلى القفل الذي يوصد الباب في الجزء الأمامي من القفص، وخرجت من القفص خلال عدة ثوانٍ. ومن هناك زحفت بسرعة تحت الأقفاص إلى الخلف، حتى لا يرى مَن يمر في الشارع ما أفعل. أطلقت سراح الرجل الأخضر وأور وراج، ووقفنا للحظات نناقش مدى استصواب تنفيذ خطتنا بالكامل. كان تنفيذها محفوفًا بالمخاطر، لكننا شعرنا أنها قد تثير وضعًا يتيح لنا الارتباك الذي يعقبه فرصة أفضل للهرب.

قال أور راج موافقًا: «نعم؛ كلما زاد الارتباك، زادت فرصنا للوصول إلى القصر والعثور على جاناي».

يجب أن أقول إن الخطة بأكملها كانت طائشة ويائسة، وربما كانت فرصة نجاحها تصل إلى واحد في مائة مليون.

قلت: «حسنًا، هيا بنا».

وجدنا خلف الأقفاص عددًا من العصي والمهاميز التي يستخدمها الخدم للسيطرة على الوحوش. تسلحنا بها وبدأنا نتحرك نحو الأقفاص السفلية، وهي أقرب إلى البوابة وأبعد من القصر. كنت مُسلحًا أيضًا بالسيف القصير والخنجر اللذين أخذتهما من الخادم الذي قتلته، لكني لم آمل الاستفادة منهما كثيرا إذا ما فشلت خططنا.

بدأنا بأقرب قفص من البوابة، وأطلقنا سراح الحيوانات، ثم قدناهم أمامنا على طول الجانب الخلفي من الأقفاص في اتجاه القصر.

كنت أخشى ألا نتمكن من السيطرة على الحيوانات، وأنها قد

تنقلب علينا وتدمرنا؛ لكن التجربة سرعان ما علمتني أنهم يخافون من المهاميز الحادة التي يستخدمها الحراس، والتي استخدمناها لتهديدهم وحثهم على السير. تحرك حتى حيوانا الأبت الكبيرين والقرود البيضاء بتجهم أمامنا. كان هناك في البداية القليل من الضجيج أو الارتباك، مجرد هدير منخفض من الحيوانات أكلات اللحوم وشخير عصبي من الحيوانات التي تقتات على الأعشاب. ومع تقدمنا، وزيادة أعداد الوحوش وأنوعها، زاد حجم الأصوات إلى أن تصاعد رنين الهواء مع خوار حيوانات الزيتيدار وأنين الثوات التي أصابها الجنون، فضلًا عن زئير وهدير البانث والأبت وعشرات من الوحوش الأخرى التي تتحرك بعصبية أمامنا.

تفصل البوابة، المغلقة دائمًا، حديقة الحيوان عن الأراضي المحيطة بالقصر مباشرة. وقد تركها الخدم مفتوحة اليوم، نتيجة الأوضاع المثيرة؛ وبالتالي قُدنا الوحوش من خلالها إلى أرض القصر دون عقبات.

انضمت حاليًا جميع وحوش حديقة الحيوان الرهيبة إلى تلك الجوقة الفظيعة من الشراسة، وهم في أعلى درجات الانفعال والتوتر العصبي بسبب هذه الحرية غير المعتادة وارتفاع أصوات زملائهم، بحيث لا يمكن ألا يسمعها أحد داخل أراضي القصر، أو بعده بمسافة. وأرى الآن الخدم الذين تركوا مواقعهم يعودون نحونا وهم يركضون. رأتهم الوحوش أيضًا، ولا بد أن بعض أكثر الوحوش ذكاء -مثل القرود البيضاء الكبيرة- قد تذكرت الإهانة والقسوة التي انهالت عليهم خلال أسرِهم؛ لأنهم واصلوا طريقهم، وهم يزمجرون ويهدرون ويزأرون

غضبًا، لمواجهة الحراس، وهجموا عليهم ودمروهم. وبعد أن زادت إثارتهم بمذاق الدم والانتقام، تحولوا نحو الجنود الذين يتولون مسؤولية الدفاع عن البوابات التي كانت تهددها قوات دور أجماد.

وهذا تحديدًا ما كنا نأمل في حدوثه؛ لأنه أثار وضعًا أتاح لي، ومعي أور راج والرجل الأخضر، أن ندخل القصر من باب جانبي دون أن يرانا أحد.

نجحت أخيرًا في دخول القصر، حيث جاناي سجينة؛ لكن خطة تحويل الوضع لصالحنا كانت لا تزال بعيدة مثل القمر الأبعد. كنت في القصر، ولكن أين جاناي وسط تلك الكومة الضخمة؟

❊ ❊ ❊

الفصل (٢٧)

هروب محفوف بالمخاطر

كانت الغرف والممرات في ذلك الجزء من القصر الذي دخلناه مهجورة، وكان النزلاء إمَّا يختبئون وإمَّا يدافعون عن البوابات.

سألني الرجل الأخضر، واسمه بال تاب: «ماذا نفعل الآن، بعد أن دخلنا هنا؟ أين المرأة الحمراء؟».

قال أور راج: «إنه قصر كبير؛ وسوف يستغرق البحث وقتًا طويلًا، حتى لو لم تصادفنا أي عوائق. لكننا قطعًا، وقبل مرور فترة طويلة، سنجد محاربين يسدون طريقنا».

قال بال ناب: «هناك شخص قادم من هذا الممر. أستطيع أن أسمعه».

ينحني الممر إلى اليسار، أمامنا مباشرة. وجاء حاليًا من هذا المنحنى شاب تعرفت عليه فورًا. كان أورم-أو، وركض بسرعة نحوي.

قال: «رأيتك من أحد النوافذ العلوية تدخل القصر، فأتيت بأسرع ما يمكن لمقابلتك».

سألته: «أين جاناي؟».

قال: «سوف أخبرك، لكنهم سيقتلونني إذا عرفوا. ربما أنت تأخرت؛ لأن جال هاد ذهب لزيارتها في شقتها، على الرغم من أن فترة الحداد لم تنتهِ».

قاطعته قائلًا: «أسرعوا». انطلق أورم-أو مهرولًا على طول الممر، وبعده أور راج، وبال تاب، وأنا. قادنا إلى أسفل المنحدر الحلزوني، وطلب منا أن نصعد إلى المستوى الثالث ثم نتوجه يمينًا ونتبع ممرًّا إلى نهايته. وهناك سنجد الباب المؤدي إلى شقق جاناي.

وقال: «إذا كان جال هاد مع جاناي، ستجدون حراسًا في الممر وعندئذ ستقاتلون، لكنكم لن تواجهوا أي أسلحة نارية لأن جال هاد -خشية الاغتيال- لا يسمح لأحد سواه أن يحمل أسلحة نارية في القصر».

شكرت أورم-أو، ثم صعد ثلاثتنا السلم الحلزوني. وما إن وصلنا إلى المستوى الثالث، حتى رأيت محاربين يقفان أمام باب في نهاية ممر قصير. يوجد خلف هذا الباب جال هاد وجاناي.

توجه المحاربان نحونا، بمجرد أن شاهدونا، امتشقا سيفيهما.

سأل أحدهم: «ماذا تريد هنا؟».

أجبت: «أود أن أرى جال هاد».

فقال: «لا يمكنك رؤية جال هاد. عودوا إلى أقفاصكم، حيث تنتمون».

أجاب بال تاب بأن أطاح بالمحارب بالمهماز المعدني الذي يحمله، واشتبكتُ في الوقت نفسه تقريبًا مع المحارب الآخر في مبارزة بالسيوف. كان المحارب مبارزًا جيدًا بشكل ملحوظ، لكنه لم يستطع التعامل مع مَن تتلمذ على يد جون كارتر، فضلًا عن تمتعي بميزة إضافية وهي يدي الطويلة بشكل غير طبيعي وقوتها الهائلة.

انتهيت منه بسرعة، فلم أرد أن أتأخر كثيرًا، ولا أن أزيد من معاناته.

كان بال تاب يبتسم، لأنه يستمتع برؤية الرجال يموتون. وقال: «ذراعك التي تمسك بالسيف جيدة»؛ يا له من ثناء كبير من مريخي أخضر.

خطوت فوق جسم خصمي، وفتحت باب الغرفة ودخلت. وجدت غرفة انتظار صغيرة، وكانت شاغرة. رأيت بابًا آخر في أقصى نهاية هذه الغرفة، تناهت من ورائه أصوات ترتفع في غضب أو انفعال. ركضت بسرعة ودخلت الغرفة الثانية، حيث وجدت جال هاد يمسك جاناي بين ذراعيه. كانت تكافح لتهرب من قبضته، وتضربه. وكان وجهه أحمر من الغضب، ورأيته يرفع قبضته ليضربها.

صحت: «توقف!»، استدار كلاهما وشاهداني.

صاحت جاناي: «تور-دور-بار!»، وكان بصوتها نبرة الشعور بالارتياح.

عندما رآنا جال هاد، دفع جاناي بخشونة وأخرج مسدسه الراديوم. قفزت نحوه، وقبل أن أصل إليه، انطلق مهماز معدني من فوق كتفي

واستقر في قلب أمير أمهور قبل أن يتمكن من رفع مسدسه أو الضغط على الزناد. كان بال تاب هو مَن ألقى بالمهماز، وربما أنا مدين له بحياتي.

أعتقد أننا دهشنا جميعًا من جراء المفاجأة، وهزتنا ضخامة الحدث. وقفنا للحظة في صمت ننظر إلى جسم جال هاد.

قال أور راج: «حسنًا، لقد مات. ماذا سنفعل الآن؟».

قالت جاناي: «يمتلئ القصر وأراضيه بالخدم. وسوف يقتلوننا جميعًا إذا اكتشفوا ما فعلناه».

قال بال تاب: «علينا أن نشتبك نحن الثلاثة معهم في معركة تظل طويلًا في ذاكرتهم».

قال أور راج: «إذا وجدنا مكانًا نختبئ فيه إلى أن يحل الظلام، أنا متأكد من أننا نستطيع الخروج من أراضي القصر، بل ومغادرة المدينة أيضًا».

سألت جاناي: «هل تعرفين أي مكان يمكننا الاختباء فيه إلى أن يحل الظلام؟».

قالت: «كلا، لا أعرف أي مكان لن يبحثوا فيه».

سألتها: «ماذا يوجد في الطابق العلوي؟».

أجابت: «الحظيرة الملكية، حيث توجد طائرات جال هاد الخاصة».

أعربت لا إراديًّا عن صيحة ارتياح: «يا للحظ! لا شيء يناسب هدفنا أفضل من إحدى طائرات جال هاد».

قالت جاناي: «لكن الحراسة عند الحظائر جيدة. فكثيرًا ما رأيت المحاربين يمرون أمام بابي لتبديل نوبات الحراسة. ولم يقل عددهم أبدًا عن عشرة».

قال أور راج: «قد لا يوجد عدد كبير منهم اليوم؛ لأن جال هاد احتاج إلى كل قواته للدفاع عن بوابات القصر».

قال بال تاب: «إذا كان عددهم عشرين، ستصبح المعركة أفضل. دعونا نأمل ألا يكون عددهم قليلًا».

أعطيت مسدس الراديوم الخاص بجال هاد إلى أور راج، ثم خرجنا نحن الأربعة إلى الممر وصعدنا السلم الحلزوني إلى الحظيرة على السطح. أرسلت أور راج أولًا، لأنه أصغر حجمًا من بال تاب ومني، ويمكنه استطلاع الأمر باحتمالات اكتشاف أقل؛ كما أنه رجل أحمر وهذا مفيد للاستعانة به في الاستطلاع؛ لأنه لن يثير الشك بسرعة مثلي أو مثل بال تاب. تحركنا نحن الثلاثة خلفه على مسافة قصيرة. وعندما وصل إلى نقطة يمكنه رؤية السطح عندها، توقفنا وانتظرنا.

عاد إلينا الآن وقال: «لا يوجد في الحراسة سوى رجلين. إنها مسألة سهلة».

اقترحتُ: «لننقض عليهما. إذا أخذناها على حين غرة، قد لا يتطلب الأمر قتلهم». على الرغم من أنني رجل أتمتع بالخبرة وشاركت في العديد من النزاعات، ما زلت أكره رؤية الرجال يموتون وخاصة بيدي، ما دام يمكن ترتيب الأمور بشكل مختلف. ويبدو أن الشابين اللذين يحرسان الحظيرة الملكية على السطح لم يكن يهمهما أن يعيشا

أو يموتا، لأنهما هاجمانا بمجرد رؤيتنا. وعلى الرغم من أنني وعدتهما بعدم الإيذاء إذا استسلما، فقد استمرا في التوجه نحونا بحيث لم يكن أمامنا سوى الاشتباك معهما.

وقبل وصولهما إلينا، تحدث أحدهما بصوت خافت إلى الآخر، الذي ما كان منه إلا أن استدار وركض بأسرع ما يمكن عبر السطح؛ ثم اشتبك رفيقه الشجاع معنا. وبنظرة سريعة نحو الرجل الثاني، رأيته يختفي خلال باب مسحور في السطح؛ ومن الواضح أنه ذهب لاستدعاء مساعدات، بينما ضحى زميله بحياته لاحتجازنا. وما إن أدركت ذلك، حتَّى قفزت لإغلاق الباب وقتلت المحارب، وإن كان يجب أن أعترف أنني لم أقتل رجلًا من قبل بهذا القدر من عدم الاستمتاع. كان هذا المحارب البسيط بطلًا، إذا كان هناك أبطال؛ وبدا من العار أن أقتله، ولكن إما حياته وإما حياتنا.

ولمعرفتي أن الأمر قد يتطور فورًا إلى مطاردة، استدعيت الآخرين وأسرعنا إلى الحظيرة، واخترت طائرة تبدو سريعة ويمكن أن تسعنا جميعًا.

كنت أعرف أن بإمكان أور راج قيادة سفينة فضائية؛ ولذا أمرته بتولي لوحات التحكم، وخلال لحظات كنا ننزلق بسلاسة من الحظيرة عبر السطح.

نظرت بمجرد أن أقلعنا إلى أرض القصر في أسفل، حيث ارتفعت صرخات الوحوش وصيحات المحاربين؛ كما رأيت سقوط البوابة ورجال دور أجماد يدخلون للقضاء على بقايا قوات جال هاد.

وعندما ارتفعنا في الهواء، رأيت زورق دورية على مسافة بعيدة يستدير ويتجه نحونا. أمرت بال تاب وجاناي بالانخفاض فورًا، وأعطيت بعض التعليمات إلى أور راج، ثم انخفضت أيضًا حتى لا يرانا أحد من أفراد طاقم زورق الدورية.

اقترب الزورق بسرعة. وعندما أصبح على مسافة تسمح بالتخاطب، سأل عمن في السفينة وإلى أين تتوجه. أجاب أور راج -بناء على تعليماتي- بأن جال هاد هو مَن يوجد في أسفل، وأنه أعطى أوامر بعدم الإفصاح عن وجهتنا. ربما ساورت الشكوك قائد زورق الدورية في ما يتعلق بصحة هذا الكلام، وإنما من الواضح أنه شعر بعدم ضرورة معاداة الأمير إن كان على متن السفينة وأصدر هذه الأوامر بالفعل؛ ولذا تركنا نواصل طريقنا، لكنه بدأ في تتبعنا. وقبل أن نخرج من حدود المدينة، رأيت ما لا يقل عن دزينة من الطائرات تطاردنا. يبدو أن حارس الحظيرة الذي نجا قد دق ناقوس الخطر. وربما وجدوا جثة جال هاد. وعلى أي حال، كان من الواضح تمامًا أننا مطاردون. وعندما تجاوزن السفن الأخرى زورق الدورية وتحدث معه، انطلقت أيضًا وراءنا بأقصى سرعة.

* * *

الفصل (٢٨)

الأسطول الكبير

كانت سرعة الطائرة التي استولينا عليها تماثل تقريبًا نفس سرعة السفن الكبيرة التي تطاردنا؛ لكن قارب الدورية كان أسرع، ومن الواضح أنه سيتمكن في النهاية من اللحاق بنا.

كشف مسح متسرع للزورق عن وجود بنادق على رفوف في الطابق السفلي، ومدفع صغير عند مقدمته وعند الجزء الخلفي على السطح. أطلقوا جميعًا القذائف المريخية المتفجرة المعتادة، التي عرفها المريخ عبر العصور. إن ضربة واحدة مباشرة لأي جزء حيوي من السفينة قد يعطلها بسهولة، وكنت أعرف أن طائرة الدورية سوف تبدأ في إطلاق النار بمجرد اقترابها. صعدت إلى سطح السفينة ما إن أدركت أننا لم نعُد نخدع الأمهوريين، ووقفت بجانب أور راج أحثه على زيادة السرعة.

قال: «لقد بلغت سفينتنا الآن أقصى حدود سرعتها؛ لكنهم لا يزالون يقتربون منا. ومع ذلك، لا أعتقد أن علينا أن نقلق كثيرًا. ربما لم تلاحظ أن هيكل هذه السفينة يتمتع بحماية جيدة، وعلى الأرجح أنها

مدرعة أفضل من السفن الأخرى؛ لأن جال هاد شخصيًّا هو مَن كان يستخدمها. ولن يتمكنوا من تعطيل سفينتنا إلا بضربة مباشرة تصيب لوحات التحكم أو الدفة، ما لم يزدد اقترابهم ويشنون هجومًا مُركزًا؛ لكننا نقدر، بما لدينا من أسلحة، على منع ذلك».

انضمت لي جاناي وبال تاب على سطح السفينة، ووقفنا ثلاثتنا نراقب قارب الدورية الذي يطاردنا ويقترب منا باطراد.

«هناك!»، قالت جاناي، «إنهم يطلقون النار».

قال بال تاب: «لم يتحقق لهم ما أرادوا، والنطاق متسع على أي حال».

قلت متوقعًا: «لكنهم سرعان ما يصححون ذلك، ونصبح في مرمى نيرانهم».

طلبت من جاناي وبال تاب النزول إلى أسفل، فلا معنى للمخاطرة بحياتهم على سطح السفينة دون داع.

قلت له: «عندما نصبح في مرمى نيرانهم يا بال تاب، سأطلب منك أن تصعد وتحضر معك بندقيتين أو ثلاثًا».

ذهبت إلى المدفع الموجود في مؤخرة السفينة، ووجهته نحو قارب الدورية، وعندئذ سقطت طلقة أخرى قبل أن تصل إلينا. قمت بضبط مدفعنا بعناية شديدة، وأطلقت النار.

صاحت جاناي: «رائع! لقد أصبتهم من أول ضربة». استدرت، ورأيت جاناي وبال بات راكعين ورائي.

كان درع المدفع يحمينا، إلا أنني ما زلت أعتقد أن الوضع يتسم بالخطورة؛ لكنهما لن ينزلا إلى أسفل إلا لإحضار العديد من البنادق وقدر أكبر من إمدادات الذخيرة.

وعلى الرغم من أن طلقة مدفعي كانت مباشرة، فلم تلحق بقارب الدورية أي أضرار؛ فهي لم تُبطئ سرعة القارب ولم تتداخل مع نيرانه.

بدأ زورق الدورية ينحرف قليلًا نحو اليمين، بقصد الوصول إلى موضع يتيح له أن يشن هجومًا مركزًا.

يطلق كلانا النار الآن بشكل مستمر، وتنطلق بين الحين والآخر قذيفة تضرب درع المدفع أو الهيكل وتنفجر.

نصحت أور راج بالحفاظ على مسار مستقيم؛ لأننا إذا حاولنا الحفاظ على مؤخرة سفينتنا وهدفنا الأصغر في اتجاه مطاردينا الأعداء، علينا أن نغير مسارنا وعندئذ سنُدفع إلى منحنى واسع قد يتيح للسفن الأكبر اللحاق بنا، وبالتالي يتمكنون بالتأكيد من تدميرنا أو القبض علينا.

استمرت معركة الهروب إلى أن أصبحت أمهور بعيدة خلفنا. كنا نحلق بسرعة فوق مساحات شاسعة تدفقت عليها في يوم ما محيطات المريخ الجبارة، وأصبحت الآن أراض قاحلة لا تضم سوى البدو الرُحل من الرجال الخضر الأفظاظ. كان زورق الدورية يقترب باطراد، كما تقدم قليلًا أسطول من السفن الكبيرة ليوضح أنهم أسرع إلى حد ما من طائرتنا. وكان زورق الدورية يزحف ببطء نحونا، لكنه لا يزال على مسافة كبيرة. توقفوا عن إطلاق النار، وأشاروا لنا الآن كي نستسلم. وجاء ردنا، أنا وبال تاب، بأن وجهنا مدفعي المقدمة والمؤخرة نحوهم.

أعادوا إطلاق النار علينا بهجوم مركز بجميع أسلحتهم. سحبتُ جاناي إلى أسفل بجانبي وراء الدرع الواقي؛ لكن بال تاب لم يكن محظوظًا. رأيته يقف بكامل طوله ويسقط إلى الخلف من على جانب الطائرة.

حزنت لفقدان بال تاب، ليس لأنه قلص قوتنا الدفاعية فقط، وإنما لفقدان رفيق مخلص ومقاتل رائع. لكنه رحل، والحداد لن يفيد. لقد مات بالطريقة التي أرادها، أن يموت وهو يقاتل؛ ويرقد جسده حيث كان يتمنى، على الطحلب الأصفر في قاع البحر الميت.

يستمر الآن انفجار المقذوفات على جانبي طائرتنا المُدرعين، وكان درع المدفع بمثابة حمايتنا. أما أور راج، فهو يتمتع بحماية وافرة في مقصورة الطيار، حيث كانت مدرعة بدرجة كبيرة.

كان ثلاثتنا في أمان كافٍ إذا بقينا وراء حمايتنا؛ لكني لم أعرف إلى متى يمكن أن يصمد جانب الطائرة المدرع أمام هذا القصف المستمر من القذائف المنفجرة.

أشرت إلى أور راج، لجذب انتباهه إلى محاولة الارتفاع أعلى زورق الدورية؛ فقد نتمكن من تعطيلها إذا أطلقنا عليها النار من أعلى.

وما إن بدأنا في الارتفاع، حتَّى ناداني أور راج وأشار إلى الأمام. التقت عيناي بمشهد خطف أنفاسي. يقترب أعلانا، بل بالفعل فوقنا تقريبًا، أسطول من سفن الحرب الكبيرة التي لم نلحظها لانشغالنا بالمعركة التي نشتبك فيها.

كنت على يقين من حجم السفن وعددها أنها ليست من أمهور؛

لكني لم أتمكن، من موقعنا أدناها، من قراءة الشارات على مقدماتها، ولا رؤية الألوان التي ترفرف من هياكلها الخارقة. على أي حال، وبغض النظر عن الأمة التي يمثلها هذا الأسطول، لن نكون في أيديهم أسوأ حالًا مما لو وقعنا في أيدي الأمهوريين؛ ولذا أخبرت أور راج أن يوجه مساره نحوه سفن الأسطول ويحاول أن يجد موقعًا بينهم وبين زورق الدورية، على أمل أن يكف الزورق عن إطلاق النار تجنبًا لاحتمال ضرب إحدى سفن الأسطول، الذي يمكن أن تدمر مدافعه الكبيرة الزورق في لحظة. ولم يُخطئ توقعي، فقد أوقف قارب الدورية إطلاق النار على الرغم من استمراره في متابعتنا.

نقترب بسرعة حاليًا من سفينة القيادة في الأسطول. وأرى الرجال يطلون من جوانبها نحونا، وها هي السفينة الكبيرة تتباطأ الآن.

ارتفعنا مقتربين من مقدمتها، وهتف أور راج فجأة في سعادة: «أسطول من هيليوم!». ثم شاهدت أنا أيضًا الشارة على مقدمة السفينة، وقفز قلبي لأنني عرفت أن هذا يعني إنقاذ جاناي.

رحبوا بنا وسألونا مَن نحن. أجبت: «أور راج من هاستور، وهو بادوار في بحرية هيليوم، ومعه اثنان من أصدقائه هاربان من السجن في مدينة أمهور».

طلبوا منا أن نصعد على متن السفينة، فقاد أور راج طائرتنا فوق درابزين السفينة الحربية وهبط على سطحها الواسع.

نظر الضباط والرجال نحوي مندهشين وأنا أهبط إلى سطح السفينة وأحمل جاناي كي تهبط؛ ثم انضم إلينا أور راج.

وفي غضون ذلك، اكتشف زورق الدورية الأمهوري هوية الأسطول بوضوح؛ لأنه استدار مسرعًا نحو السفن الأمهورية الشقيقة. وسرعان ما انطلق مطاردونا جميعًا نحو أمهور بأقصى سرعة؛ لأنهم يعرفون أن أور راج من هيليوم، ويخشون الانتقام لاحتجازه في الأسر.

أخذونا – أنا وجاناي وأور راج – إلى الضابط القائد، ولم يجد أور راج صعوبة في إقناعه بهويته. سأله الضابط مُشيرًا نحوي ونحو جاناي: «وهذان الاثنان الآخران؟».

أجبت: «أنا صديق فور داج؛ وكذلك هذه الفتاة جاناي. لقد خدمتُ جون كارتر أيضًا بإخلاص، وسوف تسعده معرفة أنني ما زلت في قيد الحياة وحالتي جيدة».

سألني الضابط: «هل أنت تور–دور–بار؟».

أجبت: «نعم. وكيف عرفت؟».

– كان هذا الأسطول في طريقه إلى أمهور بحثًا عنك وعن الفتاة، جاناي.

سألته مندهشًا: «وكيف عرفت أننا كنا في أمهور؟».

أجاب: «المسألة بسيطة جدًّا. كان الأسطول يُعيد جون كارتر وراس ثافاس إلى موربوس. وبالأمس، ونحن نحلق بانخفاض فوق المستنقعات الكبرى، رأينا رجلًا أحمر يطارده الهمج. وكانت زوارقهم على وشك اللحاق به، فألقينا قنبلة لتفريقهم. ثم انخفضنا أكثر وأحضرنا الرجل على متن سفينتنا. قال إن اسمه باندار، وأنه يهرب من موربوس.

وعرف جون كارتر عندما استجوبه أن طائرة من أمهور قد أمسكت بكما، أنت والفتاة جاناي. وقد أمر الأسطول على الفور بالتوجه إلى أمهور لإنقاذكما».

قلت: «لكنك لم تصل بسرعة. أخبرني، هل جون كارتر وراس ثافاس أحياء؟».

قال: «نعم. وهم على متن السفينة روزار».

لقد كنت أفخر دائمًا بقدرتي على السيطرة الكاملة على انفعالاتي؛ إلا أنني مع هذا الدليل النهائي على أن جون كارتر وراس ثافاس أحياء، اقتربت من الانهيار كما لم يحدث لي أبدًا من قبل طوال حياتي. فقد جعلني الشعور بالارتياح، بعد أشهر طويلة من الشك وعدم اليقين، أكاد أنهار؛ لكنني تماسكت. وبعد لحظة، أطل شك آخر برأسه القبيح. لا يزال جون كارتر وراس ثافاس أحياء؛ ولكن، هل لا يزال جسم فور داج موجودًا؟ وإذا كان في مكانه، هل في قدرة المرء استعادته؟

* * *

الفصل (٢٩)

العودة إلى موربوس

وسرعان ما انتقلنا إلى السفينة روزار، حيث استقبلني جون كارتر وراس ثافاس بحرارة.

عندما حكيت قصتي، وأكد لهما أور راج أنه لم يعُد هناك المزيد من سجناء هيليوم في أمهور، أمر جون كارتر الأسطول أن يغير طريقه ليتجه ثانية إلى موربوس.

أخبرت راس ثافاس عن الحادث الذي وقع في غرفة الأحواض رقم ٤ ونتائجه، وقد أثار قلقه كثيرًا.

قال: «هذه مسألة سيئة، سيئة للغاية. وقد لا نتمكن أبدًا من إيقافه. لنأمل ألا يصل إلى جسم فور داج».

صاحت جاناي: «أوه، لا تقل ذلك. يجب إنقاذ فور داج».

قال جون كارتر: «لقد عُدت بهذا الأسطول لإنقاذ فور داج، ويمكنك أن تطمئني إلى أننا لن نعود من دونه، الا إذا كان تعرض للدمار».

استفسرت من جون كارتر، وأنا خائف وأرتجف، عن حالة ديجاه ثوريس الصحية.

أجاب: «لقد استعادت عافيتها تمامًا، بفضل راس ثافاس. وبعد أن يأس كبار جراحي هيليوم جميعًا، نجح راس ثافاس المعجزة في استردادها لأفضل حالة صحية».

سألته: «هل وجدت أي صعوبة في العودة إلى هيليوم من موربوس؟».

أجاب: «واجهتنا بعض الصعوبات. اشتبكنا طوال الرحلة من موربوس إلى فوندال في معركة واحده مستمرة مع حشرات، ووحوش، وزواحف ورجال من الهمج. أما كيف نجونا ونجحنا في مواصلة طريقنا، فهذا لغز بالنسبة لي؛ لكن دور-دان وراس ثافاس قاتلا جيدًا بالسيف والخنجر، وكدنا أن نصل إلى الطائرة دون أن يهلك أحدنا. لكن دور-دان قُتل، قبل وصولنا إليها بيوم واحد، في معركة مع بعض الهمج المتوحشين- آخر مَن واجهناهم في المستنقعات. واستغرقت الرحلة بين موربوس وفوندال معظم الوقت؛ ثم كان علينا أن نقضي بعض الوقت في هيليوم بالطبع، بينما تخضع ديجاه ثوريس للعلاج. وكنت مقتنعًا بأنك ستجتاز المحنة بشكل ما. فأنت قوي، وذكي، وواسع الحيلة؛ على أن ثقتي كانت لتتقوض لو عرفت ما حدث في غرفة الأحواض رقم ٤».

قلت: «إنها كارثة رهيبة؛ ربما كارثة عالمية، وكان المشهد أكثر ترويعًا من أي شيء رأيته على الإطلاق. لا يمكن القضاء على تلك

الكتلة؛ لأنك حتى لو تمكنت من تقطيعها، ستستمر في النمو والانتشار».

في ذلك المساء، وأنا أمشي على سطح السفينة، رأيت جاناي تقف بمفردها عند الدرابزين. ولمعرفتي أنني أثير اشمئزازها، لم أفرضْ نفسي عليها أبدًا؛ لكنها أوقفتني هذه المرة.

قالت: «تور-دور-بار، أتساءل عما إذا كنت قد شكرتك بما يكفي لكل ما قمت به من أجلي».

قلت: «لا أنتظر أي شكر. يكفي أنني تمكنت من خدمتك وخدمة فور داج».

نظرت لي عن كثب، وقالت: «ماذا يعني لك الأمر، يا تور-دور-بار، إذا لم يسترد فور داج جسمه؟».

قلت: «سأكون قد فقدت صديقًا».

- وسوف تعيش في هيليوم؟

قلت: «لا أعرف إن كنت سأهتم بالعيش».

سألتني: «لماذا؟».

- لأنه لا يوجد مكان في العالم لوحش بشع مثلي.

قالت بلطف: «لا تقل ذلك، يا تور-دور-بار. أنت لست بشعًا؛ لأن لديك قلبًا طيبًا. في البداية، قبل أن أعرفك، كنت أعتقد أنك بشع؛ لكنني لا أرى الآن، يا صديقي، سوى جمال ونُبل شخصيتك».

كان ذلك لطيفًا للغاية منها، وقلت لها ذلك؛ لكنه لم يغير حقيقة بشاعة مظهري إلى درجة معرفتي أنني سوف أخيف النساء والأطفال

باستمرار إذا وافقت على الذهاب إلى هيليوم.

قالت: «حسنًا، أعتقد أن مظهرك لن يفرق كثيرًا في هيليوم؛ لأنني مقتنعة بأنك سوف تحظى بالعديد من الأصدقاء. ولكن، ماذا سيحدث لي إن تعذر إنقاذ فور داج؟».

– لا تخشي أي شيء، سوف يرعاكِ جون كارتر.

قال بإصرار: «لكن جون كارتر ليس مُلزَمًا بي».

– ومع ذلك، سوف يعتني بكِ.

سألتني: «وهل ستأتي لرؤيتي، تور–الدور–بار؟».

قلت: «إذا كنتِ ترغبين في ذلك»؛ لكني كنت أعرف أن تور–دور–بار لن يعيش للذهاب إلى هيليوم.

ركزت بصرها نحوي في صمت للحظة، ثم قالت: «أعرف ما يدور في عقلك، تور–دور–بار! أنت لن تأتي أبدًا إلى هيليوم كما أنت. وإنما الآن، وبعد أن عاد راس ثافاس، لماذا لا يعطي مخك جسمًا جديدًا، كما فعل لكثير من الهورماد الآخرين الأقل جدارة؟».

أجبت: «ربما؛ ولكن أين أجد جسمًا؟».

قالت هامسة: «هناك جسم فور داج».

قلت: «هل تعنيين أنكِ تودين مخي في جسم فور داج؟».

سألت: «ولِمَ لا؟ لقد كان مخك أفضل وأعز صديق لي. وأخبرني سايتور أن مخ فور داج تدمر. ربما كلامه صحيح، وفي هذه الحالة أعرف أنه كذب عندما قال إنك مَن تسببت في تدميره؛ ذلك أني أعرفك جيدًا

الآن وأعرف أنك لا يمكن أن تظلم صديقًا. وإنما إذا كان جسمه قد تدمر بمحض الصدفة، فماذا أفضل بالنسبة لي من أن يتولى مخ صديقي تحريك جسم شخص أنا معجبة به؟».

– ولكن، ألن تقولي لنفسك دائمًا 'هذا الجسم لديه مخ هورماد؟ إنه ليس فور داج، بل مجرد شيء نما في حوض'.

أجابت: «كلا. لا أعتقد أن هذا سيحدث أي فارق. لا أعتقد أنني سأجد صعوبة في إقناع نفسي أن المخ والجسم ينتميان معًا، بالمثل كما كان الوضع على العكس من ذلك، حيث كان من الصعب تصور أن المخ الذي يُحرك جسم تور–دور–بار قد نما في حوض من الأنسجة الحيوانية اللزجة».

قلت مازحًا: «إذا وجد لي راس ثافاس جسمًا وسيمًا، أؤكد لكِ أن فور داج سيواجه منافسًا».

رمقتني بنظرة غريبة وقالت: «لا أعتقد ذلك».

تساءلت عما تعنيه بذلك، ولماذا تطلعت نحوي بهذا الشكل الغريب.

ليس من المرجح أنها خمنت الحقيقة، فمن غير المتصور أن يقبل أي رجل نقل مخه إلى جسم هورماد. هل كانت تعني أن فور داج ليس له منافس ناجح؟

هبط الليل ونحن نقترب من المستنقعات التونولية الكبرى. حلّق الأسطول الكبير بمهابة فوق مدينة فوندال؛ وكانت المدينة المضاءة

تتألق في الظلام أدنانا، ولم يغامر أي زورق دورية باستجوابنا. وكانت جميع سفننا مضاءة، ولا بد أنها ظلت مرئية لفترة طويلة قبل مرورنا فوق المدينة؛ لكن فوندال، الضعيفة من حيث سفنها، لا يمكن أن تتحدى أي أسطول غريب بحجم أسطولنا. ويمكنني أن أتخيل جِد فوندال يتنفس الصعداء عندما اختفينا في الليل تجاه الشرق.

❊ ❊ ❊

الفصل (٣٠)

نهاية عالَمين

اتخذت الأراضي القفر المهجورة التي مررنا بها، فوق المستنقعات التونولية الكبرى، جمالًا ساحرًا غريبًا، أضاف غموضًا في الظلام. وعكست مياهها نجومًا لا تُعد ولا تُحصى، كشف عنها الهواء المريخي الرقيق. كما انعكس ضوء القمرين المارين من البحيرات الساكنة، أو لمس الجزر الصخرية بإشعاع خافت أحالها إلى جزر فاتنة. كنا نرى أحيانًا نيران مخيمات الهمج، وتصل إلى أذاننا خافتة أصوات أغانيهم البربرية ودوي طبولهم عن بُعد، يتخللها صراخ أو خوار شيء وحشي.

جاء جون كارتر إلى جواري بجانب الدرابزين، وقال: «هذه آخر المحيطات الكبيرة. واختفاؤها في نهاية المطاف سيكون بلا شك إيذانًا باختفاء عالَم، وسيظل المريخ إلى الأبد غير مأهول حتى ولو بذكرى واحدة عن عظمته الماضية».

قلت: «يحزنني التفكير في ذلك».

أجاب: «وأنا أيضًا».

قلت لتذكيره: «لكنك تستطيع العودة إلى كوكب الأرض».

ابتسم، ثم قال: «لا أعتقد أن أيًّا منا بحاجة إلى القلق بشأن نهاية المريخ؛ ربما ليس لمليون سنة أخرى على الأقل».

ضحكت، وقلت: «عندما تحدثت عن ذلك، بدت النهاية بشكل ما كما لو أنها قريبة جدًّا».

أجاب: «المسألة نسبية. ليس لدينا هنا سوى مستنقعات ضحلة تُذكرنا بالمحيطات الجبارة التي تدفقت ذات يوم عبر الجزء الرئيس من برسوم. أما على كوكب الأرض، تغطي المياه ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، وتصل إلى عمق يزيد على خمسة أميال. ومع ذلك، سيلقى كوكب الأرض المصير نفسه. سوف تنجرف الجبال أسفل البحار؛ وستتبخر البحار؛ وفي يوم من الأيام، كل ما سيبقى للدلالة على المحيطات العظيمة هو مستنقع تونولي آخر في أرض مقفرة قاحلة في الموضع الذي يتدفق فيه حاليًا المحيط الهادئ العظيم».

قلت: «إنك تثير حزني».

ضحك قائلًا: «حسنًا، دعنا لا نقلق بشأن ذلك. لدينا الكثير من الأمور التي تحتاج إلى تفكير، وأكثر أهمية من نهاية العالَمين. إن مصير الصديق يتجاوز مصير الكوكب. ماذا ستفعل إذا لم تتمكن من استرداد جسمك؟».

أجبت: «لن أعود إلى هيليوم أبدًا بهذا الجسم».

- لا أستطيع أن ألومك. علينا أن نجد لك جسمًا آخر.

قلت: «كلا. لقد فكرت كثيرًا في هذه المسالة، وتوصلت إلى قرار نهائي. إذا كان التدمير قد نال جسمي، فسوف أدمر هذا الجسم أيضًا ومعه المخ. هناك أجسام أكثر جاذبية من جسمي، بطبيعة الحال، إلا أنني متعلق به إلى حد عدم حرصي على العيش في جسم شخص آخر».

- لا تأخذ قرارًا متسرعًا يا فور داج.

قلت للتصحيح: «تور-دور-بار، يا أميري».

سألني: «لماذا تواصل هذا التخفي إلى الآن؟».

قلت: «لأنها لا تعرف».

أومأ، ثم قال: «وهل تعتقد أن هذا قد يُحدث فرقًا معها؟».

- أخشى أنها لن تنسى أبدًا هذا الوجه والجسد اللا إنسانيين، وقد تتساءل دومًا ما إذا كان المخ أيضًا لهورماد، حتى مع إعادة وضعه في جمجمة فور داج. لا أحد يعرف إلا أنت وراس ثافاس وأنا، يا أميري. وأتوسل إليك ألا تخبر جاناي بالحقيقة.

قال: «كما تريد، مع يقيني تمامًا أنك ترتكب خطأ. إذا كانت تهتم بك، فلن يحدث ذلك أي فرق بالنسبة لها؛ وإذا كانت لا تهتم بك، فلن يحدث فارقًا بالنسبة لك».

قلت: «لا. أنا نفسي أريد أن أنسى تور-دور-بار، وأريدها بالتأكيد أن تنساه».

قال: «هي لن تنساه أبدًا؛ فقد قالت لي إنها تشعر بعاطفة قوية جدًّا

تجاه تور-دور-بار! وإنه أخطر منافس لفور داج».

قلت متوسلًا: «كلا. الفكرة ذاتها مثيرة للاشمئزاز».

قال جون كارتر: «الشخصية هي التي تصنع الرجل، وليس الجسد الطيني الذي يسكنه».

أجبت: «لا، يا صديقي. ولا أي قدر من التفلسف يمكن أن يجعل تور-دور-بار زوجًا مناسبًا لأي امرأة حمراء؛ وعلى الأخص جاناي».

قال موافقًا: «ربما كنت على حق؛ وإنما بعد التضحية الكبيرة التي قدمتُها لها، أشعر أنك تستحق مكافأة أفضل من الموت بيدك».

أجبت: «حسنًا، ربما يقرر لنا الغد هذه المسألة، وأنا أرى بالفعل أول خطوط الفجر فوق الأفق».

فكر في صمت لبضع لحظات، ثم قال: «ربما تكون أقل الصعوبات التي قد تواجهنا هي الوصول إلى الزنزانة ٣-١٧ وجسم فور داج. على أن ما يقلقني أكثر هو احتمال امتلاء مبنى المختبر بأكمله بالكتلة التي خرجت من غرفة الأحواض رقم ٤، وعندئذ سوف يستحيل عمليًّا الوصول إلى مختبر راس ثافاس الذي يحتوي على الأدوات الضرورية لإجراء تلك العملية الحساسة لإعادة مخك إلى جسمك».

أجبت: «توقعت ذلك؛ ولذا أخذت معي، في طريقي للخروج من موربوس، كل ما هو ضروري وتركته في الزنزانة ٣-١٧».

صاح: «جيد! هكذا يشعرني براحة ذهنية إلى حد كبير. فقد ساورنا، أنا وراس ثافاس، قلق عميق بسبب ما وصل إليه يقينه العملي بأننا لن

نتمكن أبدًا من الوصول إلى مختبره. وهو يرى ضرورة تدمير موربوس قبل أن نتحقق من نمو الكتلة التي خرجت من غرفة الأحواض رقم ٤».

اقتربنا من موربوس مع طلوع النهار. أُرسلت السفن التي حملتنا، باستثناء السفينة روزار، لتطويق الجزيرة بغية اكتشاف مدى انتشار الكتلة من غرفة الأحواض رقم ٤.

انخفضت السفينة روزار بحيث أصبحت تبعُد عن الأرض ببضعة ياردات، واقتربت من الجزيرة الصغيرة التي تضم النفق المؤدي إلى الزنزانة ٣-١٧. ومع اقترابنا منها، التقت أعيننا بمشهد مرعب. انتشرت كتلة من الأنسجة المتعرجة المتلوية عبر المياه من جزيرة موربوس الرئيسة وغطت الجزيرة الصغيرة كلية. ارتفعت رؤوس بشعة تنظر نحونا وهي تصرخ متحدية؛ وامتدت أيادٍ لتصل إلينا، بلا جدوى.

بحثت عن مدخل النفق، لكنه لم يكن مرئيًّا؛ فقد غطته بالكامل تلك الكتلة المتلوية. غاص قلبي، فقد شعرت أن الكتلة قد تمكنت بالتأكيد من دخول النفق ووجدت طريقها إلى زنزانة ٣-١٧؛ لأنني كنت على يقين أنها قد تدخل من أي فتحة وتسير وفق أقل المسارات مقاومة إلى أن تواجه أي حاجز يتعذر عبوره.

ومع ذلك تشبثت يائسًا بأمل أنني أغلقت فتحة النفق بشكل جيد، يكفي لمنع الكتلة من المرور فيه. وحتى مع ذلك، كيف يمكننا أن نأمل في الوصول إلى النفق خلال هذا الطوق البشع من الرعب؟

وقف جون كارتر عند درابزين السفينة مع عدد من أفراد الطاقم. ووقفت أنا وجاناي وراس ثافاس بجانبه. كان يحدق برعب واضح في

نتيجة ما صنعه راس ثافاس. أصدر تعليماته الآن لأفراد طاقمه، وغادر اثنان منهم لتنفيذها. انتظرنا صامتين، فقد أخرسنا الرعب المتصاعد تحتنا، صارخًا ومثرثرًا ومتلويًا.

تقف جاناي بالقرب مني، وتشبثت الآن بذراعي. إنها المرة الأولى التي تلمسني فيها بمحض إرادتها. همست: «يا له من رعب! يستحيل أن جسم فور داج لا يزال موجودًا، فلا بد أن تلك الكتلة البشعة قد انتشرت في كل مكان خلال المباني وأيضًا خارج أسوار المدينة».

هززت رأسي. لم يكن لديَّ ما أقوله. ضغطت جاناي على ذراعي بقوة. قالت: «تور-دور-بار، أعطني وعدًا أنك لن تقوم بأي تصرف طائش إذا فُقِد جسم فور داج».

قلت: «دعينا لا نفكر في ذلك».

- لكننا يجب أن نفكر في الأمر؛ ويجب أن تعدني.

هززت رأسي، وقلت: «أنتِ تطلبين الكثير. لا يمكن أن أشعر بالسعادة ما دمت أحتفظ بجسم هورماد». أدركت عندئذ أنني تماديت في الحديث، وإنما يبدو أنها لم تلاحظ ذلك، بل ظلت واقفة في صمت تنظر إلى أسفل نحو الشيء المروع تحتنا.

بدأت السفينة روزار في الارتفاع الآن، إلى أن أصبحت على مسافة خمسمائة أو ستمائة قدم من الأرض، ثم ثبتت ثانية فوق ذلك الجزء من الجزيرة الصغيرة حيث تقع فتحة الكهف مباشرة. سقطت الآن قنبلة حارقة، وتلوت الكتلة صارخة وهي تنفجر، وانتشرت محتوياتها

الملتهبة في جميع الاتجاهات.

لن أسرد حجم الرعب؛ لكن القنابل استمرت تسقط إلى أن تبقت مجرد كتلة متفحمة من اللحم يتصاعد منها الدخان، وتقع داخل دائرة يبلغ نصف قطرها مائة قدم من فتحة الكهف. ثم انخفضت السفينة روزار مقتربة من الأرض، وأنزلوني باستخدام بكرة هبوط وتبعني راس ثافاس، وخلفه مائتا محارب مسلحون بالسيوف والمشاعل المتقدة، حيث هاجموا على الفور الكتلة التي كانت تزحف بالفعل إلى الوراء لتغطي الأرض التي فقدتها.

كان قلبي مضطربًا عندما بدأت العمل لإزالة التراب والحجارة التي كنت قد أغلقت بها مدخل النفق. ولم أرَ خلال عملي أي علامة على اختراق المدخل، وها هو الآن مفتوح أمامي، وكدت أن أصرخ فرحًا لأن فتحة النفق كانت فارغة.

لا أستطيع أن أصف مشاعري وأنا أجتاز هذا النفق الطويل ثانية لأصل إلى الزنزانة ٣-١٧. هل جسدي لا يزال هناك؟ هل لا يزال كاملًا وفي أمان؟ استحضرت كل أنواع الأشياء الفظيعة التي ربما تعرض لها جسمي خلال غيابي الطويل. ركضت بسرعة خلال النفق المظلم لمعرفة الحقيقة، وأخيرًا، وبيدين مرتعشتين، رفعت غطاء الباب المسحور الذي يقود من النفق إلى الغرفة في أعلى. وبعد لحظة وقفت في الزنزانة ٣-١٧. وكان جسم فور داج يرقد في مكانه كما تركته.

سرعان ما وصل راس ثافاس، وتنفس الصعداء أيضًا عندما وجد الجسم والأدوات اللازمة دون مساس.

رقدت على لوح الإرسايت بجانب جسمي دون انتظار لتعليمات راس ثافاس. وانحنى راس ثافاس فوق جسمي ليبدأ عمله. شعرت بإجراء شق طفيف وبقليل من الألم، ثم غبت عن الوعي.

❊ ❊ ❊

الفصل (٣١)

نهاية المغامرة

فتحت عينيَّ. كان راس ثافاس يميل نحوي. يرقد بجانبي جسم الهورماد تور-دور-بار. امتلأت عيناي بالدموع، دموع ارتياح وسعادة وفرح لم أشعر بمثلها من قبل في حياتي؛ ليس لمجرد استعادتي لجسدي، وإنما لأنني أستطيع الآن أن أضعه أمام أقدام جاناي.

قال راس ثافاس: «هيا يا بُني. نحن هنا منذ فترة طويلة، والكتلة تتلوى وتصرخ في الممر خلف الباب. دعنا نأمل ألا تنجح في استعادة الأرض التي فقدتها في الطرف الآخر من النفق».

قلت: «حسنًا، دعنا نعود على الفور». نزلت من فوق الطاولة، ووقفت على قدمي. كنت متصلبًا بعض الشيء، ولاحظ راس ثافاس ذلك.

قال: «سينتهي هذا خلال لحظات؛ فقد كنت ميتًا لفترة طويلة»، وابتسم.

وقفت للحظة أتطلع نحو جسم تور-دور-بار الغريب. قال راس ثافاس: «لقد خدمك جيدًا».

وافقته قائلًا: «نعم، وأفضل مكافأة أستطيع أن أقدمها له هي النسيان الأبدي. سوف نتركه هنا، مدفونًا إلى الأبد في هذه الحُفر تحت المبنى، حيث شعر بالحياة لأول مرة. إنني أتركه هنا، يا راس ثافاس، دون أي شعور بالندم».

قال العقل المدبر في المريخ: «كان يتمتع بقوة هائلة؛ فضلًا عن يد تستخدم السيف ببراعة، كما فهمت».

قلت: «ومع ذلك، ما زلت أعتقد أنني أستطيع تحمل الحياة من دونه».

صاح راس ثافاس: «الغرور، الغرور! أنت، المحارب، سوف تتخلى عن قوه هائلة ويد لا تُضاهى في المبارزة من أجل وجه جميل».

أدركت أنه يسخر مني؛ وقد يسخر العالم كله مني إن أراد، ما دمت استعدت جسدي ثانية.

أسرعنا في طريق العودة من خلال النفق. ظهرت الجزيرة أخيرًا، وكان المحاربون لا يزالون يقاومون إصرار الكتلة على النمو. استُبدِلت الكتيبة أربع مرات منذ نزولنا من السفينة روزار. كنا قد وصلنا في الصباح الباكر، لكن الشمس الآن على وشك الهبوط خلف الأفق البعيد. ومع ذلك، شعرت أنني لم أستغرق سوى بضع لحظات منذ نزولي من السفينة روزار.

رفعونا بسرعة إلى متن السفينة ثانية، حيث كدنا نختنق من كثرة التهاني.

وضع جون كارتر يده على كتفي، وقال: «لم أكن لأقلق على مصير أحد أبنائي أكثر من قلقي عليك».

كان هذا كل ما قاله، لكنه كان يعني لي أكثر من مجلدات يقولها شخص آخر. لاحظ الآن أن عينيَّ تتجولان على سطح السفينة، ولمست ابتسامة شفتيه. سألته: «أين هي؟».

قال: «لم تتحمل ضغط الانتظار، وذهبت إلى مقصورتها لترتاح. من الأفضل أن تذهب إليها وتخبرها بنفسك».

قلت: «شكرًا لك، يا سيدي»؛ وبعد لحظات قليلة كنت أطرق على باب مقصورة جاناي.

سألت: «مَن الطارق؟».

أجبت: «فور داج»، ثم فتحتُ الباب ودخلت دون انتظار لدعوة.

نهضت وجاءت نحوي، وعيناها متسعتان بالتساؤل: «إنه أنت حقًّا؟».

أكدت لها: «إنه أنا»، وتوجهت إليها. أردت أن أضمها بين ذراعي وأقول لها إنني أحبها. لكنها يبدو أنها توقعت ما يدور في ذهني؛ لأنها أوقفتني بإيماءة.

قالت: «انتظر. هل تدرك أنني بالكاد ما أعرف فور داج؟».

لم أكن قد فكرت في ذلك، لكنه صحيح. فهي عرفت تور-دور-بار أكثر. «أجب على سؤال واحد».

سألتها: «وما هو؟».

سألتني: «كيف مات تيايتان-أوف؟».

كان سؤالًا غريبًا. ما علاقته بجاناي أو بي؟ أجبت: «لماذا. لقد مات في الممر المؤدي إلى الزنزانة ٣-١٧، حيث أصابه أحد المحاربين الهورماد خلال هروبنا من مبنى المختبر».

ومضت أسنانها البيضاء في ابتسامة مفاجئة. «والآن، ماذا كنت ستقول لي عندما أوقفتك؟».

أجبت: «كنت أريد أن أقول لكِ إنني أحبكِ، وأسالكِ إن كان هناك أي أمل لتبادليني الحب».

قالت: «أنا بالكاد أعرف فور داج؛ وكنت أحب تور-دور-بار؛ لكني أعرف الآن الحقيقة التي خمنتها منذ فترة، وأدرك التضحية التي كنت على استعداد لها من أجلي». تقدمت، ووضعت ذراعيها العزيزتين حول رقبتي، وشعرت للمرة الأولى بشفتَي المرأة التي أحبها.

* * *

ظل الأسطول الكبير يحلق عاليًا فوق فوربوس لعشرة أيام، ويلقي بالقنابل على المدينة والجزيرة والكتلة الكبيرة التي بدأت تنتشر في جميع الاتجاهات لابتلاع العالم؛ ولم يكن جون كارتر ليغادر إلا بعد إبادة آخر بقايا الرعب تمامًا. وأخيرًا دارت مقدمات السفن الحربية الكبيرة في اتجاه هيليوم. لم نتوقف سوى لفترة قصيرة في فوندال لإعادة باندار إلى مدينته الأصلية، ثم توجهنا إلى الديار، وشعرت بالسعادة مع جاناي خلال الرحلة بعد كل ما خضناه معًا من أهوال.

ظهرت الأبراج الكبيرة لمدينتي هيليوم التوأم على مسافة، وأنا أقف مع جاناي عند مقدمة السفينة روزار. قلت لها: «أود أن تخبريني لماذا سألتني عن كيفية موت تيايتان-أوف. فأنتِ تعرفين كما أعرف».

صاحت ضاحكة: «غبي! كنتَ وتور-دور-بار وباندار الناجين الوحيدين من تلك المعركة التي كانت مع الأسطول عندما عُدنا إلى موربوس. ومن هؤلاء الثلاثة، لم يكن بإمكانك أن ترى سوى تور-دور-بار قبل أن تراني. ولذلك، عندما أجبتني بشكل صحيح عرفت أن مخ تور-دور-بار قد نُقل إلى جمجمتك. وهذا هو كل ما أردت أن أعرفه؛ لأن المخ هو ما منح الطابع والصفاء إلى تور-دور-بار الذي تعلمت أن أحبه. ولا يهمني، يا فور داج، لمَن كان المخ في الأصل. لن أسأل، إذا كنت لا تحرص على أن تخبرني؛ لكني أشك أنه كان مخك ونقلته إلى رأس تور-دور-بار حتى يمكنك حمايتي بشكل أفضل من آي-ماد».

قلت: «إنه مخي».

ضحكت: «تقصد كان مخك؛ فهو لي الآن».

* * *